الأنوار الإلهية

للعلامة الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي

(توفي ١١٤٣ هـ)

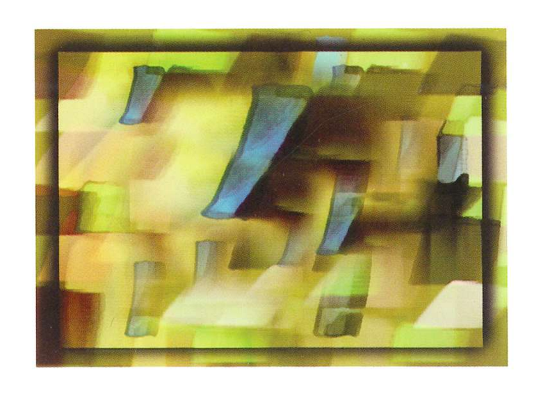
شرح العقيدة السنوسية

للإمام أبي عبد الله السنوسي محمد بن يوسف التلمساني

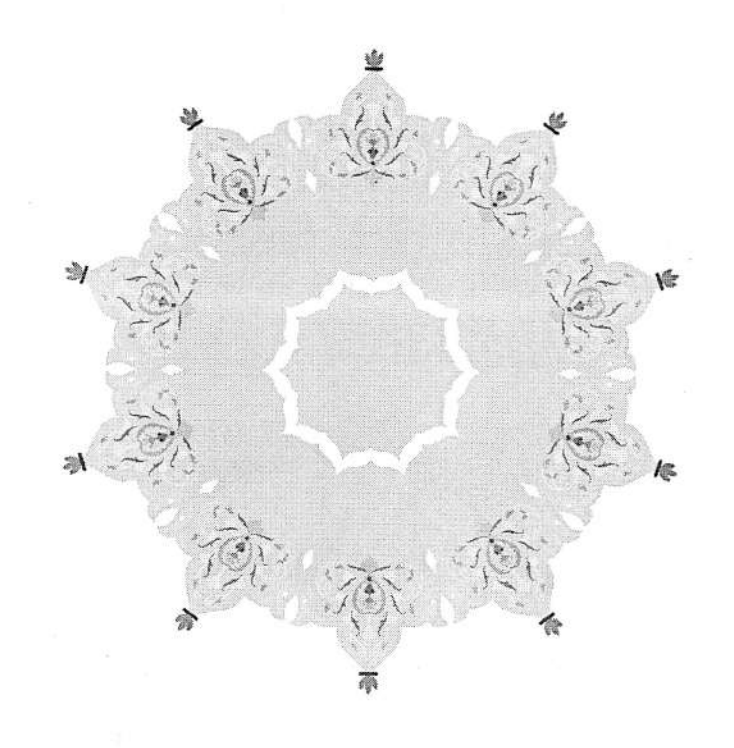
(توفي ٨٩٥ هـ)

اعتنى به

عمر بن محمد الشيخلي







الأنوار الإلهية

شرح العقيدة السنوسية

الأنوار الالهية

شرح العقيدة السنوسية

الطبعة الأولى :2015 م



2015



للعلامة الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي

(توفي ١١٤٣ هـ)

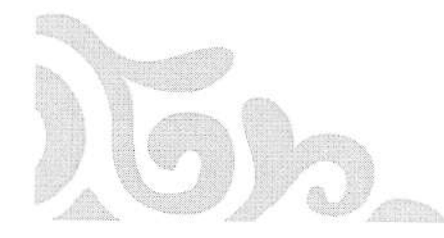
شرح العقيدة السنوسية

للإمام أبي عبد الله السنوسي محمد بن يوسف التلمساني

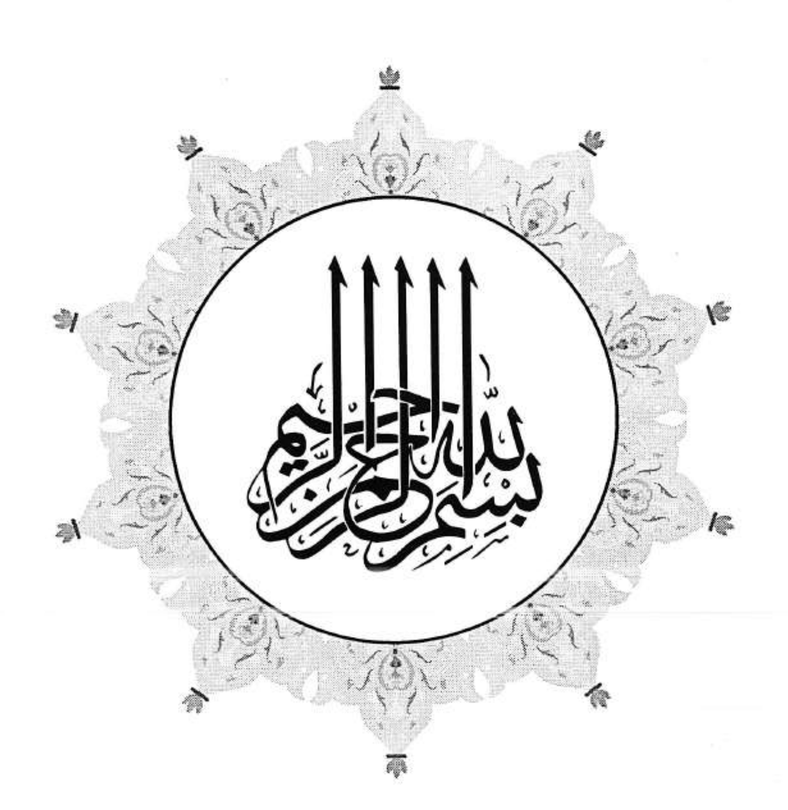
(توفي ٨٩٥ هـ)

اعتنى به

عمر بن محمد الشيخلي






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ عبد الهادي الخرسة

حفظه الله تعالى

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات...

اللهم صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك سيِّد الخلق وملاذهم ومفزعهم يوم الدِّين وعلىٰ آله وأصحابه السابقين وعلىٰ اللاَّحقين من الأبرار والمؤمنين.

أما بعد:

فقد أطلعني الأستاذ المحقق عمر الشيخلي حفظه الله تعالىٰ علىٰ شرح المقدِّمة السنوسية المسمَّىٰ «الأنوار الإلهية» لمؤلفه شيخ العلماء والعارفين عبد الغني النَّابلسي قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه، وطلب مني قرآءته وتصحيحه مع التعيقات التي طرَّزه بها، فأجبته إلىٰ طلبه فقرأت الكتاب كاملاً، وقمت بتصحيح ما فيه من أغلاط مطبعية أو هي من سبق القلم، فغدا إن شاء الله مصحّحاً ومحقّقاً لا يخشىٰ علىٰ قارئه من الوقوع في لَبْسٍ أو إشكالٍ يفسد عليه معنىً من معانيه فيفهمه علىٰ غير وجهه المراد، ولا بدَّ من التَّنبيه إلىٰ أن كتب العقيدة الإسلامية متوناً وشروحاً وحواشي لا بدَّ أن تقرأ علىٰ أيدي العلماء الربانيين الجامعين بين علوم المعقول والمنقول، والواصلين إلىٰ علم اليقين والمشاركين لمقامات العارفين من أهل عين اليقين، والَّذين هم علىٰ شاكلة مؤلفيها، ومتصلوا الأسانيد والسلاسل بهم، حتىٰ يشرب المسلم معانيها ممتزجة من الدليل والبرهان والشهود والعيان، ويتذوق المؤمن طعم الإيمان ويجد حلاوته في قلبه وعقله معاً، فيصبح من أهل المراقبة والمشاهدة القائمين بأحكام وآداب العبادة والعبودية ظاهراً وباطناً.

ولا يشك باحث محقق أن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالىٰ وجزاه خيراً من أقطاب هذه المقامات، وقد ألَّف كثيراً من المؤلفات في مقامي الإيمان

والإحسان، ومنها المطبوع ومنها المخطوط، فقراءة كتبه وكتب أمثاله تكسب المؤمن نوراً ويقيناً وبصيرةً ومعرفة وذوقاً وحلاوةً في سرّه ومناجاته، وفي علمه وعمله ودعوته، وما أحوج طلاب العلم إلىٰ هذا المنهج الَّذي عليه أهل الكمال من سلف الأمة وخلفهم ليكون ذلك سبباً في الفتح الإلهي لهم وعلىٰ أيديهم، وباعثاً علىٰ دوام الإخلاص والاستقامة.

جزىٰ الله خيراً العارف النَّابلسي علىٰ ما ورَّث للأمة الإسلامية من علم، ونفعني الله به وبعلمه والمسلمين أجمعين، وبارك في جهد أخينا المحقق الشيخ عمر الشيخلي وتقبَّله منه في ميزان العمل الصَّالح ووفقه للمزيد ولنا وللمسلمين مثل ذلك بفضله وكرمه آمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وأصحابه وعلينا بهم ومعهم وسلام علىٰ المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتب

خادم العلم الشريف وأهله

عبد الهادي محمَّد الخرسة

دمشق ـ الشام

الجمعة ٢٧/ جمادى/ ١٤٣٣ هـ

١٨/ ٥/ ٢٠١٢م

المقدمة التحقيق

الحمد لله القديم الموجود بصفات الجلال والكمال، المعبود مع التَّنزيه عن التَّشبيه والتَّجسيم والنَّقائِص والإِبطال، الَّذي أوجب اتِّباع الرُّسل في القول والنِّية والتَّرك والفِعَال، وجعل العقل المرعيَّ تبعاً موافقاً للنقل الشرعيِّ في كل حال.

أحمدُه على الهدى والتَّوفيق والإِقرار، وأَشكره شكراً دائماً على بلوغ الآمال، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة صادقٍ في النِّية والفعل والمَقَال، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسولُه صاحب الشَّفاعة السَّابقة واللِّواء يوم المآل، المبعوث بأفضل الأديان وألزمها بالاتِّباع والامتثال، والمنعوت بأنَّه يهدي إلى الله من الكفر والضَّلال الذي أَوضَحَ الشَّريعة بالأقوال والتَّقرير والأَعمال، وتركَهَا بيضاءَ نقيةً ليلها كنهارها بلا إِشكال، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل صلاةً دائمةً بدوام داري الشَّقاء والنَّوال.

أما بعد:

فإذا أقبلنا على هذا المتن وجدنا أنَّه من أكثر متون علم التَّوحيد سيرورةً بين المشتغلين بالعلم، يبدأ به المبتدئ ويتفهمه ثم يحفظه ليكون له عدةً لما بعده.

وهذه الرِّسالة بالنِّسبة إلى كتب السنوسي الستَّة في العقيدة تعتبر الرَّسالة الثالثة بعد الكبرى والوسطى، لذلك دعيت بـ «العقيدة الصغرى» لقد امتازت هذه الصغرى بمميزات يبدو أنَّها خلت من غيرها، فاعتبَرَها أهل العلم من أجلِّ كتب العقائد، ورأوا أنَّه لا يعادلها كتاب، وذلك لأنَّها مختصر مفيد، وتحتوي على جميع عقائد التوحيد، ونقل الشيخ الحفناوي قول بعضهم: لا شك أنه لا نظير لها تكفي من اقتصر عليها عن سائر العقائد.

ويأتي اهتمام العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النَّابلسي نفعنا الله به وبعلومه في شرح «عقيدة الإمام السنوسي» هذه في سياق ما تقدَّم.

فقد شرحها بشيءٍ من التَّوضيح مبيِّناً عقيدة أهل السنَّة والجماعة وبسطه غاية التَّبسيط،

داعماً شرحه بالأمثلة والبراهين التي تسهل على القارئ فهم معنى هذه العقيدة المعروفة بـ «صغرى الصغرى» للإمام السنوسي الذي اشتهر فضله وانتفع الخلق بعلمه، وشهد له العلماء بالتَّقوى والفضل وسداد الرأي وقوة الهمة، وكانت نتاجاته ذات فائدةٍ للمبتدئين والمتقدِّمين.

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفِقتُ فيما قمت به من مجهودٍ، وأسأله تعالى أن يسدِّد خطانا ويصحِّح نوايانا في أعمالنا لتكون خالصةً لوجهه الكريم، وألاَّ يجعل بيني وبين العلم عائقاً، وأن يوفق كلَّ من أعانني على إخراج هذا الكتاب وإتمامه، فرحم الله امرأً نظر إليه بعين الإنصاف، وشمَّر ذيل عزمه لإصلاح ما طغى به القلم؛ ليحوز كمال التَّوفيق، فعين البغض تبرزُ كلَّ عيبٍ، وعين الحب لا تجد العيوب، وما كان فيه من زللٍ وخطأ فهو من النَّفس والشيطان، وما كان فيه من الصَّواب فهو من فضل الله وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

عمر بن محمَّد الشيخلي

تم بعونه تعالى صباح يوم السبت الواقع في

١٣/ جمادى الآخر / ١٤٣٣ هـ

الموافق ٤/ أيار / ٢٠١٢

غوطة دمشق ـ الشام المحمية

منهجي في التحقيق

* اعتمدت على إخراج هذا السفر المبارك على ست نسخ خطية.

* اتخذت النسخة (أ) أصلاً للتحقيق لقرب تاريخ نسخها من زمن شرحها عن بقية النسخ.

* خرجت الآيات الكريمة ووضعتها ضمن قوسين مزهرين ﴿﴾ برواية حفص عن عاصم، وأسندت الأحاديث والآثار إلى مخرجيها حسب الاستطاعة.

* ترجمت للأعلام والفرق والمذاهب والملل والنحل الذي احتاج الأمر إلى ذكرهم.

* شرحت ما استعجم فهمه من الألفاظ والمصطلحات الصوفية، وأضفت بعض التعليقات على ما أبهم لفظه.

* خرجت الأشعار الواردة في هذا الكتاب.

* ضبطت النص وشكلت المشكل، ثم أشرت إلى بعض فروق النسخ.

* توخياً للفائدة فقد ابتدأت بنص العقيدة السنوسية مضمون بحثنا إضافة إلى تميز كلماتها الواردة في الشرح بأحرف مغايرة لكلمات الشرح.

* وضعت علامات الترقيم المناسبة، ووضعت بعض الكلمات بين معكوفين [ ].

* وضع الكلمة التي تحتاج إلى إضافة بين معكوفين.

* وضعت مطالب بعناوين مناسبة وجعلتها بين معكوفين.

* ترجمة صاحب المتن والشارح.

* أعددت فهرساً للكتاب.

ترجمة الإمام
السيد الشريف، أبي عبد الله محمد السنوسي
(٨٣٢هـ - ٨٩٥هـ)

ولادته ونسبته(١):

هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني، الحسني، ولد في تلمسان الجزائرية، وهو من آل سنوسية الذين انتشروا في بقاع كثيرة من بلاد المغرب، فهو سنوسي النَّسب وتلمساني المولد نشأة ونهاية، سيد شريف من آل البيت عن طريق أم أبيه الذي يتصل نسبه بالإمام الحسن بن علي بن أبي طالب.

بدأ حياته في حجر والده الشيخ العارف بالله يوسف بن عمر بن شعيب المدعو أبو يعقوب والمعروف بـ «الشيخ القارئ الزاهد الخاشع» فنشأ تحت أنظار الصلاح والتَّقوىٰ والعلم والمعرفة، فتلقىٰ في بدايته مبادئ العلوم وحفظ القرآن وأتقن قراءاته في سن مبكرة، وصار له مجوداً؛ كما تلقىٰ تربية أخرىٰ علىٰ يد أخيه لأمه أبي الحسن علي التالوتي فتفقه عليه بالمذهب المالكي.

ثم طفق يطلب العلم من أجلاء علماء عصره في أقاليمه حتىٰ بلغ مبكراً وظهر نبوغه جليّاً حينما ألف كتابه «المقرب المستوفي علىٰ الحوفي» وكان عمره تسعة عشر عاماً مما جعل شيخه الحسن أبركان يعجب به ويحرص علىٰ حمايته ورعايته، وقد عكف الإمام السنوسي علىٰ العلم، والتأليف، والنصح، والإرشاد، والإقراء حتىٰ استهلك عمره في هذه المجالات علىٰ ما أخبرت به زوجته الصَّالحة بعد وفاته.

---

(١) «الاستقصاء» للناصري (٧/ ١٢٥)، «نيل الابتهاج» (ص٣٢٥)، و«كفاية المحتاج» للتنبكتي (٢/ ٢٠٦)، و«وردة الحجال» (٢/ ١٤١ ـ ١٤٢)، و«ودوحة الناشر» لابن عسكر (ص١٢١).

أخلاقه ومكانته:

لقد توفرت في الإمام السنوسي أخلاق الصحابة من زهد وعفة، وانصراف عن ملذات الدنيا ونعيمها مع جنوحها إليه علىٰ أطباق من الذهب والفضة بأيدي سلاطينها كان ذاكراً ومسبِّحاً ومهلِّلاً ومكبِّراً وحامداً وشاكراً لا يفتر عن الصَّلاة علىٰ النبيﷺ كان سخيَّ العَبرَةِ بكَّاءً سريع الخشوع، ورعاً، يأنف من لقاء أهل الدنيا، ولا يرغب بمجالستهم، مغيثاً للملهوفين، شفيقاً بالضعفاء والفقراء، متجمِّلٌ بالصبر، متحليَّاً بكظم الغيظ، لا يغضب إلا إذا انتهكت المحارم، متواضعاً ولين الجانب، عرف عنه الحياء والحلم، صامتاً محباً للخلوات دائم الصيام لمعظم شهور السنة.

ويزين كل هذه الصفات والأخلاق الفاضلة علم غزير، وعقل منير، وجودة تفكيرٍ؛ مما جعله يحظىٰ بمكانة كبيرة بين الناس ويعظم قدرة ومكانة في أعينهم، وكان الصغار والكبار، والنساء والرجال، والشيوخ والعلماء والسلاطين يجلونه، وإذا قيل: أن الإمام السنوسي قال كذا وقف الناس عند هذا المقال لا يتعدونه.

شهادة العلماء بحقه:

كان الإمام السنوسي عالماً ضليعاً بالقرآن الكريم وعلومه، تفسيراً وقراءاتٍ يقرأ ويُقرئ وقد خرَّج الكثيرين، وألف بالقراءات وشرح الشاطبية، وفسَّر القرآن، وفي السنة وعلومها لا ينزل عن درجات من سبقه من علماء الحديث الشريف؛ كالقاضي عياض، والقرطبي وغيرهم، وفي الأصول والفقه، فهو أصولي وفقيه بلا منازع، وفي المنطق والفلك والرياضيات والجدل، والجد والطلب والتصوف كانت له بصمات واضحة، وأما علم التَّوحيد فقد كانت لمؤلفاته في هذا المجال حداً مروياً بين أوساط علماء المسلمين وخاصة العقائد، وأهمها التي عرفت بالسنوسية الكبرىٰ، والوسطىٰ، والصغرىٰ.

وقد قال فيه القاضي أحمد بن محمد صاحب كتاب «درة الحجال»: صاحب العقائد التي لم يأتِ أحد بمثلها من المتأخرين.

وقال الشفشاوي في «دوحة الناشر» لابن عسكر: كان من جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المئة، وقال: اتفق فحول الأولياء وأكابر العلماء على فضله[1].

قال الشيخ ابن عقدة الأغضاوي: ما رأيت من غربل هذا العلم مثل هذا الرجل يقصد السنوسي، وقال عنه الهبطي: كلام السنوسي محفوظ من السقطات[2]، وقال فيه ابن يجبش التازي:

صاغ الإمام الأوحد البحر	عز العلوم ومبطل الشبهات
شهدت له بكمال عقل راجح	وتمام معرفة وحسن ثبات
وصفاء قلب مع نفوذ بصيرة	وصفاته يا صاح خير صفات

مؤلفاته[3]:

لقد ألف الإمام السنوسي الكثير من الكتب التي شملت جميع العلوم إلا أنه لم يطبع منها إلا القليل، وأغلب المطبوع منها ما كتبه في العقائد الذي أجاد فيها وأفاد، ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

في العقائد:

١ ـ عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرجة من ظلمة وربقة التقليد، المسماة: بـ «العقيدة الكبرى»، وعليها العديد من الشروحات، منها: «عمدة أهل التوفيق»، و«التسديد» للمؤلف نفسه، طبع بالقاهرة سنة (١٣١٨هـ) وعليه الكثير من الحواشي منها:

---

(١) لقد كتب تلميذه الملالي سفراً حافلاً فيه مناقب شيخه في كتابه «المواهب القدسية في المناقب السنوسية»، وقد نقل عنه التنبكتي كثيراً في كتابه «كفاية المحتاج» (٢/ ٢٠٨ـ٢٠٩) و«نيل الابتهاج» (ص٣٢٥).

(٢) «درة الحجال» (٢/ ١٤١)، «دوحة الناشر» لابن عسكر (ص١٢١)، و«نفخ الطيب» لأحمد بن محمد المقَّري (٢/ ٥٥).

(٣) «فهرس الفهارس» في الظاهرية (٢/ ١٩٩٩)، و«معجم أعلام الجزائر» (ص١٨٠)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٦/ ٢١٦)، و«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٧/ ٤٦٩)، خير الدين الزركلي في «الأعلام» (٧/ ١٥٤) والبغدادي في «إيضاح المكنون» (٢/ ١٠٩، ٤٤٨، ٦٥١).

* حاشية الحسن بن مسعود اليوسي (ت١١١١هـ).

* حاشية رمضان بن عبد الحق العكاري (ت١١٦٣هـ).

* حاشية أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجوري (ت٩٩٥هـ).

* حاشية محمد بن عبد الله الدياحي (ت١١٢٣هـ).

* حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ).

* حاشية محمد عليش المصري المسمىٰ بـ«هداية المريد» (ت ١٢٩٩هـ).

* حاشية محمد بن قاسم حبسوس الفاسي.

٢ ـ عقيدة أهل التوحيد الصغرىٰ، أو أم البراهين، طبع في القاهرة عدة طبعات، وكذا في ماليزيا والهند وسائر البلاد الإسلامية، ولسعة انتشارها واعتبارها العمدة عند أغلب المتأخرين؛ كثرت شروحه والحواشي علىٰ شروحه كما تقدم العديد بنظمه، فمن شروحه التي تزيد علىٰ الستين.

٣ ـ توحيد أهل العرفان ومعرفة رسوله والبرهان، وعليها عشرة حواشي هي:

* حاشية داود بن سيد عبد الرحمن (ت١٠٧٨هـ).

* حاشية أبي مهدي عيسىٰ بن عبد الرحمن الكناني (ت١٠٦٢هـ).

* حاشية أحمد الدردير (ت١٢٠١هـ).

* حاشية الدسوقي، وقد طبع في القاهرة مراراً.

* حاشية البيجوري.

* حاشية محمد بن أبي قاسم بن نصر الفجيجي.

* حاشية علي محمد المجدولي (ت١١٠٤).

* حاشية أبي زكريا يحيىٰ الزواوي.

* حاشية الحسن بن يونس الزياتي (ت١٠٢٣هـ).

* حاشية يحيى الشاقر المغربي (١٠٩٦هـ).

* فتح المبين لمحمد بن محمد بن إبراهيم التلمساني.

ج ـ إتحاف المغرم لأحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ).

د ـ إتحاف المريد لأحمد بن عبد الله الفدامسي المصري.

* شرح محمد بن منصور الهدهدي.

٣ ـ الجمل أو المرشدة أو السنوسية الوسطى مع شرح المؤلف له وعليه أربعة حواشي.

٤ ـ شرح المنظومة الجزائرية أو العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد.

٥ ـ شرح الفوائد الحوفية «المستوفي شرح فرائض الحوفي».

٦ ـ المقدمات مع شرح مؤلفه، وهي مختصرات في علم التوحيد.

٧ ـ البرهان على أن كل صيغ التوحيد تحتوي على صفات الذات الإلهية مع شرح مؤلفه كلمتي الشهادة.

في الحديث الشريف وعلومه:

* مكمل إكمال شرح صحيح مسلم. طبع في الرياض سنة (١٩٧٥م) بعشر مجلدات.

* مختصر شرح الزركشي على صحيح مسلم.

* مختصر الروض للسهيلي.

* ترجمة المقالة النبوية.

في التفسير وعلوم القرآن:

* مختصر التفتازاني على الكشف.

* شرح الشاطبية (لم يكمل).

* مختصر القراءات السبع.

* شرح وتفسير فاتحة الكتاب.

* تفسير القرآن الكريم.

* شرح أسماء الله الحسنى.

وللإمام السنوسي مؤلفات في العلوم الأخرى غير ما ذكرنا مثل:

* شرح جواهر العلوم للعضد الإيجي.

* مختصر بغية السالك في أشرف المسالك ـ فقه مالكي ـ.

* شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه.

* كتاب عمدة ذوي الألباب.

* مقدمة في المنطق، وعليه أكثر من عشرة شروحات.

* شرح متن إيساغوجي.

* اختصار الرعاية للمحاسبي.

* شرح أرجوزة أين البناء.

* شرح المقدمة في الجد والمقابلة لابن ياسمين.

* شرح نظم الحباك في الإسطرلاب.

* الطب النبوي في كتابه: تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية في غامض أسرار الصناعة الطبية.

شيوخه وتلامذته:

أخذ الإمام السنوسي علومه المختلفة عن عدد من فحول العلماء، منهم:

ـ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، إمام في النحو والأدب واللغة والتفسير.

ـ أبو الحسن علي بن عمر القلصاوي، إمام في الحديث والأدب والشعر والتاريخ.

ـ أبو سالم إبراهيم بن محمد التاذي نزيل وهران، شاعر وعالم وأديب وصوفي، إمام في علوم القرآن واللسان، وهو الذي ألبس السنوسي الخرقة الصوفية.

ـ أبو عبد الله بن العباس، شارح لامية مالك، ضليع في النحو كابن عقيل.

ـ أبو عثمان قاسم العقباني، علامة بالأصول والفروع.

ـ أبو عثمان سعيد المنوئي، متكلم ومتبحر في علوم المنطق.

ـ نصر الزواوي، علامة ومفسر وفقيه ونحوي كبير.

ـ الحسن أبركان الراشدي، علم في التصوف والتوحيد، وكان شديد الحب لتلميذه السنوسي.

ـ الشريف أبو الحجاج، يوسف بن أبي العباس الحسني، أخذ عنه القراءات.

ـ العالم أبي عبد الله الجنداب، أخذ عنه علم الإسطرلاب.

ـ يوسف بن شعيب السنوسي، والده، أخذ عنه علوم القرآن والقراءات.

ـ أبو الحسن علي التالوتي، أخوه من أمه، فقيه في المذهب المالكي.

تلامذته:

ومن تلامذته الذين تخرجوا على يديه أئمة في مختلف العلوم، ومن أهم هؤلاء الأعلام:

ـ محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الملالي، كان ملازماً لشيخه، فألف كتاب «المواهب القدسية في المناقب السنوسية» في أقوال وسيرة السنوسي ومؤلفاته وحياته.

ـ أبو القاسم عبد الله بن عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الفكيكي إمام محدث.

ـ أحمد بن أبي حيده، كان بارعاً في أغلب العلوم والفنون النقلية والعقلية.

ـ أبو العباس أحمد المعروف بابن أقدار، كان شيخاً فاضلاً، وإماماً في علم الكلام.

ـ أبو عبد الله بن العباس، كان على سنن السنوسي علماً وسلوكاً.

ترجمة الشارح

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي

اسمه ونسبه ومولده[١]:

هو عبد الغنيِّ بن إسماعيل بن عبد الغنيِّ بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي، الحنفي مذهباً، القادري مشرباً، النقشبنديِّ طريقةً.

ولد الشيخ عبد الغني بمدينة دمشق في دار جده لأمه في سوق القطن في زقاق المصبنةِ مقابل الباب القبلي للجامع الأموي، في الخامس من ذي الحجة سنة خمسين وألف، وقد بشَّر أمه بصلاحه قبل ولادته اثنان من أهل الصلاح، وهما: الشيخ محمود بن الحلواني الصالحي[٢]؛ حيث أعطىٰ أمَّه درهماً فضياً، وقال لها: سميه عبد الغني؛ فإنه منصور، والشيخ حسين بن فرفرة الدمشقيِّ الذي قال لأمه: أبشري بالغلام الكريم، وكانت أمه أثناء الحمل ترىٰ المنامات السارة والبركات الباطنة والظاهرة، وقد بشَّر به الشَّيخ الأكبر ـ ابن عربي ـ بقوله: سوف أظهر في الشام وأسمىٰ بعبد الغني، فمن ذلك ما قاله في «فتوحاته»:

ألا أنني عبد الغني لذاته ... وليس سواه فالغني هو الله

نشأ الشيخ النابلسي في بيت صلاحٍ ودين وعلمٍ، فأبوه الشيخ إسماعيل كان شيخ

---

(١) انظر: «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ٣٠ ـ ٣٨)، و«الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود الصالحي» للشيخ عبد الغني النابلسي، (لوحة: ٧٨)، و«شذرات من ترجمة عبد الغني النابلسي» لمؤلف مجهول برقم(٣٨٧٧) (لوحة: ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) هو محمود بن الحلواني الصالحي أبو الفيض الدمشقي، كان تقياً صالحاً، صاحب كرامات، وكان منزله مزار الشيخ يوسف القميني الصفدي المتوفىٰ سنة (٦٥٧ هـ) في سفح جبل قاسيون، وتوفي في اليوم الثاني من ولادة الشيخ عبد الغني. انظر: المصدر السابق

مشايخ الشَّام وكبيرها، ولديه ميراثٌ كبيرٌ من الكتب والمراجع التي ورِثَها عن أبيه الذي كان عالماً من أصحاب التآليف، وكان الشيخ إسماعيل صوفياً على مذهب الشيخ الأكبر متأثراً به بشكل كبير، وقد اهتم والده بتعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، وطلب العلم والمعرفة، وقد كان يحضر دروس والده في التفسير حتى يتعلم منه؛ حيث استطاع أن يحفظ القرآن على يد والده وهو في سن التَّاسعة من عمره.

شيوخه:

كان والده أهمَّ شيخٍ في حياته؛ حيث تأثَّر به وحفظ القرآن على يديه، وقد أخذ عليه علم التصوف وكان تأثره خاصةً بالشَّيخ الأكبر، وبعد وفاة والده سنة (١٠٦٢ هـ) أكمل سيرته العلميَّة والمعرفيَّة والتصوف على عدد من العلماء والفقهاء،وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق الكيلاني الذي يرجع نسبه للشيخ عبد القادر الجيلاني سنة (١٠٧٥ هـ) وعند المبايعة أعطى الشيخ عبد الرزاق للشيخ عبد الغني سيفاً وأخبره أنه تلقاه عن آبائه، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أبي سعيد البلخي سنة (١٠٨٧ هـ) وألبسه الخرقة، وأعطاه رسالةً متعلقةً بالطريقة، وأمره أن يشرحها، فشرحها شرحاً سماه «المعية في شرح الطريقة النقشبندية»، أما علومه المتنوعة فقد تلقاها عن عددٍ من العلماء أذكر بعضهم كما يلي:

* قرأ النَّحو والمعاني والبيان والصرف على يد الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق وأعلم العلماء في عصره[١](ت١٠٩٤ هـ).

* أخذ الحديث ومصطلحه عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي الدمشقي المحدِّث المقرئ الشهير بـ«ابن البدر» (ت١٠٧١ هـ).

* والشيخ محمد بن أحمد الأسطوني الدمشقيِّ الحنفي الفقيه الواعظ[٢](ت١٠٧٢ هـ).

* والشيخ محمد بن تاج الدين أحمد المحاسني، الدمشقيِّ، الحنفي، خطيب جامع دمشق؛ وكان جامعاً لأشتات العلوم حيث أخذ منه التفسير والنحو، (ت١٠٧٢ هـ)[٣].

---

(١) انظر: «الورد الأنسي» للغزي (لوحة:٥٦) رقم المخطوط(٢٨١)، و«خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٢٩).

(٢) «خلاصة الأثر» (٣/ ٣٨٦) و«الورد الأنسي» (لوحة:١٠٠).

(٣) انظر: «خلاصة الأثر» (٣/ ٤٠٨)و«الورد الأنسي» (لوحة: ٩٩).

* والشيخ محمد بن بركات بن مفرّج الحموي، الدمشقي، الشافعي الكواني حيث قرأ عليه القرآن والفقه، (ت١٠٧٦ هـ)[١].

* والشيخ كمال الدين بن محمد بن يحيىٰ الدمشقي، الشافعي، الشهير بالفرضي كان من أتقياء العلماء، قرأ عليه الشيخ النابلسي الحساب والعربية والفرائض.

* والشيخ محي الدين محمد بن يحيىٰ، العالم الزاهد الورع، قرأ عليه مبادئ العلوم وأجازه عدة إجازات، (ت١٠٩٠ هـ)[٢].

* أجازه من مصر الشيخ علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشبراملسي الشافعي[٣].

* والشيخ محمد بن كمال الدين محمد الشهير بابن حمزة نقيب الأشراف بدمشق، كان عالماً زاهداً، (ت١٠٨٥ هـ).

تلامذته:

* محمد بن إبراهيم بن محمد الشهير بالدكدكجي، أخص تلاميذ الشيخ النابلسي وأكثرهم خدمة له (ت١١٣١ هـ).

* عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الشهير بابن عبد الرزاق الحنفي، الدمشقيِّ، فقيه وأديب، كان خطيب جامع السنانية (ت ١١٣٨هـ)[٤].

* محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ)[٥].

* أحمد بن محمد بن أمين الدمشقيِّ الشهير بابن الزهيري (ت١١٥٣هـ)[٦].

---

(١) انظر: «خلاصة الأثر» (٣/ ٤٠٤).
(٢) انظر: «الورد الأنسي» (لوحة: ١٠٠ _ ١٢٤)
(٣) انظر: «خلاصة الأثر» (٣/ ٣٨٦).
(٤) انظر: «سلك الدرر» (٢/ ٢٦٦).
(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/ ١٤).
(٦) «سلك الدرر» (١/ ١٦٩).

* مصطفىٰ بن كمال الدين بن علي الصدِّيقي، الحنفي، لازم الشيخ عبد الغني، وقرأ عليه كتب التصوف، وله كتاب «الفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا عبد الغني» (ت١١٦٢هـ)[١].

* أحمد بن علي المنيني، الطرابلسي (ت١١٧٢هـ).

* حسين بن طعمة البيتماني، الدمشقيِّ، القادري، لازم الشيخ النابلسي مدة تزيد علىٰ خمس عشرة سنة، وأخذ عنه وقرأ عليه في علم الحقيقة (ت١١٧٥هـ)[٢].

* أحمد بن محمد بن طه المقدسي، الدمشقيِّ، الصالحي، الشافعي (ت١١٨٠هـ).

* عبد الوهاب بن مصطفىٰ بن إبراهيم، الحنفي، الدمشقيِّ المعروف بالدكاكي له مهارةٌ بالعلوم (ت١١٨٩هـ).

ي ـ كمال الدين الغزي، مؤلف كتاب «الورد الأنسي عن حياة الشيخ عبد الغني» ويحمل تفصيلات كاملة عن حياته، وكان ملازم له[٣].

تصوفه:

يعد الشيخ عبد الغني النَّابلسيِّ من أقطاب الصوفية في زمانه، وتعود أهميته إلىٰ الأثر الذي تركه في عصره من الدعوة إلىٰ الحق، فقد كان مجدداً لمذهب الشيخ الأكبر، كثير المطالعة لكتبه، وقد قام الشيخ باعتزال النَّاس وانكب علىٰ علمه مدة سبعة سنين في داره قرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين والذي كان اشتراه جده الأعلىٰ إسماعيل الكبير.

وحين بلغ الشيخ النابلسي سن الأربعين دخل خلوة في بيته استمرت سبع سنين،وكان يتقطعها وقت لزيارة بعض الصوفية والأصدقاء، ولكنه لم يتوقف عن التدريس في منزله، ومع بداية الخلوة ترك دراسة علوم الظاهر ـ الفقه، والأدب، والحديث ـ وكرَّس بقية حياته

(١) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٤٧٢).
(٢) «سلك الدرر» (٢/ ٥٢).
(٣) «سلك الدرر» (٣/ ١٤٤).

لدراسة وشرح كتب ابن عربي، وعند خروجه من خلوته كان قد رسخت قدمه على طريق التصوف، وأقبل الكثير عليه للتبرك فيه والتماس صالح دعواته، وكانت له كرامات كثيرةٌ لا يجب أن تحكى عنه، وكان يكثر من قيام الليل، ويصلي التراويح في داره إماماً إلى أن مات، وكان الشيخ النابلسي يحب الفقراء ويحب الصالحين وطلبة العلم ويكرمهم ويبذل جاهه بالشفاعة الحسنة[1].

شاعريته:

لقد توافر للشيخ النابلسي الموهبة الشعرية والحاسة الأدبية، ووجد من عوامل الثقافة والفكر ومن المصادر الأدبية والعلمية مضاف إليها تتلمذه على أقطاب العلماء والأدباء ما فتح أمامه الطريق لينبغ في الشعر وصياغته بأساليبه الفصحى واستخدامه لألفاظها وتراكيبها بما يتفق، وسلامة التعبير وعدم اللحن، وقد دخل الشيخ النَّابلسيِّ عالم الشعر الصوفي من أوسع أبوابها، فكانت له عدة دواوين في مدح المصطفى ﷺ وفي تبيان المواجيد الإلهية، والتجليات الربانية، والفتوح القدسية، وأهم دواوينه هي:

* ديون الإلهيات الذي سماه: «ديوان الحقائق وميدان الرقائق». ط
* ديوان المدائح النبوية المسمى: «نفحة القبول في مدحة الرسول[2]». ط
* ديوان المدائح المطلقة والمراسلات والألغاز.
* ديوان الإلهيات الذي سماه: «الحقائق وميدان الرقائق». ط
* ديوان الغزليات المسمى: «خمرة بابل وغناء البلابل». ط
* ديوان المدائح المطلقة والمرسلات والألغاز، وغير ذلك. خ

---

(١) أنظر: «سلك الدرر» (٣/ ٣١ـ٣٢ـ٣٨).

(٢) مرتب على الأحرف الأبجدية، كل حرف قصيدة مؤلفة من (٥٠) بيتاً جميعها في مدح الرسول ﷺ، وقد أشار الشيخ عبد الغني إلى أنه لم يأخذ في هذا الديوان أياً من أشعاره السابقة في هذا المدح الشريف، وأن جميع الأبيات كانت ارتجالية.

* زبد الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة. خ

* رسالة في معنىٰ البيتين: «رأت قمر السماء فأذكرتني». خ

* الروض المعطار بروائق الأشعار. خ

* شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية. خ

* العبير في التعبير ـ نظماً من بحر الرجز ـ. خ

* العقد النظيم في القدر العظيم في شرح بيت من بردة المديح. خ

* كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض. خ

* الكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزالي. خ

* منظومة في ملوك بني عثمان. خ

* شرح البديعية، المسماة: «نفحات الأزهار علىٰ نسمات الأسحار في مدح النبي المختار»

* النظر المشرفي في معنىٰ قول الشيخ عمر بن الفارض. «عرفت أم لم تعرف». خ

رحلاته:

كان الشيخ عبد الغني النابلسي رحَّالة كثير الرحلات والتجوال في مختلف البلاد، ومن أهم رحلاته ما يلي:

* رحلة إلىٰ بغداد ـ مقر الخلافة ـ سنة خمسة وسبعين وألف وقضىٰ بها مدة قليلة.

* رحلة إلىٰ البقاع وجبل لبنان سنة (١١٠٠هـ).

* رحلة إلىٰ القدس والخليل سنة (١١٠١هـ).

* رحلة إلىٰ مصر والحجاز سنة (١١٠٥هـ).

* رحلة إلىٰ طرابلس الشام سنة (١١١٢هـ).

وقد كانت لهذه الرحلات آثار هامة في كتابات الشيخ عبد الغني، حيث ألف كتب

«الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز»، وكتاب «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، وكتاب «التحفة النَّابلسية في الرحلة الطرابلسيَّة».

وفاته:

توفي الشيخ عبد الغني النابلسي في الخامس عشر من شعبان يوم الأحد قبل الظهر بداره الجديدة بالسَّهم الأعلىٰ لصيق حمام الكاس شرقي العمرية، وغسل ثاني يوم وفاته الثلاثاء يوم ختم درسه، ودفن في قبته التي أنشأها للكتب في داره[١].

وقد بنىٰ الشَّيخ مصطفىٰ النَّابلسي إلىٰ جانب ضريحه جامعاً يزار، وجدِّد هذا الجامع سنة (١٤١٠ هـ) وجُعِلت فيه مدرسة أيضاً.

أهم مؤلفاته:

ترك الشيخ عبد الغني الكثير من المصنفات التي تعالج مواضع كثيرة منها:

الكتب الصغار وفيها المجلدات الكبار، ويذكر الكمال الغزي أن عدد مؤلفاته بلغت ثلاث مئة مؤلف[٢].

وقد وصف المحبي صاحب كتاب «نفحة الريحان» مؤلفات الشيخ بقوله: وتآليفه تكاثر السحب المواطر، حشوها فوائد عقلة الأفكار وقيد الخواطر[٣].

ولغرض الوصول إلىٰ أهم مؤلفاته يوجد في مكتبة الأسد دفتر محرر بخطه بعنوان: «كتب النابلسي[٤]» خاص بالشيخ تحت رقم (٥٩٥٢) أشير فيه إلىٰ عناوين الكتب التي ألفها الشيخ، والتي بلغت سبعة ومئتي كتاب، ومن أهم مؤلفاته أذكر ما يلي:

في علم التصوف:

* أوراد سيدي عبد الغني النابلسي. ط

---

(١) انظر: «يوميات شامية» لمحمد بن كنان الصالحي (ص١٤٥ ـ ٤١٦)

(٢) انظر: «الورد الأنسي» (لوحة: ١٣٢/ ب) و«الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٣) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ١٣٧).

(٤) انظر: (لوحة: ٨٧/ ب) من هذا الدفتر.

* تحقيق الذوق والرشف في معنى المخالفة بين أهل الكشف[١]. خ

* تقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود. خ

* جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص. ط

* الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية. ط

* خمرة الحان ورنة الألحان في شرح رسالة الشيخ أرسلان. ط

* زهرة الحديقة في ترجمة رجال الطريقة. ط

* شرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني. خ

* شرح نظم قبضة النور المسمى: «نفخة الصور ونفحة الزهور». خ

* الظل الممدود في معنى وحدة الوجود. خ

* العقود اللؤلؤية في طريق السادة الملوية. ط

* غاية المطلوب في محبة المحبوب. ط

* مفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية. خ

* مناغاة القديم ومناجاة الحكيم[٢]. خ

* ورد المتين على منتهض العارف محيي الدين. خ

في التفسير والقراءات:

* رفع الكساء عن عبارة البيضاوي في سورة النساء. خ

* شرح أنوار التنزيل للبيضاوي. خ

---

(١) ألفه عام ١٠٨٩ هـ وهو برقم (٦٩٧٩) بمكتبة الأسد بدمشق، بين فيه هل هناك خلاف في الكشف من حديث طريق وصول كل عارف إلى الله، أم أن الكل يسيرون على درب واحد وهو الكتاب والسنة، وينتهون إلى مراد واحد هو الله تعالى.

(٢) وهو في ثمانية عشر فصلاً، كلٌّ منها مناجاة ومحادثة بين العبد والرب عند انكشاف الستر ورفع الحجب.

* القول القاصم في قراءة حفص عن عاصم[١]. خ

* كفاية المستفيد في علم التجويد[٢]. خ

في الحديث:

* تحفة ذوي العرفان في مولد سيد ولد عدنان (ط).

* الجواب عن عبارة في الأربعين النووية في قوله: (رويناه). خ

* ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث[٣]. ط

* كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين. خ

* رسالة في قوله عليه الصلاة والسلام: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً». خ

* نهاية السول في حلية الرسول صلى الله عليه وسلم. خ

* برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت[٤]. خ

في الفقه:

* إيضاح الدلالات في جواز سماع الآلات. ط

* بغية المكتفي في جواز المسح على الخف الحنفي. خ

---

(١) هذه الرسالة منقولة من دفتره المحرر بخطه بعنوان: «كتب النابلسي»، تحت رقم (٥٩٥٢) ولم أعثر على اسمها ولا رقمها في المكتبة الظاهرية.

(٢) كذلك منقولة من دفتره المحرر، ولم أعثر على اسمها ولا رقم لها في الظاهرية.

(٣) وهو في أربع مئة وسبع وثلاثين ورقة، ألفه عام ١١١١ هـ وهو من أنفس ما ألفه الشيخ النابلسي، ويعتبر بداية ممتازة لمعجم السنة النبوية، جمع فيه أطراف الأحاديث النبوية.

(٤) وهو في أربعين ورقة برقم (٦٩٧٩) ألفه عام ١١٣٠ هـ، ويذكر الشيخ النابلسي أنه قابل وزير الشام فسأله عن عصمة الملائكة وأخرج له كتاباً لبعض علماء الروم ينفي أن تكون القصة المروية من وضع اليهود، فعزم على تأليف هذا الكتاب، لإثبات عصمة الملائكة، وتفنيد المروي من أن هاروت وماروت اقترفا جريمة الزنا، ومناقشة الأحاديث الواردة في ذلك.

* تحصيل الأجر في حكم أذان الفجر. خ

* تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد. خ

* تحفة الناسك في بيان المناسك. خ

* تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية. ط

* الجواب الشريف للحضرة الشريفة أن مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة. سوف يطبع بتحقيقنا.

* خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق. ط

* رفع العناء عن حكم التفويض والإسناد في نظم الوقف. خ

* ريع الإفادات في ربع العبادات. خ

* سرعة الانتباه لمسألة الاشتباه. خ

* صدح الحمامة في شروط الإمامة. خ

* الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان. ط

* غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة. خ

* كشف الستر عن فريضة الوتر. ط

* كفاية الغلام في أركان الإسلام على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان. ط

* الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة. خ

* النعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ. خ

* نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد في فقه الحنفية. ط

* الابتهاج بمناسك الحاج.

* الأبحاث المخلصة في حكم كي الحمصة[1].

---

(١) ألفه عام ١٠٩٨ هـ، وهو برقم (١٥٢٢٤)، ويبحث في حكم علاج الإنسان بالكي في بعض مواضع من جسده، وحكم استعمال الحمصة لاستدامة رشح الماء من المكان المريض.

* إبانة النص في مسألة القص. ط

* شرح الأشباه والنظائر. خ

في اللغة والنحو:

* الاقتصاد في النطق بالضاد. خ

* تشريف التغريب في تبرئة القرآن عن التعريب. خ

* طلوع الصباح على خطبة المصباح. خ

* الكشف عن الأغلاط التسعة من بيت الساعة من القاموس. خ

* رفع الاشتباه عن علمية اسم الله. خ

* رفع الستور عن متعلق الجار والمجرور ـ في عبارة خسرو ـ والشمس على جناح طائر في مقام الواقف السائر. خ

في علم الكلام:

* إسباغ المنة في أنهار الجنة. خ

* تحريك اليد في فتح باب التوحيد. خ

* تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد. خ

* تحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على الاختيار. خ

* رد الحجج الداحضة على عصبية الغي الرافضة. خ

* صرف الأعنة في عقائد أهل السنة. خ

* صفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء. خ

* الكوكب الوقاد في حسن الاعتقاد. خ

* لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار. ط

* الأنوار الإلهية في شرح المقدمة السنوسية. وهو كتابنا هذا.

* اللطائف الأنسية على المنظومة السنوسية. سوف يطبع بتحقيقنا.

* المطالب الوفية شرح الفرائد السنية «منظومة الشيخ أحمد الصفدي». خ

* رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب. خ

* التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي[(١)]. خ

* رائحة الجنة في شرح عقائد أهل السنة[(٢)]. خ

* الفتح الرباني والفيض الرحماني. ط

في الخطب:

* أنوار الشموس في خطب الدروس. خ

* المجالس في مواعظ أهل البلاد الرومية. ط

* مجموع خطب التفسير وصل فيه ست مئة خطبة واثنتين وثلاثين. خ

في الرحلات والاجتماع:

* التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية. خ

* الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية. ط

* الحقيقة والمجاز في بلاد الشام ومصر والحجاز. خ

* الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية. ط

* حلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز. خ

---

(١) يوفق فيه بين معتقد الحنابلة والأشاعرة في كلام الله، وقرر أنهما من أهل السنة وأن الخلاف بينهما إنما هو في الألفاظ لا في الجوهر. موجود برقم ٦٨٨١.

(٢) وهو شرح منظومة للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، ويقع في(٤٩) ورقة برقم ٩٨٧٥.

* تعطير الأنام في تعبير المنام. ط

* علم الملاحة في علم الفلاحة. ط

* الكشف والتبيان عما يتعلق بالنسيان. خ

الشيوخ:

الرسوخ في مقام الشيوخ، أوضح فيه منزلة الشيوخ لدى التلاميذ، وله شروح ومختصرات لبعض كتب من تقدمه من الأئمة يطول ذكرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

متن السنوسية المعروف بـ«أم البراهين»

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسُولِ الله.

اعلم أَنَّ الحُكمَ العقليَّ ينحَصـرُ في ثَلاثَةِ أَقسَامٍ: الوجُوب، والاستحَالةِ، والجَوَاز.

فالواجِبُ: مَا لا يتَصوَّرُ في العَقلِ عَدَمُهُ، والمستَحيل:مَالاَ يتَصَوَّرُ في العَقلِ وجُودُه، والجائز: مَا يَصِحُ في العَقلِ وجُودُهُ وعَدَمُهُ. وَيَجِبُ عَلىٰ كُلِّ مكلَّفٍ شَرعَاً أَن يَعرِفَ مَا يجبُ في حَقِّ مَولاَنا جَلَّ وَعَزَّ، وَمَا يَستَحِيلُ، وَمَا يجوز، وَكَذَا يجِبُ عَليه أَنْ يَعرِفَ مِثلَ ذَلِكَ في حَقِّ الرُّسُلِ عَليهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ.

فَمِمَا يَجِبُ لمولاَنَا جَلَّ وَعزَّ عِشرُونَ صِفَةً وهي: الوجُودُ، وَالقِدَمُ، وَالبَقَاءُ، وَمخَالفَتُهُ تَعالَىٰ للحَوَادِثِ، وَقِيَامُه تَعالَىٰ بِنَفسِهِ؛ أي: لاَ يَفتَقِرُ إلَىٰ محلٍ، وَلاَ مُخُصِّص، وَالوحدَانيَّةُ؛ أي: لاَ ثَانيَ لَهُ في ذَاتِهِ، وَلاَ في صِفَاتِهِ، وَلاَ في أَفعَالهِ.

فَهَذهِ سِتُّ صِفَاتٍ: الأُولَىٰ نَفسيَّة وَهي: الوجُودُ، وَالخَمسَةُ بَعدَها سِلبيَّةٌ، ثمَّ يجِبُ لَهُ تَعالَىٰ سَبْعُ صِفَاتٍ تُسَمَّىٰ صِفَاتُ المعَاني وهي: القُدَرةُ، وَالإِرَادَةُ المتَعلِّقَتَانِ بجَميعِ المُمكنَات، وَالعِلمُ المتَعَلِّق بجَميع الوَاجِبَاتِ، وَالجَائِزَاتِ، وَالمستَحيلاَتِ، وَالحَياةُ وَهي: لاَ تتَعلَّق بشيءٍ، وَالسَّمعُ والبَصَرُ المتعلِّقَان بَجميعِ الموجُودَاتِ، وَالكَلاَمُ الذي لَيسَ بحَرفٍ وَلاَ صَوتٍ، وَيتَعلَّقُ بمَا يتَعلقُ به العِلمُ مِن المتَعلَّقَاتِ.

ثمَّ سَبعُ صِفَاتٍ تُسمَّىٰ صِفَاتٍ معنَويَّةً وهي مُلاَزِمةٌ للسَبعِ الأُولَىٰ، وهي: كَونُه تَعَالَىٰ قَادِراً، وَمريداً، وَعَالِماً، وَحَيَّاً، وسَميعَاً، وَبَصيراً، وَمتكلِماً، وَمِمَّا يَستَحيلُ في حَقِّهِ تعالَىٰ عِشرُوْنَ صِفَة، وَهي أضدَاد العشرين الأُولَىٰ وَهي: العَدَمُ، وَالحدُوثُ، وطرو العَدَم، وَالمماثَلَةُ للحَوَادِثِ؛ بأَن يكونَ جِرمَاً، أي: تَأخُذَ ذاتُهُ العَليَةُ قَدراً مِنَ الفَرَاغ، أو يَكُونَ عرضَاً يَقُومُ بِالجِرْمِ، أو يَكُونَ في جِهَةٍ للجرمِ، أو لَهُ هُوَ جِهَةٌ، أو يتَقيَّد بِمكَانٍ، أو زَمَانٍ، أو تتَّصِفَ ذاتُهُ

العليَّة بالحَوادِثِ، أو يتَّصِفَ بالصِّغرِ أو الكِبَر، أو يتَّصِفَ بالأَغرَاض في الأَفعَالِ أو الأَحكامِ وَكذَا يَستَحيلُ عَليهِ تَعالىَ أنْ لاَ يَكُونَ قَائماً بنفسهِ بأَن يَكُونَ صِفَةً يَقُومُ بمَحَلٍّ، أو يحتَاجُ إلى مخَصِّصٍ، وَكذَا يَستَحيلُ عَليهِ تَعالىَ أنْ لاَ يَكُونَ وَاحِداً بأَنْ يَكُونَ مركباً في ذَاتِهِ، أو يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ في ذَاتِهِ أو صِفَاتِهِ، أو يَكُونَ مَعَهُ في الوجُودِ مُؤَثرٌ في فعلٍ مِن الأَفعَالِ، وَكذَا يَستَحيلُ عَليهِ تَعالىَ العَجزُ عَن ممُكنٍ مَا وَإيجَادِ شَيءٍ مِن العَالَمِ مَعَ كرَاهَتِهِ لوجُودِهِ، أي: عَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالىَ، أو مَعَ الذُهُول، أو الغَفلَةِ، أو بالتَّعليلِ، أو بِالطَّبعِ[1]، وكَذَا يَستحيلُ عَليهِ تَعالىَ الجَهلُ وَمَا في مَعنَاهُ بمَعلومٍ مَا، وَالمَوتُ وَالصَمَمُ، وَالعمَىٰ وَالبَكَمُ، وَأَضدَاد الصِّفَاتِ المعنَوِيَّةِ وَاضِحَةٌ مِن هَذهِ.

وَأَمَّا الجَائِزُ في حَقِّهِ تعالى: فَفِعلُ كُلِّ مُمكنٍ أو تَركِهِ.

أَمَّا بُرهَانُ وجُودِهِ تَعَالىَ:

فَحدُوثُ العَالَمِ؛ لأَنَّهُ لو لَمْ يكن لَهُ مُحدِثٌ، بَل حَدثَ بنَفسِهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَحدُ الأَمرَين المُتَساويين مُسَاوِياً لِصَاحِبِهِ رَاجِحاً عَليهِ بِلاَ سَببٍ وَهُو مُحَال.

وَدَليلُ حُدُوثِ العَالَمِ: مُلاَزَمَتُهُ للأَعرَاضِ الحَادِثَةِ مِنْ حَرَكَةٍ، وَسُكونٍ وَغَيرِهِمَا، وَمُلاَزِمُ الحَادِثِ حَادِثٌ.

وَدَليلُ حُدوثِ الأَعرَاضِ: مُشَاهدَةُ تَغيُّرِهَا مِن عَدَمٍ إِلىَ وجُودٍ، وَمِن وجُودٍ إِلىَ عَدَمٍ[2].

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ القِدَم لَهُ تَعالىَ:

فَلأَنَّهُ لو لَمْ يَكُن قَديماً؛ لَكَانَ حَادِثاً، فَيفتَقِرُ إِلىَ مُحدثٍ فَيلزَمُ الدَّورُ، أو التَّسلسُلُ.

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ البَقَاءِ لَهُ تَعالى:

فَلأَنَّهُ لوَ أَمكَنَ أَنْ يَلحَقَهُ العَدَمُ لاَنتَفَىٰ عَنهُ القِدَمُ لِكونِ وجُودهِ حينَئذٍ يصيرُ جَائِزاً لاَ واجِباً، والجَائِزُ لاَ يَكُونُ وجُودُهُ إلاَّ حَادِثاً كَيفَ وَقدَ سَبقَ قَرِيباً وَجُوبُ قِدَمِهِ تَعالَىٰ وَبَقَائِهِ؟!

---

(١) في نسخ المتن: (أو بالتعليل أو بالطبع).

(٢) في نسخ المتن: (من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم)

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ مخَالفتِهِ تعَالَى للحَوَادِثِ:

فَلأَنَّهُ لَو مَاثَلَ شيئاً مِنهَا لَكَانَ حَادِثاً مِثلَهَا وَذَلِكَ مُحَال، لَمَا عَرفتَ قَبلُ مِن وجُوبِ قِدَمِهِ تَعالىَ وَبَقَائِهِ

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ قِيَامُهُ تَعالَى بنفسِهِ:

فلأَنَّهُ تَعالىَ إلىَ محلٍ لكَانَ صِفَةً، والصِّفةُ لاَ تتَّصِفَ بِصفَاتِ المعَاني، ولاَ المعنَويَّة، وَمولاَنَا جَلَّ وَعزَّ اتصَافُهُ بِهمَا فَليسَ بِصفةٍ، ولَو احتَاجَ إلىَ مخَصَّصٍ لَكَانَ حَادِثاً كيفَ وَقَد قَامَ البُرهَانُ عَلىَ وجُوبِ قِدَمهُ تَعالىَ وَبَقَائِهِ.

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ الوحَدَانيةِ لَهُ تَعالَى:

فَلأَنَّهُ لَو لَمْ يَكُن وَاحِداً لَزِمَ أَنْ لاَ يُوجَدَ شيءٌ مِنَ العَالَمِ للزومِ عَجزهِ حِينَئذٍ.

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ اتِّصَافِهِ تَعالَى بالقُدرَةِ وَالإِرَادةِ وَالعِلمِ وَالحيَاةِ:

فَلأَنَّهُ لَو انتَفَىٰ شيءٌ مِنهَا لَمَا وجِدَ شيءٌ مِنَ الحَوادِثِ.

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ السَّمعِ لَهُ تَعالَى وَالبَصرِ، وَالكلاَمِ:

فالكِتَابُ وَالسنَّةُ وَالإِجمَاع، وَأيضاً لَو لَمْ يتَّصِف بِهَا لِزمَ أَنْ يتِّصِفَ بأَضدَادِهَا وَهي نَقَائِصُ، وَالنَّقصُ عَليهِ تَعالىَ مُحالٌ.

وَأَمَّا بُرهَانُ كونِ فِعلِ المُمكِنَاتِ أو تَركِهَا جَائزاً في حِقِهِ تعالَى:

فَلأَنَّهُ لَو وجَبَ عَليهِ تَعالىَ شيءٌ مِنهَا عَقلاً، أو استَحَالَ عَقلاً لاَنقَلَبَ المُمكنُ وَاجِباً أو مُستَحيلاً وَذلِكَ لاَ يَعقَل.

وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلاَم، فيجب في حَقِّهِم:

الصِدقُ، وَالأَمَانَةُ، وتَبليغِ مَا أُمِروا بتبليغه للخلق، ويَستَحيلُ في حَقِّهم عَليهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم أَضدَاد هَذه الصِّفَات، وهي: الكِذِبُ، وَالخيَانَةُ بِفعلِ شيءٍ مِمَا نُهوا عَنهُ نَهيَ تَحريمٍ أو كَرَاهةٍ، أو كِتمَانِ شَيءٍ مِمَا أُمِروا بتبليغِهِ للخَلق.

وَيَجُوزُ في حَقِّهِم عَليهِمُ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: مَا هُوَ مِنَ الأَعَرَاضِ البَشَرِيَّةِ التي لاَ تؤدِّي لنقصٍ في مَراتِبِهم العَليَّة، كالمَرَضِ ونَحوِهِ.

أَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ صِدقِهم عَلَيهِمُ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ:

فَلأَنَّهُم لَو لَمْ يَصدُقُوا لَلَزِمَ الكَذِبُ في خَبَرِهِ تَعالَىٰ لتَصديقِهِ تعالَىٰ لَهُم بالمُعجِزَةِ النَّازِلَةِ مَنزِلَةِ قولِهِ: صَدَقَ عبديْ في كُلِّ مَا يبَلِّغُ عَني.

وَأَمَّا بُرهَانُ وجُوبِ الأَمَانَةِ لَهم عَلَيهِمُ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ:

فَلأَنَّهُم لَو خَانوا بِفعلِ مُحَرَّمٍ أو مَكروهٍ؛ لانقَلَبَ المُحرَّمُ أو المكروهُ طَاعَةً في حَقِّهِم عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ لأَنَّ الله تَعالَىٰ قدأمَرنَا بالاقتداءِ بِهِم في أَقوَالِهِم وَأَفعَالِهِم، وَلاَ يَأمرُ تَعالَىٰ بمحرَّمٍ وِلاِ مِكروهٍ، وَهذَا بعينِهِ هُو بُرهَانُ وجُوبِ الثَّالثِ.

وَأَمَّا دَليلُ جُوازِ الأَعرَاضِ البَشَرِيَّة عَلَيهِم:

فَمشَاهَدَةُ وقوعِهَا بِهِم، إِمَّا لتَعظيمِ أُجُورِهِم أَو للتَّشريعِ أَو للتَّسلِّي عَن الدُّنيَا، وللتَّنبيهِ[1] لخسَّةِ قَدرِهَا عندَ الله تَعالَىٰ، وَعَدَمِ رضَاهُ بِهَا دَارَ جَزَاءٍ لِأَوليَائِهِ[2] بِاعتبَارِ أَحُوَالِهِم فيهَا عَلَيهِمُ الصَّلاَة وَالسَّلاَم.

وَيَجمَعُ مَعاني هَذهِ العَقَائِدِ كُلِّهَا قَولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله»، إِذ مَعنَىٰ **الأُلوهيَّةِ**: استغنَاءُ الإِلَهِ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَافتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيهِ.

فَمعنَى **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله**: لاَ مُستَغنياً عَنْ كُلِّ مَا سِواهُ، وَمُفتَقِراً إِلَيهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلاَّ الله تَعالَىٰ **أَمَّا استغنَاؤُهُ جَلَّ وَعَزَّ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ فَهُو يُوجِبُ لَهُ تَعالَىٰ**: الوجُودَ، وَالقِدَمَ، وَالبَقَاءَ، وَالمَخالفَةَ لِلحَوادِثِ، وَالقِيَامَ بالنَّفسِ، وَالتَنَزُّهَ عَن النَّقَائِصِ، وَيدخُلُ في ذَلِكَ وجُوبُ السَّمعِ لَهُ تَعالَىٰ، وَالبَصَرِ، وَالكَلاَمِ، إِذ لَو لَمْ تَجِبْ لَهُ هَذهِ الصِّفَاتُ لَكَانَ مُحتَاجاً إِلَىٰ المُحدِثِ أَو المَحَلِ

(١) في نسخ المتن: (أو للتنبيه).

(٢) في نسخ المتن: (لأنبيائه) بدل: (لأوليائه)، والمثبت كما في نسخ الشرح، وقد بيَّنه بقوله في الشرح: (فمراده هنا بـ«الأولياء»: ما يعُمُّ الأنبياء عليهم السلام.

أو مَن يَدفَعُ عَنهُ النَّقَائِص وَيُؤخَذُ مِنهُ تَنَزُّهُهُ تعالىٰ عَن الأَغرَاضِ في أَفعَالِهِ وَأَحكَامِهِ وَإلاَّ لَزِمَ افتقَارُهُ إلىٰ مَا يحَصِّلُ غَرَضُهُ كيفَ وَهُو جَلَّ وَعَزَّ الغنيُّ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَيُؤخَذُ مِنهُ أَيضَاً: أَنَّهُ لاَ يجِبُ عَليهِ تَعالىٰ فِعلُ شيءٍ مِن الممكِنَاتِ[1] عقلاً وَلاَ تَركُهُ، إذ لَو وَجَبَ عَليه تَعالىٰ شَيءٍ مِنهَا عقلاً كَالثَّوَابِ مَثَلاً؛ لَكَانَ جَلَّ وَعزَّ مُفتقِرَاً إلىٰ ذَلِكَ الشَّيءِ ليَتكمَّل بهِ غَرَضُهُ، إذ لاَ يجِبُ في حَقِّهِ تَعالىٰ إلاَّ مَا هُوَ كمالٌ لَهُ كيفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الغَنيُّ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ؟!

وَأَمَّا افتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ[2] إليه جَلَّ وَعَزَّ فَهوَ يُوجِبُ لَهُ تَعالىٰ: الحَيَاةَ، وَعمُومَ القُدرةِ وَالإرَادَةِ وَالعِلمِ؛ إذ لَو انتفَىٰ شيءٌ مِنهَا لَمَا أَمكَنَ أَن يُوجدَ شَيء مِنَ الحُوَادِثِ فَلاَ يَفتَقِرُ إلَيهِ شيءٌ كَيفَ وَهُوَ الذي يَفتَقِرُ إليهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ.

وَيُوجِبُ أَيضاً لَهُ تَعالىٰ[3]: الوَحدَانيَّة، إذ لَو كَانَ مَعهُ ثَانٍ في الأُلُوهيَّةِ لَمَا افتَقَرَ إلَيهِ شَيءٌ لِلُزُومِ عَجزِهِمَا حِينَئِذٍ كَيفَ وَهُوَ الذي يَفتَقِرُ إلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ؟!

وَيؤخَذُ مِنهُ أَيضَاً حُدوثُ العَالَمِ بِأَسرِهِ إذ لَو كَانَ شيءٌ مِنهُ قَدِيماً لكَانَ ذَلِكَ الشيءُ مُستَغنِيَاً عَنهُ تَعالىٰ كيفَ وَهوَ الذي يجِبُ أَن يَفتَقِرَ إلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ؟!

وَيُؤخَذُ مِنهُ أَيضَاً أَنْ لاَ[4] تَأثِيرَ لِشيءٍ مِنَ الكَائِنَاتِ في أَثرٍ مَا وَإلاَّ لَزِمَ أَنْ يَستغنيَ ذَلِكَ الأَثرُ عَن مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ كيفَ وَهُوَ الذي يَفتَقِرُ إلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ عمُومَاً؟!

وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ: هَذَا إنْ قدَّرتَ أَنَّ شيئَاً مِنَ الكَائِنَاتِ يُؤَثِّرُ بطَبعِهِ، وَأَمَّا إنْ قَدَّرتهُ مُؤثِّرَاً بِقوةٍ جَعلَهَا اللهُ فيهِ كَمَا يَزعمُهُ كثيرٌ مِنَ الجَهَلَةِ فَذَالِك[5] مُحالٌ أيضاً؛ لأَنَّهُ يَصيرُ حينَئِذٍ مَولاَنا

---

(١) زيد في نسخ المتن: (عقلاً)، وهي عند المصنف من الشرح.

(٢) في نسخ المتن: (ما عداه)، وهي موافقة للنسخة (ب).

(٣) في نسخ المتن: (ويوجب له تعالىٰ أيضاً).

(٤) في نسخ المتن: (أنّه لا).

(٥) في نسخ المتن: (فذاك).

جَلَّ وَعَزَّ مُفتَقِراً في إيجَادِ بعضِ الأفعال إلىٰ وَاسِطَةٍ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لمَا عَرَفتَ مِن وجُوبِ استغنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ؟!

فَقدَ بَانَ لَكَ تَضمُّنِ قول: «لاَ إِلَهَ إلاَّ الله» للأَقسَامِ الثَّلاَثَةِ التي يجِبُ علىٰ المُكلَّفِ مَعرِفَتُهَا في حَقِّ مولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ، وَهيَ: مَا يجِبُ في حَقِّهِ تَعالىٰ، وَمَا يَستَحيلُ، وَمَا يجُوزُ.

وَأَمَّا قولُنَا: «**محمَّدٌ رَسُولُ الله**ﷺ»، فَيدخُلُ فيهِ الإيمَانُ بِسَائِرِ الأَنبيَاءِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالكُتبِ السَّماوِيَّةِ وَاليومِ الآخِرِ؛ لأَنَّهُ عَليهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ جَاءَ بتَصدِيقِ جَميعِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَيُؤخَذُ مِنهُ وجُوبُ صِدقِ الرُّسُلِ عَليهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم، وَاستِحَالَةُ الكَذِبِ عَليهِم، وَإِلاَّ لَمْ يَكونُوا رُسُلاً أُمَنَاءَ لمولاَنَا العَالِمِ بِالخَفيَّاتِ جَلَّ وَعَزَّ، وَاستِحَالَةُ فعلِ المنهيَّاتِ كُلِّهَا؛ لأَنَّهُمْ عَليهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُرسِلُوا لِيُعلِّمُوا الخَلقَ[1] بِأَقوَالِهِم وَأَفعَالِهِم وَسَكوتِهِم.

فَيلزَمُ أَنْ لاَ يَكُونَ في جَميعِهَا مُخَالَفَةٌ لأَمرِ مولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ الَّذي اختَارَهُم علىٰ جَميعِ الخَلْقِ[2] وَأَمِنَهُم علىٰ سِرِّ وحيِهِ.

وَيُؤخَذ مِنهُ: جَوَازُ الأَعرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَليهِم؛ إذ ذَاكَ لاَ يَقدَحُ في رِسَالَتِهِم، وَعُلوِّ مَنزِلَتِهِم عَندَ الله تَعالىٰ، بَل ذَاكَ ممَّا يَزيدُ فِيهَا.

فقَد اتَّضَحَ[3] لَكَ تَضمُّنُ كلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا لجميعِ مَا يجِبُ علىٰ المُكلَّفِ مَعرِفَتُهُ مِن عَقَائِدِ الإِيمَانِ في حَقِّهِ تعالىٰ، وَفي حَقِّ رَسُولِهِ عَليهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم وَلعلَّهَا لاختِصَارِهَا مَعَ اشتِمَالِهَا علىٰ مَا ذَكرنَاهُ جَعَلَها الشَّرعُ تَرجَمَةً علىٰ مَا في القَلبِ مِن الإِسْلاَمِ، وَلم يَقبَل مِن أَحدٍ الإِيمَانَ إلاَّ بِهَا، فَعلىٰ العَاقِلِ أَنْ يُكثِرَ مِنْ ذِكرِهَا مُستَحضِراً لمَا احتَوتْ عَليهِ مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تمتَزِجَ مَعَ مَعنَاهَا بِلَحمِهِ وَدَمِهِ.

فَإِنَّهُ يَرىٰ لهَا مِنَ الأَسرَارِ وَالعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالىٰ مَا لاَ يَدخُلُ تحتَ حَصرٍ، وَبِالله

---

(١) في نسخ المتن: (الناس).

(٢) في نسخ المتن: (خلقه).

(٣) في نسخ المتن: (بان).

التَّوفِيق لاَ رَبَّ غَيرُهُ، وَلاَ مَعبُودَ سِوَاهُ نسأَلُهُ سُبحانَهُ وَتَعالىَ أَنْ يجعَلَنَا وَأَحِبتَنَا عَندَ الموتِ نَاطقينَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ عَالِمينَ بِهَا، وَصلَّى اللهُ عَلىَ سَيِّدِنَا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ الأمين، وعَلى آلِهِ وصَحبِه أَجمَعينَ، آمِينَ آمِينَ[1].

(١) هكذا ختم الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى متن السنوسية، وهو على ما في نسخته التي أقام شرحه عليها، أما في نسخ المتن التي بين أيدينا، والمتن المطبوع المتداول، والشروح المتداولة أيضاً؛ فقد كانت خاتمتها كما يلي: (وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد كلَّما ذكرَهُ الذَّاكِرون وَغفَل عَنْ ذِكرِهِ الغَافِلون وَرَضيَ الله تَعالىَ عَنْ أَصحَابِ رَسُولِ الله أَجمَعينَ وَالتَّابِعين لهَم بِإِحسَانٍ إِلى يومِ الدَّين وَسلاَمٌ عَلىَ المُرسَلِينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين.

وصف النسخ الخطِّية

١- النسخة الأولى: نسخة معهد المخطوطات بباكو:

ورمزت لها بـ (أ)، وهي نسخة واضحة وجيدة، وتعدُّ الرسالة الثامنة من مجموع رقمه (١٧٤٨)، عدد أوراقها (٤٧) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطر، وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في معهد المخطوطات بباكو/ أذربيجان برقم (٦٧١٣ط) ضمن مجموعة فيلمي، عليها تملك باسم أحمد بن محمد عثمان.

خطها نسخي، وضعت خطوط فوق بعض الكلمات.

٢ ـ النسخة الثانية: نسخة المكتبة الظاهرية:

ورمزت لها بـ (ب) وهي نسخة واضحة وجيدة محفوظة تحت رقم (٤٣١١ت) عدد أوراقها (٧٨) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطر، وهي مخطوط مأخوذ من المكتبة الظاهرية، دمشق، وتقع ضمن مجموع.

الخط فيها نسخي، وكتب المتن بالحمرة، وعلى الغلاف زخارف.

٣ ـ النسخة الثالثة: نسخة المكتبة الظاهرية:

ورمزت لها بـ (ج) وهي نسخة واضحة وجيدة محفوظة على فيلم برقم (١٩٢٦٩) عدد أوراقها (٤٣) ورقة، في كل صفحة (٢٣) سطر، عليها تملك باسم السيد حسين بن السيد محمد الحموي، والخط فيها نسخي.

٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة معهد دراسات الثقافة الشرقية في جامعة طوكيو:

ورمزت لها بـ (د)، وهي نسخة جيدة، مكتوبة بخط نسخي واضح، عدد أوراقها (٥٤) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً، وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في معهد دراسات الثقافة الشرقية في جامعة طوكيو برقم (٢١٠٧).

عليها تملك محمد أبي السعادات نجل السيد حسين سليم الدجاني مفتي يافا.

٥ ـ النسخة الخامسة: نسخة المكتبة الظاهرية:

رمزت لها بـ (هـ)، خطها واضح وجيد، ولكن وجدت فيها بعض السقط، عدد أوراقها (٣١) ورقة، في كل صفحة (٢٦) سطراً، وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في المكتبة الظاهرية في دمشق.

٦ـ النسخة السادسة: نسخة جامعة الملك سعود:

رمزت لها بـ(و)، وهي نسخة جيدة، مكتوبة بخط نسخي واضح، عدد أوراقها (٢٩) ورقة، في كل صفحة (٢٥) سطراً، وكتب المتن بالحمرة، وهي نسخة محفوظة في جامعة الملك سعود.

صور المخطوطات المستعان بها

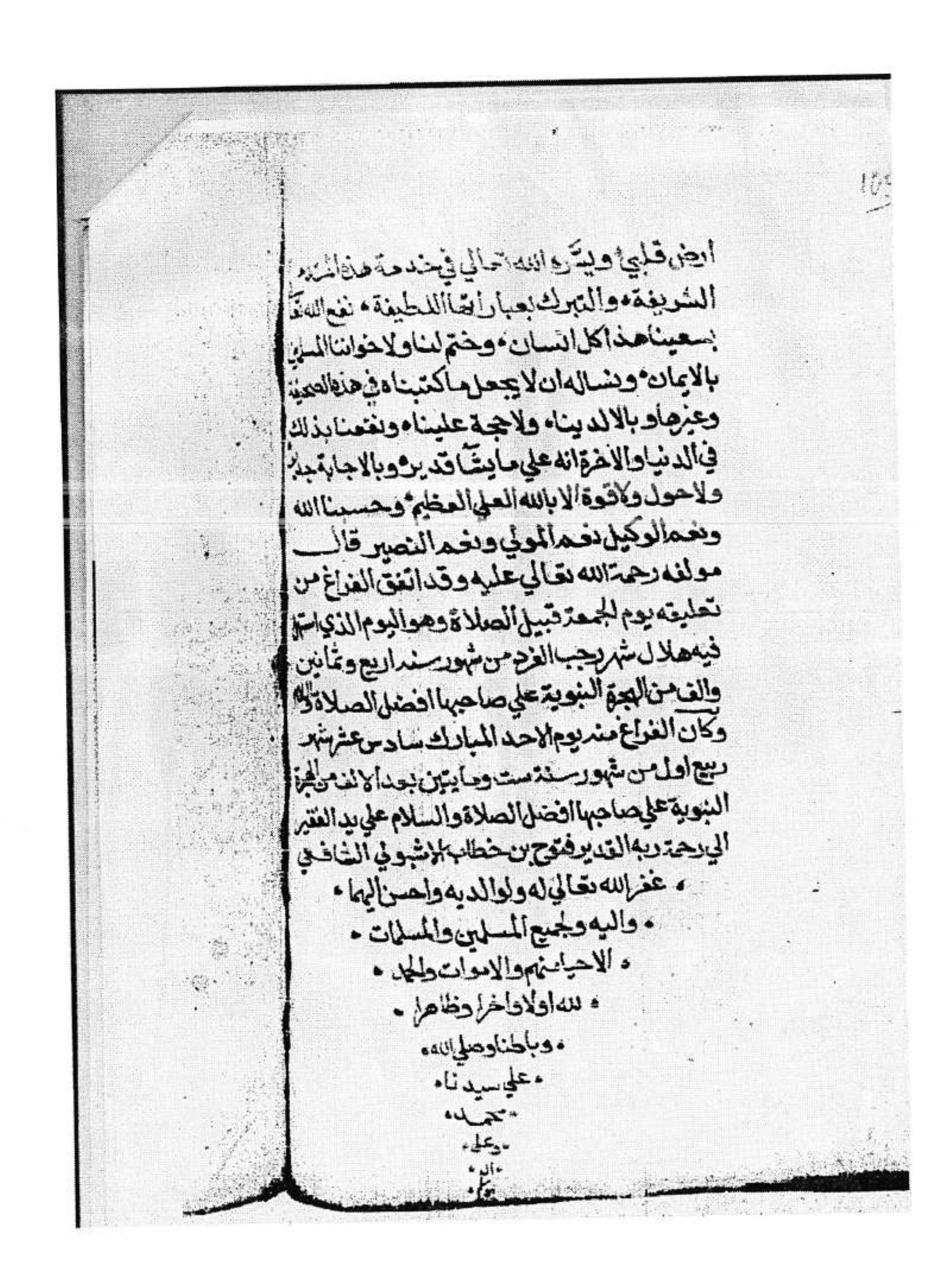
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموجود وجميع الموجودات بالنسبة
الى وجوده الحقيقي عدم، الواحد الاحد الخالق
الحوادث القايم بنفسه الموصوف بالبقا والقدم
واشهد ان لا اله الا الله القادر المريد بقدرته
والارادة على خلاف ما تعهده العبيد، العالم بعلمه
المحيط بالكليات والجزئيات، الحي وجميع العو[الم]
بالنسبة الى حياته الحقيقية اموات، السميع
البصير بلا اذن ولا عين بل بسمع وبصر ازليين
ابديين، المتكلم بكلام منزه عن الاصوات والحر[وف]
وعن جميع ما يوصف به الكلام المعروف، فالق
ما سواه وثق بالقدم لجواز الاعدام للاشياء في
حقه والايجاد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولد
لاستحالة النقائص عليه وامتناع الحلول والاتحـ[ـاد]

والاعتقاد

والاعتقاد والصلاة والسلام على محمد الامين الصادق
الذي بلغ جميع ما امر بتبليغه للخلايق، الجايز في
حقه ما هو من الاعراض البشرية، التي لا تنقص
مرتبته العلية، والمستحيل عليه ضد ما يجب له
من الكمال، ورضوان الله تعالى على آله واصحابه
اكرم اصحاب واشرف آل، وعن التابعين لهم
باحسان، في كل زمان ومكان اما بعد
فيقول الفقير، الى مولاه الكبير، عبد الغني بن اسماعيل
النابلسي الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي هذا
شرح لطيف وضعته على المقدمة السنوسية
التي صنفها الشيخ العالم العامل الولي ابو عبد الله
محمد بن يوسف السنوسي الحسني، تغمده الله برحمته
واسكنه فسيح جنته، في علم التوحيد، نفع الله
بها وبشرحها هذا جميع العبيد، وقد طلب مني
ذلك بعض الاصحاب، والله الموفق والهادي الى
طريق الصواب وسميته الانوار الالهية في شرح
المقدمة السنوسية، ومن الله استمد الاعانة
والتوفيق، الى سلوك سبيل التحقيق، وحسبنا
الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، وهو
على ما يشا قدير، وبالاجابة جدير بسم الله
الرحمن الرحيم اي ابتدا بكل اسم من اسما الذات نحو

راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



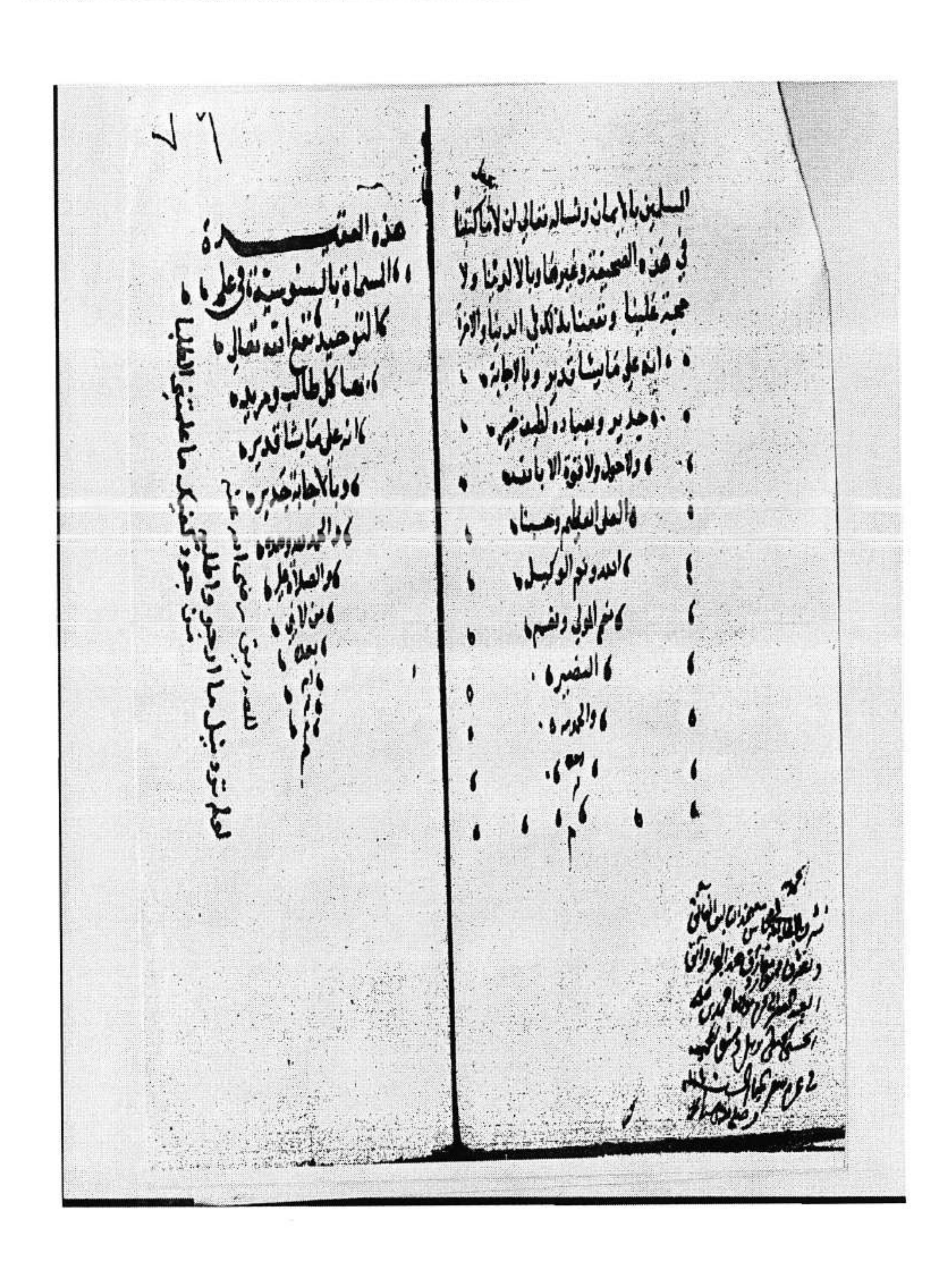
ارض قلبي ويسّره الله تعالى في خدمة هذه الشريفة والتبرك بعباراتها اللطيفة نفع الله تعالى بسعينا هذا كل انسان وختم لنا ولاخواننا المسلمين بالايمان ونساله ان لا يجعل ما كتبناه في هذه الصحيفة وغيرها وبالا لدينا ولا حجة علينا ونفعنا بذلك في الدنيا والاخرة انه على ما يشا قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير قال مولفه رحمة الله تعالى عليه وقد اتفق الفراغ من تعليقه يوم الجمعة قبيل الصلاة وهو اليوم الذي استهل فيه هلال شهر رجب الفرد من شهور سنة اربع وثمانين والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وكان الفراغ منه يوم الاحد المبارك سادس عشر شهر ربيع اول من شهور سنة ست ومايتين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد الفقير الى رحمة ربه القدير فتوح بن خطاب الاشبولي الشافعي غفر الله تعالى له ولوالديه واحسن اليهما واليه ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الموجود وجميع الموجودات بالنسبة
إلى وجوده الحقيقي عدم الواحد الأحد المحيي له
الحوادث القائم بنفسه الموصوف بالبقاء
والقدم وأشهد أن لا إله إلا الله القادر
المريد بقدرته وإرادته على خلق ما تم إيجاده
الحي العالم بعلمه المحيط بالكليات والجزئيات
في الحي وجميع العوالم بالنسبة إلى حياته
الحقيقية أموات السميع البصير بلا أذن
ولا عين بل بسمع وبصر أزليين أبديين
المتكلم بكلام منزه عن الأصوات والحروف
وعن جميع ما يوصف به الكلام المعروف لنفي
ما سواه من رتبتي القدم لجواز الإعدام في
حقه والإيجاد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا
لاستحالة التغاير عليه وامتناع الحلول
والاتحاد

والانحلال والاتحاد والصلاة والسلام
على رسوله محمد الأمين الصادق الذي بلغ
جميع ما أمر بتبليغه للخلائق الجائز في
حقه ما هو من الأعراض البشرية التي لا
تنقص من مرتبته العلية والمستحيل
عليه ضد ما يجب له من الكمال ورضوان الله
تعالى على آله وأصحابه أكرم أصحاب وأشرف
آل وعلى التابعين لهم بإحسان في كل زمان
ومكان أما بعد فيقول الفقير إلى مولاه
الخبير عبد الغني بن إسماعيل بن النابلسي
الحنفي عامله الله بلطفه الخفي هذا شرح لطيف
وضعته على المقدمة السنوسية التي صنفها
الشيخ العالم الرباني أبو عبد الله محمد بن يوسف
السنوسي الحسني تغمده الله برحمته
تسمح جنته في علم التوحيد نفع الله

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



المسلمين بالإيمان ونسأله تعالى أن لا ما كتبنا
في هذه الصحيفة وغيرها وبالا لدينا ولا
حجة علينا وتنعمنا بذلك في الدنيا والآخرة
إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة
جدير وبعباده لطيف خبير
ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وحسبنا
الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم
النصير
والحمد

هذه العقيدة
المسماة بالسنوسية في علم
التوحيد نفع الله تعالى
بها كل طالب ومريده
إنه على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير
والحمد لله وحده
والصلاة على
من لا نبي
بعده

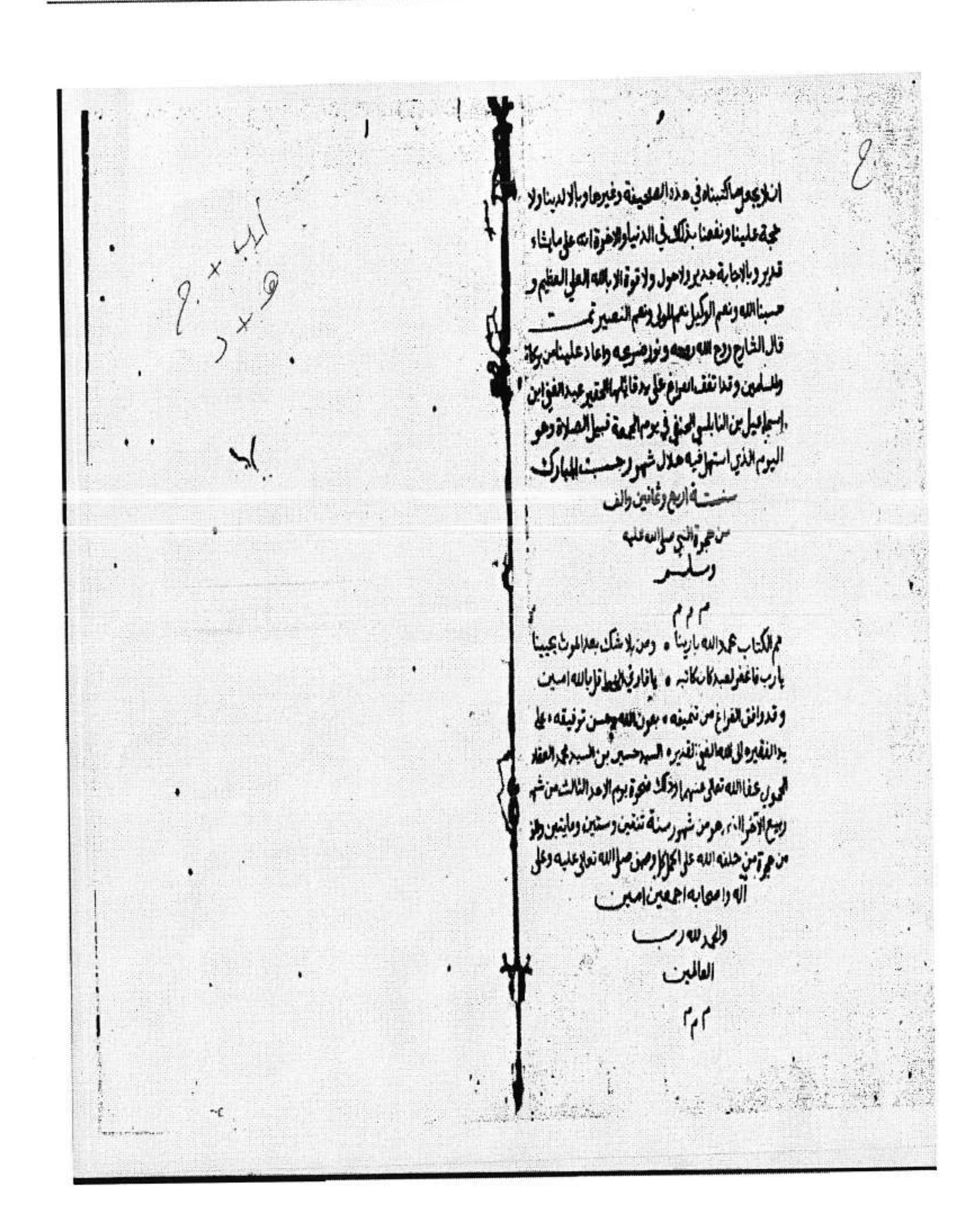
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الموجود جميع الموجودات بالنسبة الى
وجوده الحقيقي عدم الواجب الاحد الخالق للحوادث
القايم بنفسه الموصوف بالبقاء والقدم واشهد ان
لا اله الا الله القادر المريد بقدرته وارادته على خلاف
ما تعهده العبيد العالم بعلمه المحيط بالكليات والجز
ئيات الحي وجميع العوالم بالنسبة الى حياته الحقيقية
اموات السميع البصير بلا اذن ولا عين بل بسمع و
بصر ازليين ابديين المتكلم بكلام منزه عن الاصوات
والحروف وعن جميع ما يوصف به الكلام المعروف نفى
ما سواه من رتق العدم لجواز الاعدام للاشياء في حقه
والايجاد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا لاستحالة النقايص
عليه وامتناع الحلول والانحلال والاتحاد والصلاة
والسلام على رسوله محمد الامين الصادق الذي بلغ
جميع ما امر بتبليغه للخلايق الجايز في حقه ما هو من
الاعراض البشرية التي لا تنقص من مرتبته العلية
والمستحيل عليه ضد ما يجب له من الكمال ورضوان
الله تعالى عن اله واصحابه اكرم اصحاب واشرف ال
وعن التابعين لهم باحسان في كل زمان ومكان اما
بعد فيقول الفقير الى مولاه الخبير عبد الغني بن اسماعيل
ابن النابلسي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي هذا شرح
لطيف وضعته على المقدمة السنوسية التي صنفها
الشيخ العالم والقرافي لاجل ترتيب الغنى مترا[illegible]
عن الاصل

كراس الاول

عن الاصول وترويح الاختلاف في السبعة الاولى بين العقلا
صفة واهل السنة العالم العامل الولي ابو عبد الله محمد بن
يوسف السنوسي الحسني تغمده الله برحمته واسكنه في
فسيح جنته في علم التوحيد نفعنا الله تعالى بها وبشرحها
هذا جميع العبيد وقد طلب مني ذلك بعض الاصحاب
والله الموفق والهادي الى طريق الصواب وسميته
الانوار الالهيه في شرح المقدمة السنوسيه ومن
الله تعالى استمد الاعانه والتوفيق الى سلوك سبيل
التحقيق وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير
وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير بسم
الله الرحمن الرحيم اي ابتدا او بكل اسم من اسماء الذات
نحو الاول الاخر الظاهر الباطن وبكل اسم من اسماء
الصفات نحو اللطيف الخبير القدوس المتعالى وبكل
اسم من اسماء الافعال نحو الخالق البارئ المصور ولهذا
ذكر من كل مرتبة اسما فالله من مرتبة الذات قال تعالى
والله غني عن العالمين يعني بالذات والرحمن من مرتبة
الصفات قال تعالى الرحمن على العرش استوى فالعرش
وما دونه مظهر الصفات الالهيه لانها المتعلقة بالاثار
دون الذات العلية والرحيم من مرتبة الافعال قال
تعالى وكان بالمؤمنين رحيما فالمؤمنون موضع من مواضع
ظهور افعال الرب جل وعلا الحمد اي الوصف باوصاف
الكمال المنقسمة في حق الله تعالى الى صفات جمال
وصفات جلال لله اي الواجب الوجود بالذات

راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)



ان لا يجعل ما كتبناه في هذه الصحيفة وغيرها وبالا لدينا ولا
حجة علينا وينفعنا بذلك في الدنيا والآخرة انه على ما يشاء
قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم و
حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير تمت
قال الشارح روح الله روحه ونور ضريحه وأعاد علينا من بركاته
والمسلمين وقد اتفق الفراغ على يد قائلها الحقير عبد الغني ابن
إسماعيل بن النابلسي الحنفي في يوم الجمعة قبيل الصلاة وهو
اليوم الذي استهل فيه هلال شهر رجب المبارك
سنة أربع وثمانين وألف
من هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم

م م م

تم الكتاب بحمد الله بارينا ۞ ومن بلا شك بعد الموت يحيينا
يا رب فاغفر لعبد كان كاتبه ۞ يا قارئ الخط قل بالله آمين
وقد وافق الفراغ من تحبيره، بعون الله وحسن توفيقه، على
يد الفقير إلى الله الغني القدير السيد حسين بن السيد محمد العطار
الحموي عفا الله تعالى عنهما آمين ضحوة يوم الأحد الثالث من شهر
ربيع الآخر الذي هو من شهور سنة تسع وستين ومائتين وألف
من هجرة من خلقه الله على الكمال وصلى الله تعالى عليه وعلى
آله وأصحابه أجمعين آمين
والحمد لله رب
العالمين
م م م

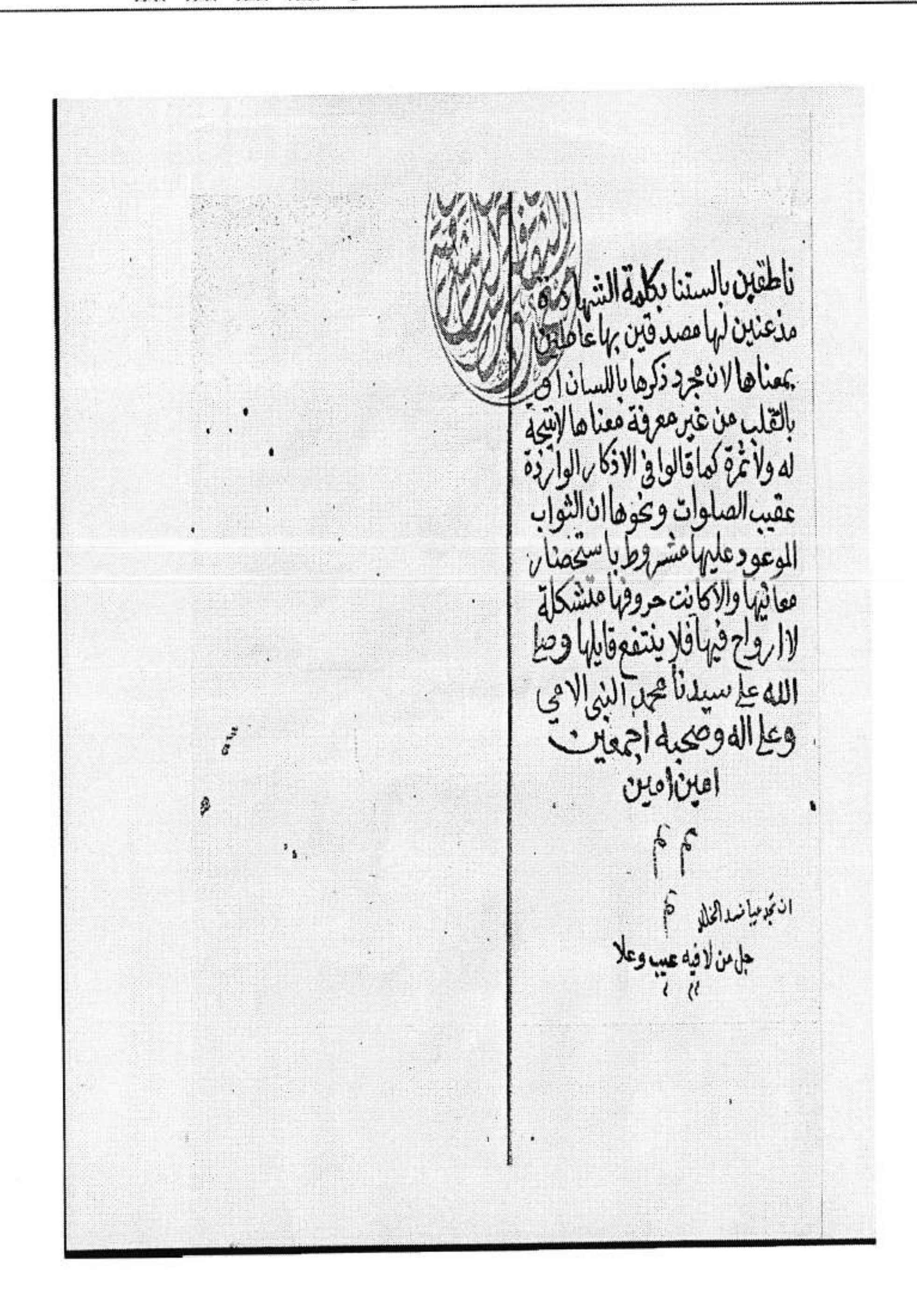
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الموجود وجميع الموجودات بالنسبة الى
وجوده الحقيقي عدم الواحد الاحد الخالق المحول لكل شئ
القائم بنفسه الموصوف بالبقا والقدم واشهد
ان لا اله الا الله القادر المريد بقدرة وارادة
على خلاف ما تعهده العبيد العالم بعلمه المحيط
بالكليات والجزئيات والحي وجميع العوالم بالنسبة
الى حياته الحقيقية اموات السميع البصير بلا اذن
ولا عين بل يسمع ويبصر ازلين ابديين المتكلم
بكلام منزه عن الاصوات والحروف وعن جميع
ما يوصف به الكلام المعروف فنفى ما سواه من رتق
العدم لجواز الاعدام للاشياء في حقه والايجاد
ولم يتخذ صاحبة ولا ولد الاستحالة النقايص
عليه وامتناع الحلول والانحلال والاتحاد
والصلاة والسلام على رسوله محمد الامين الصادق
الذي بلغ جميع ما امر بتبليغه للخلايق الجايز
في حقه ما هو من الاعراض البشرية التي لا تنقص
من مرتبته العلية والمستحيل عليه ضد ما يجب
له من الكمال ورضوان الله تعالى عن الدر واصحاب
اكرم اصحاب واشرف آل وعن التابعين لهم
باحسان في كل زمان ومكان اما بعد فيقول
الفقير

المتوكل الفقير الى مولاه الخبير عبد الغني بن اسماعيل
النابلسي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي هذا شرح
لطيف وضعته على المقدمة السنوسية التي
صنفها الشيخ العالم العامل الولي ابو عبد الله محمد
بن يوسف السنوسي الحسيني تغمده الله برحمته
واسكنه فسيح جنته في علم التوحيد نفع الله
تعالى بها وبشرحها هذا جميع العبيد وقد
طلب مني ذلك بعض الاصحاب والله الموفق
والهادي الى طريق الصواب وسميته الانوار
الالهية في شرح المقدمة السنوسية ومن
الله تعالى استمد الاعانة والتوفيق الى سلوك
سبيل التحقيق وحسبنا الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير وهو على ما يشا قدير
وبالاجابة جدير بسم الله الرحمن الرحيم
اي ابتداء بكل اسم من اسماء الذات نحو
الاول الاخر الظاهر الباطن وبكل اسم من
اسماء الصفات نحو اللطيف الخبير القدوس
المتعالي وبكل اسم من اسماء الافعال نحو
الخالق البارئ المصور ولهذا ذكر من كل
مرتبة اسما فالله من مرتبة الذات قال الله
تعالى والله غني حقيقة عن العالمين يعني بالذات

راموز الورقة الأولى للنسخة (د)



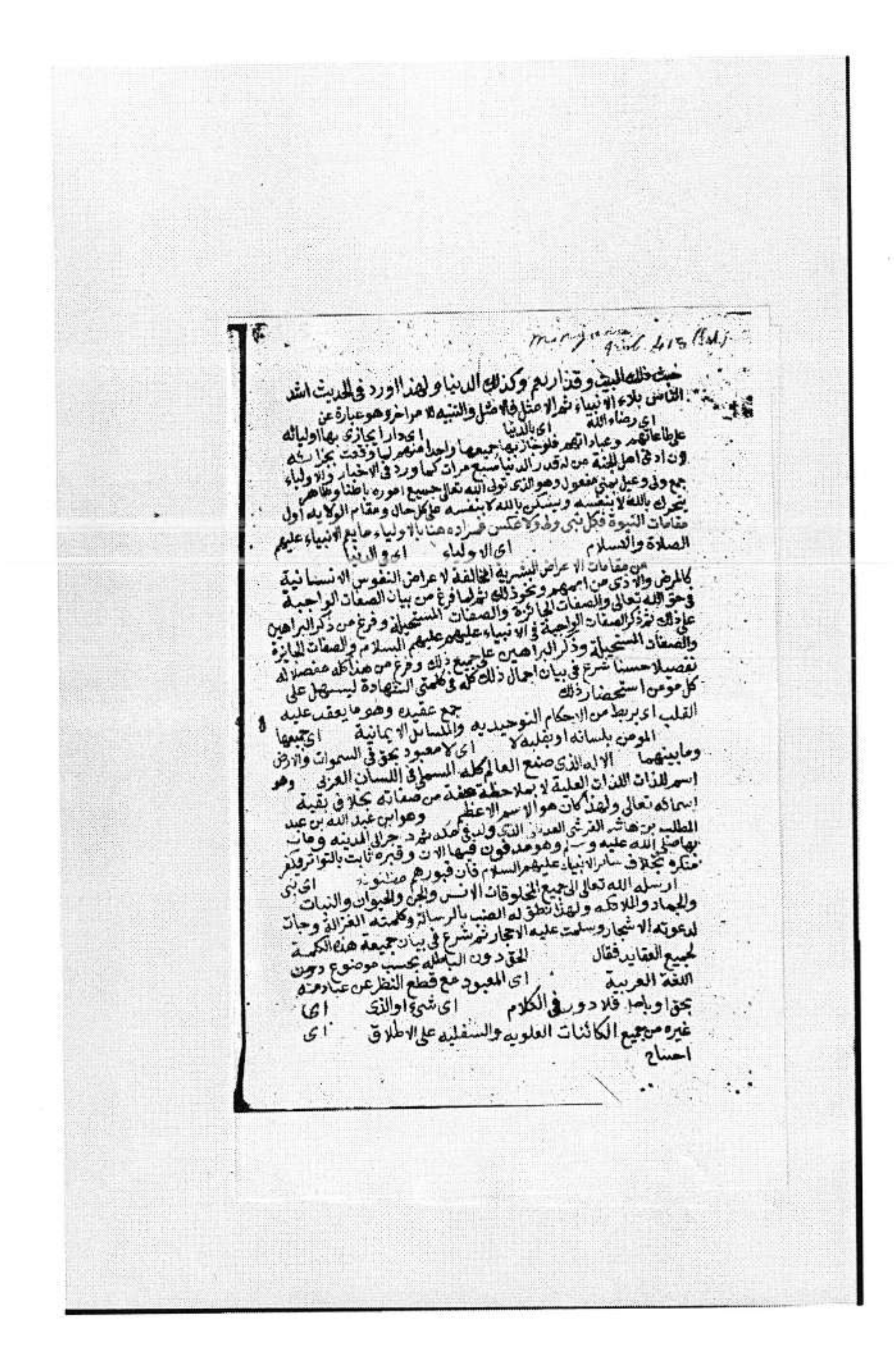
ناطقين بالسنتنا بكلمة الشهادة
مذعنين لها مصدقين بها عاملين
بمعناها لان مجرد ذكرها باللسان او
بالقلب من غير معرفة معناها لا نتيجة
له ولا ثمرة كما قالوا في الاذكار الواردة
عقيب الصلوات ونحوها ان الثواب
الموعود عليها مشروط باستحضار
معانيها والا كانت حروفها متشكلة
لا ارواح فيها فلا ينتفع قايلها وصلى
الله على سيدنا محمد النبي الامي
وعلى اله وصحبه اجمعين
امين امين

تم تم

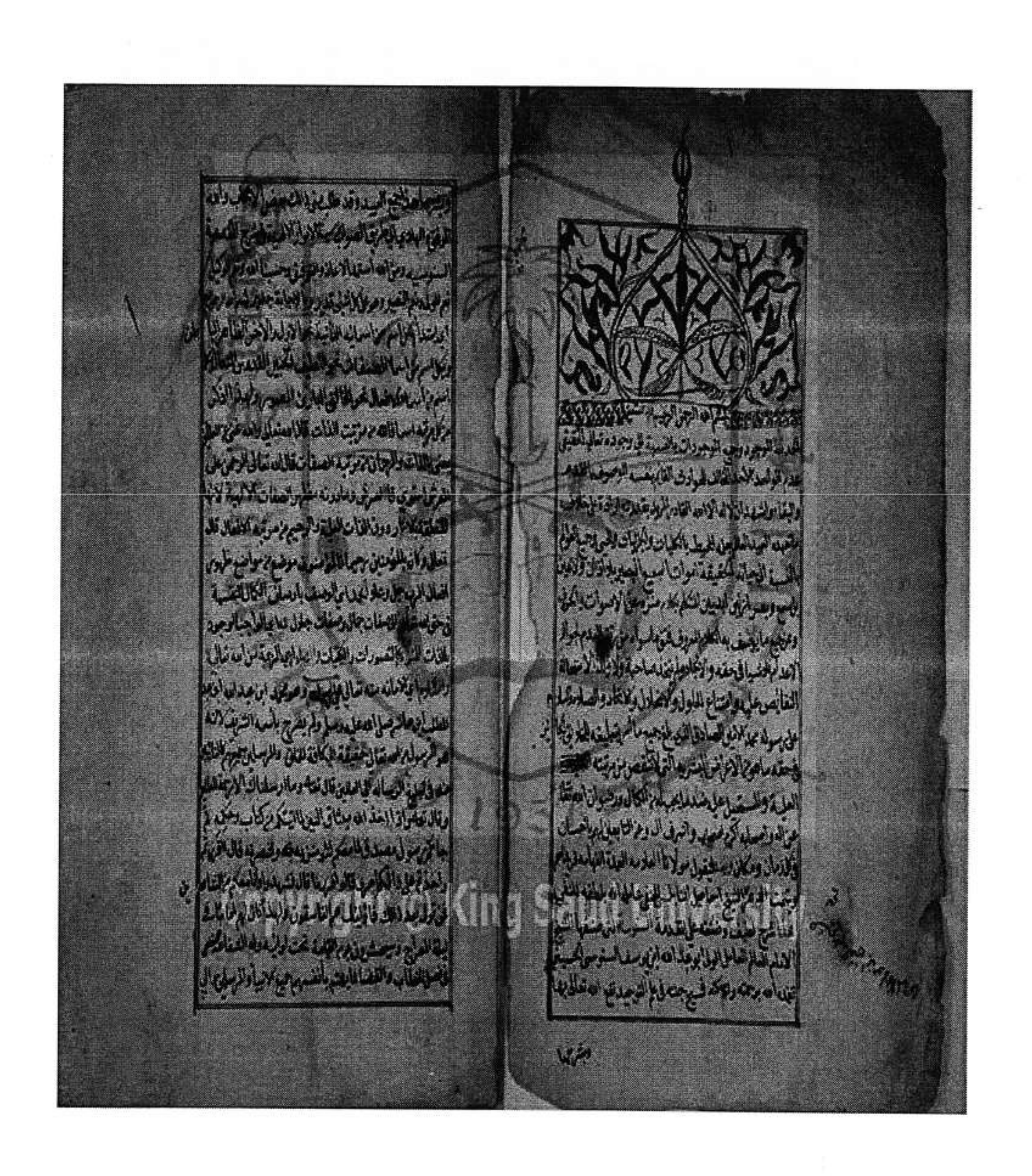
ان تجد عيبا فسد الخللا تم
جل من لا فيه عيب وعلا

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)

راموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)


خبث خالط الذهب وقذارته وكذلك الدنيا ولهذا ورد في الحديث اشد
الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل والتنبيه لا مراخو وهو عبارة عن
اي رضاء الله
اي بالدنيا
على طاعاتهم وعباداتهم فلو جازاهم بها جميعها واحدا منهم لما وقعت بجزائه
اي دارا يجازي بها اوليائه
وان ادنى اهل الجنة من له قدر الدنيا سبع مرات كما ورد في الاخبار والاولياء
جمع ولي وعيل بمعنى مفعول وهو الذي تولى الله تعالى جميع اموره باطنا وظاهرا
يتحرك بالله لا بنفسه ويسكن بالله لا بنفسه على كل حال ومقام الولاية اول
مقامات النبوة فكل نبي ولي ولا عكس فمراده هنا بالاولياء ما يعم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام
اي الاولياء
اي والدنيا
من مقامات الاعراض البشرية المخالفة لاعراض النفوس الانسانية
كالمرض والاذى من اممهم ونحو ذلك ثم لما فرغ من بيان الصفات الواجبة
في حق الله تعالى والصفات الجائزة والصفات المستحيلة وفرغ من ذكر البراهين
على ذلك ثم ذكر الصفات الواجبة في الانبياء عليهم السلام والصفات الجائزة
والصفات المستحيلة وذكر البراهين على جميع ذلك وفرغ من هذا كله مفصلا له
تفصيلا حسنا شرع في بيان اجمال ذلك كله في كلمتي الشهادة ليسهل على
كل مؤمن استحضار ذلك
جمع عقيده وهو ما يعقد عليه
القلب اي يربط من الاحكام التوحيديه والمسائل الايمانية
المؤمن بلسانه او بقلبه لا
اي جميعها
اي لا معبود بحق في السموات والارض
وما بينهما
الا الله الذي صنع العالم كله المسمى في اللسان العربي
اسم للذات العلية لا بملاحظة صفة من صفاته بخلاف بقية
وهو
اسمائه تعالى ولهذا كان هو الاسم الاعظم
وهو ابن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم القرشي العدناني المكي ولد في مكة ثم هاجر الى المدينة ومات
بها صلى الله عليه وسلم وهو مدفون فيها الان وقبره ثابت بالتواتر وكذا
منكره بخلاف سائر الانبياء عليهم السلام فان قبورهم مظنونة
ارسله الله تعالى الى جميع المخلوقات الانس والجن والحيوان والنبات
اي نبي
والجماد والملائكة ولهذا نطق له الضب بالرسالة وكلمته الغزالة وجاءت
لدعوته الاشجار وسلمت عليه الاحجار ثم شرع في بيان جميعه هذه الكلمة
لجميع العقائد فقال
الحق دون الباطلة بحسب موضوع دون
اللغة العربية
اي المعبود مع قطع النظر عن عبادته
بحق او باطل فلا دور في الكلام
اي شيء او الذي
اي
غيره من جميع الكائنات العلويه والسفليه على الاطلاق
اي
احتاج

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)



راموز الورقة الأولى للنسخة (و)



بالأذكار الواردة عقيب الصلوات ونحوها أن الثواب الموعود [illegible]
مشروط باستحضار معانيها ولما كانت حروفا مشكلة
لا أرواح فيها فلا تنفع قائلها وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين آمين وهذا
آخر ما رشح به إنائي وأمطرته سحائب سماء الإلهام
على أرض قلبي ويسره الله تعالى في خدمة هذه المقدمة
الشريفة والتبرك بعباراتها اللطيفة نفع الله تعالى بها
كل إنسان ويختم لنا بخير ولإخواننا المسلمين بالإيمان
ونسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبناه في هذه الصحيفة [illegible]
[illegible] علينا وينفعنا بذلك في الدنيا والآخرة إنه
على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

وكان الفراغ من هذه النسخة من كتابتها في ليلة
الجمعة بعد العشاء في الليلة الحادية
عشر من شهر ربيع الثاني سنة
سبعة وثلاثين ومائتين
وألف ١٢٣٧

رب يسر ولا تعسر

اللهم بحرمة [illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (و)

الأنوار الإلهية في شرح المقدمة السنوسية

تأليف

للشيخ عبد الغني النابلسي

[مقدمة الشارح]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين...

الحمد لله الموجود، وجميع الموجودات بالنِّسبة إلىٰ وجوده تعالىٰ الحقيقي عدم، الواحد الأحد المخالف للحوادث القائم بنفسه الموصوف بالبقاء والقِدم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، القادر المريد بقدرة وإرادة علىٰ خلاف ما تعهده العبيد، العالم بعلمه، المحيط بالكلِّيات والجزئيات، والحي وجميع العوالم بالنِّسبة إلىٰ حياته الحقيقية أموات، السَّميع البصير بلا أذن ولا عين، بل بسمع وبصر أزليين أبديين، المتكلم بكلام منزَّه عن الأصوات والحروف، وعن جميع ما يوصف به الكلام المعروف، فَتق[1] ما سواه من رتق العدم لجواز الإعدام للأشياء في حقِّه والإيجاد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً؛ لاستحالة النَّقائص عليه، وامتناع الحلول والانحلال والاتحاد، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله محمدٍ الأمين الصادق الذي بلَّغ جميع ما أُمِر بتبليغه للخلائق.

الجائز في حقه ما هو من الأعراض البشـرية التي لا تنقص من مرتبته[2] العلية، والمستحيل عليه ضد ما يجب له من الكمال، ورضوان الله تعالىٰ علىٰ آله وأصحابه أكرم أصحاب وأشرف آل، وعن التَّابعين لهم بإحسان في كل زمان ومكان.

أما بعد:

فيقول الفقير إلىٰ مولاه الخبير[3] **عبد الغني بن إسماعيل ابن النابلسـي الحنفي** ـ عامله

---

(١) في (ب ـ د): فاتق

(٢) في(ج): (مراتبه).

(٣) في (و): (مولانا العلامة العمدة الفهامة فريد العصر ويتيمة الدهر الشيخ عبد الغني بن مولانا المرحوم الشيخ إسماعيل.

الله بلطفه الخفي ـ هذا شرح لطيفٌ وضعته على المقدِّمة السنوسية التي صنَّفها الشيخ الإمام العالم العامل الولي أبو عبد الله محمَّد بن يوسف السنوسي الحسني تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته في علم التوحيد نفع الله تعالى بها وبشرحها هذا جميع العبيد، وقد طلب مني ذلك بعض الأصحاب والله الموفق والهادي إلى طريق الصواب.

وسميته «**الأنوار الإلهية في شرح المقدِّمة السنوسية**» ومن الله تعالى أستمد الإعانة والتَّوفيق إلى سلوك سبيل التَّحقيق، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

أي: ابتداءً بكلِّ اسمٍ من أسماء الذَّات[١] نحو: الأول، الآخر، الظاهر الباطن، وبكلِّ اسمٍ من أسماء الصِّفات، نحو: اللطيف، الخبير، القدوس المتعال، وبكلِّ اسمٍ من أسماء الأفعال، نحو: الخالق، البارئ، المصور، ولهذا أذكر من كل مرتبة اسماً.

فالله من مرتبة الذَّات، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] يعني: بالذَّات، والرحمن من مرتبة الصِّفات، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فالعرش وما دونه مظهر الصِّفات الإلهية؛ لأنها المتعلِّقة بالآثار دون الذَّات العليَّة، والرَّحيم من مرتبة الأفعال، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فالمؤمنون[٢] موضع من مواضع ظهور أفعال الربِّ جلَّ وعلا.

(الحَمْدُ)؛ أي: الوصف بأوصاف الكمال المنقسمة في حق الله تعالىٰ إلىٰ صفات جمال، وصفات جلالٍ.

(لله) أي: الواجب الوجود بالذَّات[٣]، المنزَّه عن التَّصورات والكيفيات[٤].

(والصَّلاةُ) أي: الرَّحمة من الله تعالىٰ.

(والسَّلامُ) أي: الأمان منه تعالىٰ (عَلَىَ رَسولِ الله) وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ، ولم يصرِّح باسمه الشَّريف؛ لأنَّه هو الرَّسول من الله تعالىٰ حقيقةً إلىٰ كافة الخلق، والمرسلون جميعهم كالنائبين عنه في تبليغ الرِّسالة إلىٰ العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ

---

(١) في (و): أسمائه الذَّاتية.

(٢) باعتبار أنه المنعم بدقائق النعم وجلائلها علىٰ المؤمنين خاصةً في الدنيا والآخرة، فيكون اسم الرحيم بعد اسمه الرحمن من ذكر الخاص بعد العام، وفي الحديث: «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنا».

(٣) قال العلامة الباجوري في «شرح الجوهرة» (ص٥٣ ـ ٥٤): أي: الوجود الذاتي، بمعنىٰ أن وجوده لذاته لا لعلة ؛ أي: أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالىٰ، وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها؛ إذ لا يقوله عاقل، وإنما ضاق عليه التعبير، فثمرة القيد تظهر في المحترز، وأما الوجود الغير الذاتي فهو كوجودنا.

(٤) في (ب) و(ج): التكيفات، وفي (د): التكليفات.

أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ ـ ٨٢]؛ ولهذا كان لهم إماماً في ليلة المعراج، وسيحشرون يوم القيامة تحت لوائه[١]، وله الشفاعة العظمىٰ في فصل الخطاب و القضاء؛ لما يهتم بأنفسهم جميع الأنبياء والمرسلين، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشرت بقولي في ديوان المدح الشَّريف[٢] الذي سميته «**نفحة القبول في مدحة الرَّسول**» من جملة قصيدة هائية وهي مقولة: [من البسيط]

كـلُّ النبيـيِّن والرسُـلِ الكـرَام أتَـوا ... نيابـةً عنـهُ في تبليـغ دَعـوَاه

فَهوَ الرَّسـولُ إلىٰ كُـل الخَلائـق في كـل ... كُـل الـدُّهور ونابـت عنـهُ أفـوَاه[٣]

(اعْلَمْ) هذا خطاب عام لكلِّ من يريد معرفة الله تعالىٰ، ولما كانت هذه المقدِّمة متضمِّنة لمعنىٰ لا إِلَه إلاَّ الله، كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ، صدَّرها بقوله: **اعلم**، كلمةٌ تذكر تنبيهاً علىٰ أن ما بعدها مما يجب الإصغاء إليه كما في قوله تعالىٰ[٤]: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩].

---

(١) أخرج الإمام مسلم برقم (٢٢٧٨)، وأبو داود برقم (٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

(٢) في (و): النبوي.

(٣) انظر: «نفحة القبول في مدحة الرسول» لوحة(٤١/أ) هكذا ورد اسمه علىٰ غلاف المخطوط ولكن في نسخة (و) ورد اسمه: بـ«نفحة القبول في مدح الرسول»، يقول سيدي عبد الغني النابلسي في مقدمة هذا الكتاب: نظمت هذه القصائد المقبولة إن شاء الله تعالىٰ ولم أستعن فيها بشيء من قصائدي النبوية التي لي قبل ذلك، وإنما أعملت القريحة في نظمها ارتجالاً، وجعلتها مرتبةً علىٰ حروف المعجم تسعة وعشرون قصيدة كل قصيدة منها خمسون بيتاً فتكون جملة أبياتها ألفاً وأربع مئة وخمسين بيتاً، وجعلتها جميعاً مرفوع القافية مطابقة لمدحه ﷺ فإنه مرفوع علىٰ مدح من سواه من المخلوقين... الخ. ويقول الإمام البوصيري رحمه الله في بردته حول هذا المعنىٰ:

وكـلُّ آيٍ أتـىٰ الرُّسُـل الكـرامُ بهـا ... فـإنَّما اتَّـصلت مـن نـوره بهـم

فإنَّـهُ شـمسُ فـضلٍ هـم كواكبُهـا ... يظهـرن أنوارَهـا للنـاس في الظُّلـم

(٤) في (و): اقتداءً بقول الله تعالىٰ.

مطلب
[في أقسام الحكم العقلي]

(أنَّ الحُكْمَ) أي: إثبات أمرٍ أو نفيه[١] **(العَقليَّ)** أي: المنسوب إلى العقل، وهو قوَّة روحانيَّة ساكنة في الدماغ منبثَّة في مقدِّمه بالتَّخييل، وفي وسطه بالتَّفكر، وفي مؤخِّره بالحفظ، ومن قال: بأنه في القلب لم يفرق بينه وبين الروح؛ لأنه لسانها ومظهرها في الدِّماغ، والحق الفرق، والمراد: أن جميع ما يمكن أن يدركه العقل **(يَنحَصِرُ)** انحصاراً عقليّاً **(في ثَلاثَةِ أَقسَام)** من انحصار الكلي في جزئياته[٢]؛ إذ كل واحد منها يسمى حكماً عقليّاً[٣].

الأول: **(الوجُوب)**، والثاني: **(والاستِحَالة)**، والثالث: **(والجوَاز)**.

---

(١) أشار الإمام السنوسي رحمه الله في كتابه «المقدمات في علم التوحيد»: أن الحكم هو: إثبات أمر أو نفيه عنه، والحاكم في ذلك إما أن يكون **الشرع** أو **العادة** أو **العقل**، ولهذا يكون الحكم إما:

شرعي: وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما.[محله كتب أصول الفقه وفروعه]

عادي: هو إثبات الربط بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة تكرار بينهما.[كوجود الاحتراق عند النار مع صحة التخلف من غير أن يؤثر أحدهما في الآخر ألبتة]

عقلي: هو ما يدرك العقل ثبوته أو نفيه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع، ويتميز هذا الحكم بأنه ينحصر في ثلاثة أقسام هي: **الوجوب، والاستحالة، والجواز**. انظر: «المقدمات«(ص ٣٣)

(٢) هذه عبارة منطقية بمعنى: هو ما يصح فيه حمل المقسم على كل قسم من أقسامه؛ وذلك بأن يكون الجزئي موضوعاً، والكلي محمولاً، وذلك كتقسيم الجنس إلى أنواعه، وكتقسيم النوع إلى أفراده، مثاله: كتقسيم الحيوان إلى: فرس، وإنسان، وطائر، فهذا يصح فيه أن تقول: الإنسان حيوان، والفرس حيوان... هذا مثال الجنس، أما تقسيم النوع إلى أفراده: كتقسيم الإنسان إلى خالد وسعيد وعلي، فإنه يصح أن تقول: خالد إنسان، وسعيد إنسان، وعلي إنسان وهكذا.

(٣) قال الشيخ عبد الله الشرقاوي: فالمعنى: أن الحكم العقلي لا يخرج عنها، لأنها جزئيات لا أجزاء له، وإنما هي أوصاف لمتعلقه. انظر: «حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي» (ص١٨).

وبيان الانحصار المذكور: أن العقل إذا نظر في الأشياء، إما ألا يستقر فيه إلا صورة وجود الشيء فقط بعد نظره في البراهين القطعية، أو لا يستقر فيه إلا صورة عدم الشـيء فقط بعد النَّظر المذكور، أو يستقر فيه صورة الوجود وصورة العدم معاً علىٰ السَّويَّة في حق الشيء.

فالأول: هو الواجب، **والثاني**: المستحيل، **والثالث**: الجائز، وأما القسم **الرابع**: وهو ألا يستقر فيه صورة وجود الشيء ولا صورة عدمه، فليس من أقسام الحكم العقلي؛ لأن الحكم يستدعي محكوماً عليه متصوراً في العقل، وهذا القسم الرابع غير متصور في العقل وجوده ولا عدمه، فلا يخل بالحصر المذكور.

(فالوَاجِبُ) العقلي[1] لا الواجب الشرعي، وهو الذي يأثم تاركه، ولا الواجب العرفي، وهو الذي يخل تركه بالكمال (مَا) أيْ: حكمٌ، والمراد: إدراكٌ **(لا يَتَصوَّرُ)** بالبناء للمعلوم فعل لازم، يقال: تصوَّرَ الشـيءُ؛ أي: صار ذا صورة، أو بالبناء للمجهول فعل متعدٍ من تصوَّرت الشـيء، أي[2]: أوقعت صورته في ذهني.

(في العَقلِ) أي: في تلك القوة الأولىٰ المنبثَّة في مقدَّم الدماغ، إما بسابقة القوَّة الثانية المفكرة، ولاحقة الثالثة الحافظة أو لا، فهو مجاز من إطلاق الكلِّ علىٰ الجزء.

(عَدَمُهُ) فاعل يتصور، أو نائب فاعله؛ أي: ما لا يصير عدمه ذا صورة في العقل، أو ما لا يجعل العقل عدمه ذا صورة فيه.

(وَالمُستَحِيلُ) العقلي لا الشرعي، وهو المنقلب العين؛ كالخمرة إذا صارت خلاًّ، ولا اللغوي، وهو المضمحل.

---

(١) إن حقيقة الواجب العقلي هو ما لا يتصور في العقل عدمه إذا كان ضرورياً؛ أي: ابتداء بلا تأمل، كالتحيز للجرم وهو أخذه قدر ذاته من الفراغ أي: الفراغ الذي يشغله الجسم، فإن ثبوت هذا المعنىٰ له لا يتصور في العقل ضرورةً نفيُه، ونظير هذا في الواجب الضروري كون الاثنين أكثر من الواحد، أما النظري أي: بعد التأمل كثبوت القدرة لمولانا تبارك وتعالىٰ فإنه لا يتصور في العقل نفيه عنه جل وعلا، ولكن بعد التأمل فيما يترتب علىٰ نفيه من المستحيلات كالدور والتسلسل، وتعدد الإله. انظر: «شرح المقدمات في علم التوحيد» (ص٥٦).

(٢) في (د): إذا.

(مَا) أيّ: حكمٌ وإدراك (**لا يَتَصَور**)؛ أي: يصير ذا صورة، أو يُجعل ذا صورة (**في العَقْلِ وجُودُه**) أي: وجود ذلك الحكم، (**وَالجَائِزُ**) العقلي لا الشرعي، وهو المباح والصَّحيح، ولا اللغوي وهو المارُّ، ويقال: جاز إذا مرَّ.

(مَا)؛ أيّ: حكمٌ (**يَصِحُّ**) أي: يوجد ويثبت، ولم يقل يتصور؛ كما قال في الواجب والمستحيل؛ لعدم ثبوت منفيهما، فيكفي نفي التَّصور في عدم الثبوت بخلاف الجائز، فإنه لا نفي فيه (**في العَقْلِ**) الصَّحيح لا المختل كعقول السوفسطائية[١].

(**وجُودُهُ**) تارةً، وهو فاعل يصح (**وعدَمُهُ**) تارةً أخرىٰ، معطوف علىٰ الفاعل، والمراد ما يقبل العقل صورة وجوده، وصورة عدمه، ولا يرد علىٰ تعريف الواجب أنَّ المعطِّلة[٢]

---

(١) السوفسطائي هو الحكيم المموِّه الذي يلجئ إلىٰ المغالطة، ويستخدم قياساً ظاهره الحق، وباطنه الباطل يقصد به خداع السامعين وقد قسمهم الإمام التفتازاني إلىٰ ثلاثة أقسام:

العنادية: وهو من ينكر حقائق الأشياء، ويزعم أنها أوهام وخيالات باطلة.

والعندية: وهم الذين ينكرون ثبوت الأشياء، ويزعمون أنها تابعة للاعتقادات.

واللاأدرية: وهم الذين ينكرون العلم بثبوت شيء، ولا ثبوته، ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهلم جر. انظر «المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة» للدكتور: عبد المنعم الحنفي(ص).

(٢) المعطِّلة وهم أصناف:

الصنف الأول: أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المغني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية: ٢٤] إشارة إلىٰ الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصراً للحياة الدنيا والموت علىٰ تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر.

الصنف الثاني: أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨].

الصنف الثالث: صنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، ونحروا لها الهدايا، وقربوا لها القرابين.

يقول العلامة الدسوقي في حاشيته: المعطلة صنفان: صنف عطلت الباري عن الصفات أي: نفتها عنه وهو المراد هنا، وصنف عطلت المصنوعات عن الصانع، وقالوا: لا صانع لها، وإنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٢١٥ ـ ٢١٦) و«حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين» (ص ١٢٨).

تتصوَّر في عقولهم عدمه، ولا على تعريف المستحيل أن المشركين يتصورون في عقولهم[١] وجوده؛ لأن تصورهم ذلك إنما كان بسبب قطع نظرهم عن الحجج والبراهين الموضوعة في الآفاق وفي أنفسهم، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣].

وأما مع البراهين المذكورة، فلا تبقى صورة عدم الواجب، ولا صورة وجود المستحيل وهو المراد، ولا يرد على تعريف الجائز أنَّ السوفسطائية لا يتصوَّر في عقولهم وجوده، وهم عقلاء، لأن المراد العقل الصَّحيح هو النَّظر، وعقولهم متناقضة؛ لاعتقادهم أنَّ الأشياء لا ثبوت لها، بل هي منفية الثبوت، ولا شك أنَّ النفي حقيقة من الحقائق، فلزم من نفي الأشياء ثبوتها، وأيضاً لو كانوا يعتقدون نفي الأشياء على الحقيقة لما انحفظ عليهم وجودهم زمناً من الأزمان[٢] بالأسباب العادية؛ كالأكل والشرب والنوم واللبس ونحو ذلك.

فهم يأكلون ويشربون وينامون ويلبسون الثياب لتحفظ عليهم حياتهم، فلولا اعتقادهم وجود هذه الأشياء كلها لما اعتبروا شيئاً من ذلك، ولا مالت نفوسهم إليه لتحفظ به (**وَيَجِبُ**) وجوباً شرعياً؛ أي: يُفترض فرضاً عينياً (**عَلَى كُلِّ**) إنسانٍ، أو جنِّيٍّ (**مُكلَّفٍ**) أي: عاقل بالغ[٣] ذكر أو أنثى أو خنثى، أو عاقل فقط عند أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى[٤]؛ فإنَّ عنده يجب على الصَّبي العاقل معرفة الله تعالى[٥].

---

(١) في نسخة (ج): عقلهم.

(٢) في نسخة (ج ـ د): الأزمنة.

(٣) هذا شرط في الأنسي، وأما الجني فتكليفه من حين الخلقة على الصحيح.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، توفي بسمرقند سنة (٣٣٣هـ)، من كتبه «أوهام المعتزلة» متابعاً للإمام أبي حنيفة، ومذهبه في العقيدة والفقه جميعاً، عرض آراء الإمام في العقيدة بلغة متكلمي عصره فجاء مذهبه قريباً من المذهب الأشعري. انظر: «طبقات الحنفية» (١ / ١٣٠) و«إشارات المرام من عبارات الإمام» لكمال الدين أحمد البياض الحنفي (ص٢٢ ـ ٥٣).

(٥) قال الشيخ أبو منصور الماتريدي في الصَّبي العاقل: إنه تجب عليه معرفة الله تعالى، وهو قول كثير من مشايخ العراق؛ لأن الوجوب على البالغ باعتبار العقل، فإذا كان الصبيُّ عاقلاً كان كالبالغ في وجوب الإيمان عليه، وإنما التفاوت بينهما في ضعف البنية وقوتها.

=

والجمهور: أنَّه لا يجب على الصَّبي شيء وإن صحَّ إسلامه وردَّته.

(**شَرْعَاً**) أي: وجوباً شرعياً، فإن معرفة الله تعالى لا تجب قبل الشَّرع اتفاقاً، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وبعد ورود الشَّرع هل يشترط العلم به، أو يكفي العقل في الاستدلال على المعرفة؟

فمن قال: بأن العلم شرط، فيعذر من نشأ في شاهق جبل، أو في مغارة منقطعة عن النَّاس، وهو عاقل بالغ إذا لم يعتقد إيماناً ولا كفراً.

ومن قال: بعدم اشتراط العلم مع وجود العقل، فلا يعذر بالجهل أحدٌ مطلقاً، وهذا معنى قول بعضهم: معرفة الله تعالى واجبة شرعاً عند الأشعرية[1]، وعقلاً عند الماتريدية.

(**أَنْ يَعرِفَ**[2]) أي: يجزم من غير شكٍّ ولا ترددٍ جزماً مستنداً إلى الأدلة العقليَّة والبراهين القطعيَّة، لا بمجرَّد التقليد لأئمة الإسلام بسبب تحسين الظَّنِّ بهم، فإنَّ ذلك غير

= وذهب كثيرٌ من المشايخ الحنفية إلى أنه لا يجب على الصبيِّ شيءٌ قبل البلوغ لقوله ﷺ «رُفع القلم عن ثلاث: عن الصبيِّ حتى يحتلم.....» وحمله الشيخ أبو منصور على الشرائع، ولا خلاف بين أصحابنا في صحة إيمان الصبيِّ العاقل. انظر: «وصية الإمام أبي حنيفة» (ص ٦٦) أكمل الدين البابرتي.

(١) الأشعرية: ظهر هذا المذهب في القرن الرابع الهجري على أثر انقلاب مفاجئ في معتقد مؤسسه الإمام أبي الحسن الأشعري (٣٣٠هـ) من الاعتزال الذي كان قد استمر عليه عشرين عاماً إلى مذهب أهل السنة انقلاباً ترافق بخصومة عنيفة للمعتزلة، ويمثل ظهور المذهب الأشعري نقطة تحول هامة في الفكر الإسلامي بعامه وعلم الكلام بخاصه، حيث أصبح معترف به كعلم من علوم الدين، ومن أهم علمائهم: ابن فورك محمد بن الحسن (ت ٤٠٦هـ)، وأبو إسحاق الإسفراييني (ت ٥٢٩هـ)، وأبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، وعبد القادر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، والإمام الجويني إمام الحرمين (ت ٤٨٧هـ)، والإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، وأبو المظفر الإسفرائيني (ت ٤٧١هـ).

(٢) المعرفة والعلم مترادفان على معنى واحد وهو: الجزم المطابق للواقع عن دليل، فخرج بالجزم **الظن** وهو: إدراك الطرف الراجح، **والوهم** وهو: إدراك الطرف المرجوح، **والشك** وهو: إدراك كل من الطرفين على السواء ؛ لذلك قال الأشعرية: بأن جميع الأحكام ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل، أما الماتريدية قالوا: بأن وجوب معرفة الله تعالى ثبتت بالعقل لوضوحها بخلاف سائر الأحكام، أما المعتزلة قالوا: بأن جميع الأحكام ثبتت بالعقل بناء على التحسين والتقبيح العقليين والشرع إنما جاء مقوياً لها.

كافٍ في النَّجاة من الكفر عند البعض، والصَّحيح أنه يكفي بشرط الجزم والمطابقة، ولكن غير كافٍ في حصول فرض المعرفة، فالمقلد الجازم المطابق عاصٍ لا كافر.

(مَا) أيْ: مقدار ما يمكن المكلَّف معرفته من الوصف الذي **(يَجِبُ)** وجوباً عقليّاً أي: يمتنع عدمه **(فِي حَقِّ)** أي: شأنِ **(مَولاَنَا)** أي: الذي هو متولِّي أمرنا كلِّه في الخير والشَّـر، وهو الله تعالىٰ **(عَزَّ)** عن إدراكات العقول **(وجَلَّ)** أي: وعظم عن تنزيهات[1] العقول، فضلاً عن إدراكاتها **(وَ)** أن يَعرف **(مَا)** أي: مقدار ما يمكن المكلَّف معرفته[2] من الوصف الذي **(يَسْتَحِيلُ)** عقلاً؛ أي: يمتنع وجوده في حق الله تعالىٰ **(وَ)** أن يعرف **(مَا)** أي: مقدار ما يمكن المكلَّف معرفته من نسبة الشـيء الذي **(يَجُوْزُ)** عقلاً؛ أي: يمكن نسبة وجوده وعدمه إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأن تمام نسبة الشـيء إلىٰ ربه غير ممكن الإحاطة بها من جميع الوجوه.

(وَكَذَا) أي: مثل ما ذكر[3] **(يَجِبُ)** وجوباً شرعياً؛ أيْ:يفترض **(عَلَيهِ أَنْ يَعْرِفَ)** أي: يجزم جزماً مطابقاً عن دليل عقلي لا بمجرد التقليد كما ذكرنا **(مِثْلَ ذَلِكَ)** يعني: الواجب والمستحيل والجائز في **(حَقِّ الرُّسُلِ)**، وهم الأنبياء المرسلون، ولو إلىٰ أنفسهم.

فالرسالة بهذا المعنىٰ لازمة للنبوة، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ [الحج: ٥٢]، فنسب الإرسال إلىٰ كلٍّ منهما، والمحققون علىٰ هذا، وإن فرَّق الفقهاء بينهما بالعموم والخصوص المطلق، كما ذكره الشيخ المناوي رحمه الله تعالىٰ في «شرح الجامع الصغير[4]».

---

(١) في نسخة (أ): تنزهات.

(٢) في (ب ـ ج ـ د): توهمه.

(٣) في نسخة (ب ـ ج): ما المذكور.

(٤) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين بن يحيىٰ بن محمد زين الدين الحدادي المناوي القاهري الشافعي، ولد بالقاهرة سنة (٩٥٢هـ)، وتوفي سنة (١٠٣١هـ) عائلته كانت تقطن (حداده) وهي مدينة من أعمال تونس ونزحوا إلىٰ القاهرة، واستقروا في بلدة منية بني خصيب الوجه القبلي من مصر، تتلمذ علىٰ يد الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وأخذ عنه التصوف، لديه الكثير من المؤلفات والشروحات من بينها: «شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير» للإمام السيوطي.

(عَلَيهِمُ الصَّلاَةُ) أي: الرَّحمة من الله تعالىٰ **(والسَّلامُ)** أي: الأمان منه تعالىٰ.

اعلم: أن المؤمنين بالله تعالىٰ وبرسله الكرام علىٰ ثلاثة أقسام:

- **مؤمنين إيمان تقليد مطابق وإذعان**، وقد اختلف العلماء في صحة إيمانهم، والصَّحيح الصحة ولكنهم عاصون لترك الفرض، وهو المعرفة كما سبق.

- **ومؤمنين إيمان دليل نظري وبرهان**، ولا خلاف في صحة إيمانهم، ولكن الخلاف في أنهم عارفون بربهم أم لا؟

والرَّاجح: أنهم أهل عقل وفكر وإذعان، لا معرفة وإلهام، وهم عاصون لترك تحققهم في الوجود الحادث، وعدم معرفة نفوسهم من الوجه الذي يلي عالم الملكوت.

- **ومؤمنين إيمان كشف صحيح وعيان**، ولا خلاف في صحة إيمانهم وثبوت معرفتهم وعدم عصيانهم، وهم أصحاب الإيمان الكامل أهل العلم والعمل ولا انقطاع لهم من الأرض إلىٰ يوم الحساب والعرض، نفعنا الله تعالىٰ بهم والمسلمين آمين.

وهذه الأقسام الثلاثة مرتبة في الوجود علىٰ هذا المثال المذكور.

فأول المراتب: **وجود التقليد والإذعان، ثم الدَّليل والبرهان، ثم الكشف والعيان**، ولا يحصل الكمال لأهل الغفلة إلا بهذا التَّرقي ما لم يغلب الجذب الإلهي[1]، فلا يحتاج العبد إلىٰ ذلك وهو نادر، وربما يعتري السَّالك في ترقيه ذلك آفات وقواطع تعوقه عن الوصول إلىٰ مرتبة أهل التحقيق من العارفين.

فأما أصحاب التقليد فقد لا يطابق اعتقادهم تقليدهم في تنزيه الله تعالىٰ عما لا يليق به من المكان والزمان والجهة والجسمية ونحو ذلك.

---

(١) هو تقريب العبد بمقتضىٰ العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج في طي المنازل إلىٰ الحق تبارك وتعالىٰ بلا كلفة وسعي منه والمجذوب هو من اصطفاه الحق لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. انظر: «المصطلحات الصوفية» عبد المنعم حنفي (ص١٥).

وقد يعتقدون مع الله تعالىٰ مؤثراً في الوجود كالأسباب العادية أو الشرعية أو العقلية فيكفرون وهم يظنون أنهم مؤمنون مقلدون لأئمة الإسلام، وهم في واد وأئمة الإسلام في واد آخر، وما هكذا التقليد.

وربما يعتريهم شك في ذلك وتردد والشك في الإيمان كفر، وأما أصحاب الدليل فقد يفسد نظرهم لفساد عقولهم، بسبب استقلالهم بها وعدم إدخالهم لها تحت أقوال الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام كالحكماء(١) والطبائعيين(٢)، والمعتزلة(٣)، ....

---

(١) الحكماء وهم كبار الفلاسفة من الروم واليونانيين، وعلىٰ كثرة فرقهم ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام:
- الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون أبداً، ومنهم فيثاغورس وسقراط وأفلاطون.
- الطبيعيون: وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة والحيوان والنبات، واعترفوا بوجود الخالق والصانع إلا أنهم ذهبوا إلىٰ أن النفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار، والحشر والنشر، والقيامة والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب، ومنهم: تاليس وانكساغورس وانبادقليس.
- الإلهيون: وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وقد قرب مذهبهم من مذاهب الإسلاميين علىٰ ما نقله الفارابي وابن سينا، ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلىٰ عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في عشر، أما الثلاثة التي يكفرون فيها فهي: ذهبوا إلىٰ أن الأجساد لا تحشر، والثواب والعقاب علىٰ الأرواح، وقولهم: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وقولهم: بقدم العالم وأزليته. انظر «المنقذ من الضلال» (ص٥٧).

(٢) الطبائعيون: هم جماعة من الفلاسفة المتقدمين، وقالوا بتأثير الأشياء بعضها في بعض، وسموا المؤثر طبيعة، واستندوا في ذلك إلىٰ المشاهدة الحسية حتىٰ نسبو مثل ذلك إلىٰ الأفكار البديهية وهو غلط وسببه قياس إدراك الحس بإدراك العقل. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص١٨٥)

(٣) المعتزلة: وهي فرقة من فرق الكلام التي عرضت موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل في زمن عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، وقد اعترف لهم خصومهم بأنهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج علىٰ من خالفهم وقد سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية، وأول من قال بأفكار المعتزلة واصل بن عطاء تلميذ الإمام الحسن البصري حيث خالف أستاذه بعدة مسائل منها القول بنفي صفات المعاني لله تعالىٰ من العلم والقدرة والإرادة والحياة ويقول أن من أثبت صفة قديمة فقد أثبت إلهين اثنين كما أنه صاحب الحكم بالمنزلة بين المنزلتين بالنسبة لصاحب الكبيرة حيث قال: إنه لا يحكم عليه بالإيمان المطلق ولا بالكفر مطلقاً، وأهم المعتقدات التي يعملون بها هي: (التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). انظر «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٤٠) و«الفرق والمذاهب الإسلامية» لسعد رستم(ص٨٨ـ١٠٤).

والقدرية[١]، والجبرية[٢]، وباقي الفرق الضالة ومن تبع أقوالهم وحذَا علىٰ حذوهم من جهلة أهل النَّظر، فقد كفروا وخرجوا عن السنَّة المحمَّدية، وهم يظنون أنهم علىٰ الحق وما ذلك إلا لاعتمادهم علىٰ عقولهم، وتركهم جانب التوكل علىٰ الله تعالىٰ في الفهم والإدراك، فإن العقول بيد الله تعالىٰ يقلبها كيف يشاء والله ولي المتقين[٣]، ومنه لا من الآراء العقلية يستمد التحقيق.

---

(١) القدرية: هم جماعة تنكر القضاء والقدر كله، وتنسب إلىٰ الله الجهل بما سيكون، وقال النبيﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة» رواه أبو داوود (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٥)، وقالوا: لفظ القدرية يطلق علىٰ من يقول (بالقدر) خيره وشره من الله تعالىٰ، وقال النبيﷺ: «القدرية خصماء الله في القدر» والخصوم، وانقسام الخير والشر علىٰ فعل الله وفعل العبد، لن يتصور علىٰ مذهب من يقول بالتسليم والتوكل وإحالة الأحوال كلها علىٰ القدر المحتوم والحكم المحكوم.
وأول من من قال بالقدر معبد بن عبد الله الجهني في البصرة، قتل سنة (٨٠هـ) وغيلان بن مسلم الدمشقي، وتنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قتل سنة (١٠٥هـ).

(٢) الجبرية: الجبر: هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلىٰ الرب تعالىٰ، والجبرية أصناف هي:
الجبرية الخالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة علىٰ الفعل أصلاً مثل الجهمية، **والجبرية المتوسطة**: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبرياً، ومن فرقهم: **الجهمية**: أصحاب جهم بن صفوان، **والنجارية**: أصحاب الحسين بن محمد النجار، **والضرارية**: وهم أصحب ضرار بن عمرو. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٦٧).

(٣) في نسخة (ب ـ ج): ولي التوفيق.

مطلب
[بعض ما يجب لله عزَّ وجلَّ]

(فَمِمَّا) أي: إذا عرفت ما تقدَّم، فمن بعض ما**(يَجِبُ)** وجوباً عقلياً **(لمولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ عِشرُون صِفَةً)** وهذا مقدار ما وصلت إليه عقول البشر من معرفة الله تعالىٰ، [وقدرتهم[١]] علىٰ إقامة الدَّليل عليه، وإلاَّ فلله تعالىٰ صفات لا عدد لها؛ إذ كمالاته تعالىٰ لا تتناهىٰ.

(وَهِيَ) أي: العشرون صفة[٢]، الأولىٰ منها: **(الوُجُودُ)** ومعناه الثبوت والقيام، وهو عين الذَّات، وعدُّه من الصِّفات مجاز؛ لكونه يجري علىٰ اللفظ، فيقال: ذات موجودة[٣].

ووجود الله تعالىٰ لا يشبه وجود مخلوقاته؛ لأن وجود الله تعالىٰ مطلق عن المكان والزمان والجهات، والمقدار والكيفية، ونحو ذلك من التَّخصيصات، ووجود المخلوقات مقيَّد بجميع ذلك، فالاشتراك في اسم الوجود لا يقتضي الشركة في مسمَّاه.

(وَ)الثانية: **(القِدَمُ)** ومعناه سلب الأوليَّة عن الوجود، واتصاف المخلوق[٤] به كناية عن طول المدَّة في الزمان الماضي، كما يقال: بناء قديم، وعرجون قديم، وهو بهذا المعنىٰ مستحيل علىٰ الله تعالىٰ؛ لأن الزمان من جملة مخلوقاته.

---

(١) في جميع النسخ (وقدرته) ولعل الصواب ما أثبت والله أعلم.

(٢) ليعلم أن كون الصفات عشرين بناء علىٰ القول بثبوت الأحوال، وهي الواسطة بين الموجودات الخارجية والمعدومات، وبعضهم قال: بأنها ثلاث عشرة صفة بناء علىٰ عدم ثبوت الأحوال.

(٣) قدَّم الوجود علىٰ غيره؛ لأنه كالأصل لما عداه إذ لا يصح الحكم علىٰ القدم وما بعده إلا بعد ثبوته، وقد اختلف العلماء في الوجود فقيل: هو عين الموجود كما قال أبو الحسن الأشعري، وقيل: هو غير الموجود وبه قال الإمام الرازي، وأما السعد التفتازاني وغيره من المحققين فقالوا: إن المراد أنه ليس أمراً زائداً علىٰ الموجود بحيث يرىٰ، بل هو أمر اعتباري، وقد قال البعض: إنه لا يجب علىٰ المكلف اعتقاد شيء من ذلك بل يكفي أن يعتقد أن الله موجود. انظر: «حاشية الباجوري» (ص٥١).

(٤) في نسخة (ب): الخلق.

(وَ)الثالثة: (البَقَاءُ)، وهو سلب الفناء والزوال، والمراد: البقاء بالنفس لا بالغير؛ لأن أهل الجنة والنَّار باقون إلىٰ ما لا نهاية له، ولكن بقاؤهم بالله تعالىٰ لا بأنفسهم، وبقاء الله تعالىٰ بنفسه لا بغيره، وفرق بين البقائين، ولهذا يقبل أحدهما الزوال دون الآخر.

(وَ)الرابعة: (مُخَالَفَتُه)؛ أي: عدم مشابهته تعالىٰ (لِلحَوَادِثِ) أي: المخلوقات، فلا تشبه ذاته ولا صفاته ولا أسماؤه ولا أفعاله ولا أحكامه شيئاً من الأشياء، ولا بوجه من الوجوه.

(وَ)الخامسة: (قِيَامُهُ) أي: ثبوته ووجوده (تَعَالَىٰ بِنَفسِهِ[1]) أي: بذاته، وإنما عَدَلَ عن قوله: والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث؛ ليكون علىٰ سنن واحد مع قوله والقدم والبقاء؛ لأن هاتين الصفتين اختلف فيهما الموحِّدون والمدَّعون للتوحيد من اليهود والنصارىٰ.

فزعم اليهود أنه تعالىٰ موافق للحوادث، وزعمت النَّصارىٰ أنه تعالىٰ قائم بالحوادث، فصـرَّح بإضافة هاتين الصفتين إليه تعالىٰ؛ ليكون أتمَّ في الردِّ علىٰ هاتين الطائفتين المعترفتين بالوجود والقدم والبقاء والوحدانية.

وهذا أتم من قول بعضهم إنما فعل ذلك تفنُّناً في العبارة، ويجوز إطلاق النفس علىٰ الذَّات قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فلا مشاكلة في قوله تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] خلافاً لمن زعم ذلك.

(أَي: لاَ يَفتَقِرُ) ولا يحتاج سبحانه وتعالىٰ (إِلَىٰ مَحَلٍّ) أي: ذات من الذَّوات مطلقاً يحل فيها أو يتحدُّ بها؛ بحيث يكون صفةً لها أو تعيناً فيها كما تزعمه النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، وكما تزعمه الباطنية[2] في كل شيء (وَلاَ) يفتقر إلىٰ (مُخَصِّصٍ) أي: فاعل يخصصه ببعض ما يجوز

---

(١) معنىٰ قائم بنفسه: استغنىٰ، أي: غناه بنفسه لا بغيره ولا باكتساب، والنفس بالنسبة لله تعالىٰ مأخوذة من النفاسة لا من التنفس، لأنه مستحيل عليه تعالىٰ. انظر: «حاشية السباعي علىٰ الخريدة البهية» (ص٨٢).

(٢) الباطنية: هي دعوة أقامها جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وطائفة من الفلاسفة الملحدين مقابل ما أصابهم من استيلاء المسلمين علىٰ بلدانهم وعدم قدرتهم علىٰ مواجهة جيوشهم بالسلاح فاتخذوا طريق الحيلة والمكر وذلك بانتحال عقيدة طائفة من عامة المسلمين غير المثقفين ليسهل تمرير ما خططوا له في السيطرة علىٰ عقولهم ودفعهم للانسلاخ عن معتقدات المسلمين ببث بعض المعتقدات الزائفة التي تنصب علىٰ وجود بواطن وظواهر لما جاء في القرآن وتعظيم المظالم التي كانت تظهر من عمال الولاة لشق الصفوف =

علىٰ الممكن من التخصيصات كالأجسام؛ فإنها تحتاج إلىٰ ذلك، خلافاً لليهود في زعمهم بأنَّ الله تعالىٰ جسم مستقرٌّ علىٰ عرشه، وتبعهم في ذلك المجسمة[1].

والحاصل: أنَّ الله تعالىٰ قد اختلفت أهل العقول فيما ينبغي أن يكون عليه من الصِّفات فشبهه الكافرون بما يدركونه من العالم، ونزهه المسلمون عن جميع مدركاتهم، وقالوا: ينبغي أن يكون ليس من جنس ما ندرك[2] مطلقاً، وتبعوا في ذلك ما كانت عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونزلت به الكتب وجاء الفتح الإلهي علىٰ هذا العَقْد المطابق، وأما الكافرون علىٰ اختلاف آرائهم وأنظارهم حين شبهوه بما يدركونه من العالم، ومعلوم أن العالم المدرَك منقسم إلىٰ جسم وعرض، فقد انقسموا إلىٰ أقسام كثيرة:

منهم: النصارىٰ ومنهم اليهود، وأما النصارىٰ فملخص كلامهم أنهم جعلوا الإله عَرَضاً قائماً بالمسيح عيسىٰ عليه السلام، وصرَّحوا فيه بالحلول والاتحاد[3]، وأما اليهود فقد جعلوا

= وزرع الطائفية والادعاء بأنهم يعملون تحت راية إمام معصوم من آل البيت والتباكي علىٰ ما حل بهم من مصيبة، ومن ألقابهم التي تداولتها الألسنة علىٰ اختلاف الأزمنة للقيام بهذه الدعوة (القرامطة، والقرمطية، الخرمية، والخرمندينية، الإسماعيلية، السبعية، البابكية، المحمرة، التعليمية). انظر «فضائح الباطنية» للإمام للغزالي (ص٣٥).

(١) المجسمة: وهي من الفرق التي عرفت بها الكرامية، وهم جماعة أبو عبد الله محمد بن كرام، وعددهم اثنا عشر فرقة من أصل ستة فرق، وجماعة من أصحاب الحديث من الحشوية، وجماعة من الشيعة المغالين.
حيث كانوا يقولون: بأن معبودهم علىٰ صورة ذات أعضاء وأبعاض ينتقل من مكان إلىٰ آخر يصعد وينزل وله يد ورجل ووجه وأعين وأذان ويلامس ويصافح، وبعضهم ادعىٰ أن له لحماً ودماً كذلك سائر الصفات. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٨٢ ـ ٨٧)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص١٦٥).

(٢) في نسخة (ب): المذكور.

(٣) وهذا من المستحيل في حق الله تعالىٰ؛ لأن الله لو حلَّ في شيء لكان صفة له، ولو كان صفة له لم يصح وصفه بصفات المعاني والمعنوية؛ لأن المعنىٰ لا يقوم بمعنىٰ، ومولانا جل وعز يجب اتصافه بهما فليس بصفة، بل هو ذات لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، ومثل الحلول في الاستحالة الاتحاد وهو صيرورة الشيئين شيئاً واحداً مستحيل مطلقاً في القديم والحادث، لأنه إذا اتحدا فإن بقيا موجودين علىٰ حالهما فلا اتحاد لأنهما اثنان، وإن عدما معاً كان الموجود غيرهما فلم يتحدا، وإن عدم أحدهما دون الآخر امتنع الاتحاد لأن المعدوم ليس عين الموجود، والقول بالاتحاد كفر بإجماع المسلمين. انظر: «شرح أم البراهين» للشيخ عيسىٰ الأنصاري (ص٦٨).

الإله جسماً من جملة الأجسام، وكلا الفريقين لم يخرجوه عن العالم، وقد جاء القرآن العظيم كما جاءت الكتب السابقة منقسماً إلى قسمين:

المتشابه والمحكم؛ لأن الله تعالى يضلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً؛ كما أخبرنا تعالى، والمحكم هو الأصل قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، فقد أخبرنا تعالى أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب، والأم هي الأصل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٤]، وقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] إلى آخر السورة ونحو ذلك.

وأخبرنا أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون الآيات المتشابهات ابتغاء الفتنة؛ أي: الحمل على الظَّاهر بنسبة التجسيم مثلاً إلى الله تعالى؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿و جَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١٠] ونحو ذلك.

ونسبة الجهة إليه أخذاً من قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦]، و﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠]، و﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١١٥] ونحو ذلك.

وبعضهم يتَّبع المتشابه أيضاً ابتغاء تأويله؛ أي: صرفه عن معناه الحقيقي الذي يعلمه الله تعالى منه إلى المعنى الذي تتخيله العقول والأفكار من آل الشيء إلى الشيء إذا رجع.

وأخبرنا أن الرَّاسخين في العلم يقولون؛ أي: تقول قلوبهم وعقولهم فضلاً عن ألسنتهم عند القسم المتشابه آمنا به؛ أي: صدقنا واعترفنا به على حسب معناه الحقيقي الذي يعلمه ربنا؛ لأنه هو الذي أنزله ربنا، وهو كلٌّ من عنده المحكمُ والمتشابه.

والمراد بالرَّاسخين الأبرار، وأولوا الألباب هم المقربون، مأخوذ من لب العقل، وهو خلاصته، فيتذكرون معناه بتذكير الله تعالى لهم ذلك كما كانت الأنبياء عليهم السلام

يتذكرونه؛ لأنهم ورثتهم وسماه تذكراً؛ لأنه مغروز في جبلتهم، ولكن منع منه الغرور[١] بالحياة الدنيا والالتهاء بتكاثر زخارفها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(وَ) السادسة: (**الوَحدَانيَّةُ**)، وهي سلب الاثنينيَّة[٢]، وسلب إمكانها؛ (**أَي: لاَ ثَانِيَ لَهُ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ**)؛ يعني: أن ذاته ليست مركبة من جزءين ولا من أكثر، وليس هناك ذات أخرى تشبه ذاته بوجه من الوجوه، ولا يمكن في ذاته شيء من ذلك (**وَلاَ**) ثاني له (**فِي**) صفة من (**صِفَاتِهِ**) أيضاً؛ يعني: كل صفة من صفاته لا يشبهها شيء من الأشياء ولا بوجه من الوجوه، ولا يمكن فيها ذلك.

(**وَلاَ**) ثاني له (**فِي**) فعل من (**أَفعَالِهِ**) أيضاً، يعني: أن كل فعل من أفعاله متصف بالوحدانية، فلا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، فليس فعله عرضاً كأفعال خلقه[٣] وجميع الخلق وأفعالهم منفعلاته لا أفعاله[٤]، فأفعاله قديمة ومنفعلاته حادثة.

(**فَهذِهِ**) أي: الصِّفات المذكورات (**سِتُّ صِفَاتٍ**)، كما علمت.

---

(١) في نسخة (ج): الغروز.

(٢) المراد بها: التعدد مطلقاً، واقتصر على الاثنينية لأنها مبدأ التعدد. انظر: «الصاوي على الجوهرة» (ص٣٧).

(٣) في نسخة (ب): كأفعاله.

(٤) في نسخة (ج): فعاله.

مطلب
[في القسم الأول الصفة النفسيَّة]

الصفة (الأُولَى) منها، يقال لها: صفة (نَفسيَّةٌ[١]) بياء النسبة إلىٰ النفس سميت بذلك؛ لأنه لا يتصور الحكم علىٰ النفس بشيء إلا بعد اتصافها، فهي حال من أحوال النفس اللازمة لها، ولكنها غير معلَّلة بعلَّة، بخلاف الأحوال المعنوية، كالقادر، والمريد علىٰ ما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ؛ فإنها معلَّلة بقيام القدرة والإرادة بالذات، ولهذا لا تسمَّىٰ نفسية (وَهِيَ) أي: تلك الصفة النفسيَّة (الوجُودُ) وقد سبق الكلام عليه.

---

(١) والمراد بها صفة ثبوتية يدل الوصف بها علىٰ الذات دون معنىٰ زائد عليها ككون الجوهر جوهراً وكونه شيئاً موجوداً، ويعلم من كلام المؤلف أن الصفات قسمان أيضاً:

أحدهما: وهو الوجودي منها وهي صفات المعاني. والثاني: وهو الأحوال وهي الصفات المعنوية، وضابط الصفة النفسية ما لا تتعقل الذات إلا بها وليس له تعالىٰ صفة نفسية سوىٰ الوجود.

مطلب
[في القسم الثاني الصفات السَّلبية]

(والخَمْسَةُ) المذكورة، وهي: القدم والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية (بَعدَهَا)؛ أي: بعد الأولىٰ النفسية التي هي الوجود.

(سَلبيَّةٌ) أي: منسوبة إلىٰ السَّلب وهو النفي، سميت بذلك؛ لأن معنىٰ كل واحدة منها سلب شيء، وهو نقص لا يليق بالله تعالىٰ.

فمعنىٰ القدم: سلب العدم السابق علىٰ الوجود، ومعنىٰ البقاء: سلب العدم الطارئ علىٰ الوجود، ومعنىٰ المخالفة للحوادث: سلب الموافقة لشيء منها، ومعنىٰ القيام بالنفس: سلب الافتقار إلىٰ محل أو مخصص، ومعنىٰ الوحدانية: سلب الاثنينيَّة؛ كما سبق.

مطلب

[القسم الثالث صفات المعاني]

(ثُمَّ يَجِبُ) وجوباً عقلياً (لَهُ تَعالىَ سَبْعُ صِفَاتٍ)، عطف بـ «ثم» المقتضية للترتيب والتراخي؛ إشارة إلىٰ أن التخلية مقدَّمة علىٰ التحلية، وتنزيه الله تعالىٰ بوصفه بالصِّفات السَّلبية مقدَّم علىٰ وصفه بصفات المعاني؛ لأن الإله لا يدرك، والسَّلب أصل في صفاته عندنا (تُسَمَّى) تلك الصفات السَّبع (صفَاتِ المعَاني)؛ أي: الصفات التي لها معان في نفسها زائدة علىٰ معنىٰ قيامها بالذات، وذلك لأن صفات الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أقسام:

منها: ما لا معنىٰ له موجود في نفسه، ولا معنىٰ له موجود مما يلي الذات، ولا مما يلي المنفعلات، وهي الصفات السَّلبية، والأحوال المعنوية.

ومنها: ما له معنىٰ موجود في نفسه، ومعنىٰ موجود مما يلي الذات، فيسمىٰ قيام الصفة بالموصوف، ومعنىٰ موجود مما يلي المنفعلات، فيسمىٰ تعلقاً[1]، وهي صفات المعاني ما عدا الحياة.

ومنها: ما له معنىٰ موجود في نفسه، ومعنىٰ موجود مما يلي الذات فقط، ولا معنىٰ له مما يلي المنفعلات، وهي الحياة لا تعلق لها بشيء[2]، وتسمىٰ الحياة صفة لها معنىٰ أيضاً باعتبار المعنىٰ الموجود في نفسها، والمعنىٰ الموجود مما يلي الذات، وهو المراد هنا.

فصفات المعاني سبع (وَهيَ) أي: تلك السبعة الأولىٰ:

منها: (القُدرَةُ): وهي صفة واحدة لله تعالىٰ قديمة، يُظْهر بها الأشياء من العدم إلىٰ

---

(١) التعلق: هو اقتضاء الصفة أمراً زائداً علىٰ قيامها بالذات، كاقتضاء العلم معلوماً ينكشف به، واقتضاء الإرادة مراداً يتخصص بها، واقتضاء القدرة مقدوراً وهكذا. انظر: «الخريدة البهية» للدردير (ص٨٢).

(٢) لأنها لا تقتضي أمراً زائداً علىٰ القيام بمحلها بخلاف غيرها من صفات المعاني، فإنه يقتضي أمراً زائداً علىٰ القيام بمحلها، فالقدرة تقتضي مقدوراً يتأتىٰ بها إيجاده وإعدامه، والإرادة تقتضي مراداً يتأتىٰ بها تخصيصه، والعلم يقتضي معلوماً يتضح به، والسمع يقتضي مسموعاً يسمع به، والبصر يقتضي مبصراً يبصر به، والكلام يقتضي معنىٰ يدل عليه. انظر: «تهذيب السنوسية» (ص٥١)

الوجود، ليست قوة؛ لأن القوىٰ كلها أعراضٌ، والأعراض حادثة، ولا معنىٰ من المعاني؛ لأن المعاني أيضاً حادثة؛ لأنها أعراض.

(وَ)الثانية: (**الإِرَادَةُ**): وهي صفة واحدة أيضاً لله تعالىٰ قديمة يُخَصِّص بها الأشياء ببعض ما يجوز عليها من المقادير والصور، والماهيات والأماكن والأزمنة ونحو ذلك، وليست قوة أيضاً ولا معنىٰ.

(**المُتَعلِّقَتَان**[١]) وصف للقدرة والإرادة،(**بِجَمِيعِ**) الأشياء (**المُمكِنات**[٢])؛ أي: التي يجوز في العقل وجودها وعدمها، فالقدرة تُظهِرُ جميع ما خصَّصته الإرادة سواء خصَّصته بِعظِمٍ أو حقارةٍ، أو صغرٍ، أو كبرٍ، أو إنسانية، أو جماديَّة، ولا تفاوت عندها بين الأشياء علىٰ اختلاف الأشياء؛ لأنه لا تفاوت في المعدومات، فالكلُّ كان متصفاً بالعدم الواحد، فصار متصفاً بالوجود الواحد، قال تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، ومعنىٰ الخلق الإيجاد، وليس بعض الأشياء أهون أو أصعب من بعض بالنسبة إليه تعالىٰ.

فصيغة المبالغة في قدير ومريد ونحو ذلك مجاز عن المساواة، ولكن لما كانت صفاته جليلة عظيمة لا تشبه شيئاً من الأشياء مما ندركه أشير إليها بصيغة قادر وعالم تارة علىٰ طريق التَّضمن للعظمة والجلال، ثم صرَّح بذلك في صيغة قدير وعليم ونحوه، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] خرج مخرج الإلزام لمنكري إعادة الأموات بعد قيامهم[٣] حين استبعدوا ذلك.

---

(١) في (د): (المتعلقات) و(ج) (التعلقان)

(٢) يعني: أن القدرة والإرادة متعلقهما واحد هو الممكنات دون الواجبات والمستحيلات، إلا أن جهة تعلقهما بالممكنات مختلف، فالقدرة صفة تؤثر في إيجاد الممكن وإعدامه، والإرادة صفة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن أنه وجود أو إعدام أو طول أو عرض أو قصر.... الخ، فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة، بمعنىٰ أن ما خصصته الإرادة من الممكنات تبرزه القدرة، وهذا الإبراز يسمىٰ بالتعلق التنجيزي الحادث، والقدرة واحدة بينها المقدورات كثيرة.انظر: «شرح العقيدة الصغرىٰ» للسنوسي (ص٥١) و«جوهرة التوحيد» للباجوري (ص٢٦).

(٣) في (ب ـ د ـ ج): فنائهم.

واعلم أن قدرة الله تعالىٰ وإرادته لا يتعلقان بالواجبات ولا بالمستحيلات، أما عدم التعلق بالواجبات؛ فلأنَّ التعلق يقتضي التَّأثير، وهو إما إيجاد أو إعدام، فإن كان إيجاداً يلزم تحصيل الحاصل؛ لأن الواجبات، وهي ذات الله تعالىٰ وصفاته موجودة لا تحتاج إلىٰ إيجاد آخر، وإن كان إعداماً، فإن الواجبات لا تقبل العدم؛ لأنه نقص في حق الله تعالىٰ، والنقص في حق الله تعالىٰ محال.

فإن القدرة والإرادة كلاهما واجبتان، فلو تعلقتا بالواجبات لتعلقتا بأنفسهما، ولو تعلقتا بأنفسهما لأثرتا في أنفسهما، ولو أثرتا في أنفسهما لأعدمتا أنفسهما وهو محال؛ لأنه نقص عظيم في المولىٰ جلَّ شأنه وعزَّ برهانه تعالىٰ.

وأما عدم التَّعلق بالمستحيلات، فلأنها لا تقبل التَّأثير، أما الإعدام فإنها معدومة، والمعدوم لا ينعدم ثانياً؛ لأنه تحصيل الحاصل كما مرَّ، وأما الإيجاد فلأنَّ المستحيل عدم صِرّف لا معدوم؛ لأن الله تعالىٰ كامل لا ناقص في الأزل، فليس وجود المستحيل في علمه تعالىٰ، كالممكن حتىٰ يكون معدوماً؛ كما أن الممكن معدوم، وإنما المستحيل في علمه تعالىٰ عدم صرف؛ لأنه نقص محض في جناب الحق تعالىٰ، والحق كامل لا يقبل النقص؛ لأنه ضده والعدم الصرف لا يصير موجوداً أبداً، وإلا لحدثت[1] الأشياء من غير تخصيص الإرادة وإحاطة العلم وهو محال، ولأن إعدام القدرة والإرادة مستحيل، فلو تعلقت القدرة والإرادة بالمستحيل لتعلقتا بإعدام أنفسهما، ولو تعلقتا بإعدام أنفسهما لكان إعدامهما ممكناً، ولو كان إعدامهما ممكناً لم يكونا واجبتين بل ممكنتين، والممكنتان مخلوقتان[2] وهما قديمتان، وكونهما مخلوقتين محال، ولأن القدرة والإرادة صفتان من شأنهما إظهار الأثر في القابل للتَّأثير وهو الممكن، وأما الواجب والمستحيل فلا يقبلان التأثير، فالواجب لكماله ونقصان التَّأثير، والمستحيل لنقصانه وكمال التَّأثير.

---

(١) في (ب ـ د ـ ج): لوجدت.

(٢) في (أ ـ د): والممكنات مخلوقة.

أرأيت لو أن السَّيف القاطع لو لم يؤثر في جملة الموجودات كلها بضربة واحدة، ولا في الجسم المفروض الموجود[1] لا يلزم نقصان السيف، ولا يجوز نسبة العجز إليه، بل يقال: إنما العجز في الجسم المفروض عن قبول تأثير السَّيف القاطع فيه، وجملة الموجودات كلها لم يوضع السَّيف لضربها به ضربة واحدة حتى يلزم من عدم إمكان ذلك نسبة العجز إلى السَّيف.

أرأيت لو أن إنساناً لم يبصر بأذنه ولا بيده ولم يسمع بعينه ولا برجله لا يقال في حقه أعمى ولا أصم؛ لأن الأذن ليس من شأنها الإبصار وإنما هي للاستماع، فإذا لم تتجاوز ما جعلت له لا يلزم العجز في ذلك ولا النقص، وكذلك اليد للتناول لا للإبصار، وكذلك العين للإبصار لا للاستماع، والرجل للمشي لا للاستماع، وكذلك القدرة والإرادة لإيجاد الممكن وتخصيصه ليس من شأنهما التعلق بالواجب ولا بالمستحيل،وإذا لم يكن من شأنهما ذلك لا يلزم العجز في عدم ذلك التعلق، بل العجز إنما هو في عدم التعلق بممكن دون ممكن، وهذا ممتنع.

إذا علمت هذا فلا يرد علينا ما تعترض به بعض الجهلة من الزائغين على طريق المغالطة، بأن الله تعالى قادر على أن يخلق له ولداً أو نحو ذلك من تعلق القدرة بالمستحيل؛ لأن الولد مستحيل باعتبار أنه لو خلقه الله تعالى له لكان مخلوقاً، والمخلوق لا يسمَّى ولداً للخالق، كما أن المصنوع لا يسمَّى ولداً للصانع كالنَّجار مثلاً إذا صنع له ولداً من خشب، فلا يقال له ولد من حيث موضوع اللغة العربية ولا غيرها من اللغات، مع أن النَّجار بينه وبين المصنوع من الخشب مناسبة في الجملة؛ لأنهما مخلوقان، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق بوجه من الوجوه[2].

---

(١) في (ب ـ ج): الوجود.

(٢) وما وقع لابن حزم الظاهري من أنه تعالى قادر على أن يتخذ ولداً وإلا لكان عاجزاً، فاسدٌ يجب اجتنابه، لأن إيجاد الولد محال، والمحال لا يدخل تحت القدرة فلا عجز، فهو سبحانه قادر على ما شاء وأراد من الممكنات الجواهر والأعراض الحسنة والقبيحة، النافعة والضارة. انظر: «منهاج الراغب إلى إتحاف الطالب» (ص٤٧).

(وَ)الثالثة: (**العِلْمُ**): وهو صفةٌ لله تعالىٰ واحدة قديمة محيطة بالكليات والجزئيات إحاطة واحدة من غير زيادةٍ إحاطةٍ بمعلوم دون معلوم، ولا فرق عندها بين موجود ومعدوم (**المُتَعلِّقُ**) وصف للعلم (**بِجَمِيعِ**) الموجودات (**الوَاجِبَاتِ**) وجوباً عقلياً، وهي ذات الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله وأحكامه، فيعلم الله تعالىٰ جميع ذلك علماً واحداً لا يتناهىٰ، كما أن تلك[1] الأشياء لا تتناهىٰ، (وَ)جميع الأشياء (**الجَائِزَاتِ**) عقلاً، سواء كانت موجودة أو معدومة، ولا يعزب عن علمه شيء موجود ولا معدوم، وإنما أطلقت علىٰ المعدوم شيئاً مجازاً باعتبار ما يؤول، وإلا فالشيء هو الموجود فقط عندنا كما قرره[2] علماء الكلام.

(وَ)جميع الاعتبارات (**المُستَحيلاَت**) في نظر العقل كالشـريك، والشبيه، والصاحبة والولد، فإن الله تعالىٰ يعلم هذه الاعتباراتِ المستحيلة أنها عدم صرف، وأنها لا توجد أبداً لعدم قبولها الوجود، ويعلم ماذا يترتب علىٰ وجودها لو أنَّها وجدت من النقائص المنزَّه عنها سبحانه وتعالىٰ.

واعلم أن علم الله تعالىٰ المحيط إحاطة واحدة بجميع الواجبات والمستحيلات والجائزات لا يشبه علم المخلوقات، ولا بوجه من الوجوه، وإنما إطلاق اسم العلم عليه بحسب الاشتراك الوضعي في أصل اللغة العربيَّة؛ لأنَّ علمه تعالىٰ ليس تصوراً للمعلومات ولا تصديقاً بها[3]، وعلم المخلوق[4] تصور وتصديق.

أما كون علم الله تعالىٰ ليس تصوراً، فلأنَّه قديم، والقديم لا يتناهىٰ، والصور مقادير

---

(١) في (ب): هذه.

(٢) في (ب): قدره.

(٣) ولأن علمه تبارك وتعالىٰ متعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات علىٰ وجه الإحاطة علىٰ ما هي به من غير سبق خفاء، فهي صفة كاشفة غير مؤثرة، فهو يعلم الأشياء أزلاً علىٰ ما هي عليه وكونها وجدت في الماضي أو موجودة في الحال أو توجد في المستقبل، وهذه الأطوار في المعلومات لا توجب تغيراً في تعلق العلم، فالمتغير إنما هو المعلوم لا تعلق العلم، وعلمه سبحانه وتعالىٰ غير مكتسب ولا عن نظر واستدلال كما هو الشأن في البشر.

(٤) في (أ): المخلوقات.

متناهية، فلا يمكن أن تكون منطبعة في علم الله تعالىٰ الذي لا يتناهىٰ، بل هي متصورة في القلم الأعلىٰ، واللوح المحفوظ يصوِّرها الله تعالىٰ في ذلك ثم ينزلها إلىٰ أعيانها.

والقلم الأعلىٰ واللوح المحفوظ وجميع ما هو مصوَّر فيهما موجود في علم الله تعالىٰ من غير كيف ولا كيفية.

فاغتنم هذا المبحث(١) الذي لم تسمع ببيانه نفس من النفوس الكاملة لا في كتاب ولا خطاب، والله يتولىٰ هداك.

وأما كونه ليس تصديقاً؛ فلأنَّ التَّصديق يقتضـي سبق المعلوم، والمعلومات كلها مستفادة من علمه تعالىٰ لا علمه مستفاد منها.

(وَ)الرابعة: (**الحَيَاةُ**): وهي صفة واحدة لله تعالىٰ قديمة، تصحِّح له الاتصاف بباقي صفات المعاني، وليست بسبب اتصال روح كحياة(٢) المخلوقات، ولا قابلة للزوال، ولا هي معنىٰ من المعاني، ولا عرَض من الأعراض.

(وَهيَ) أي: الحياة (**لاَ تَتعلَّقُ بِشـيءٍ**) أي: لا معنىٰ لها زائد علىٰ قيامها بذات الله تعالىٰ، وإنما المتعلق بالأشياء باقي صفات المعاني، والحياة شرط قيامها بالذات؛ إذ لا يكون قادرٌ ولا مريدٌ ولا عالمٌ ولا سميعٌ ولا بصيرٌ ولا متكلمٌ، إلا إذا كان حيَّاً، ومن لم يكن حيَّاً لا يوصف بشيء من ذلك.

(و)الخامسة: (**السَّمْعُ**): وهي صفة لله تعالىٰ واحدة قديمة، يدرك بها أصوات جميع الموجودات، والموجودات كلها ناطقة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [فصلت: ٢١] فيسمعها بلا أُذُن، ولا صماخ، ولا تفاوت بين الصوت العالي والخفي والقريب والبعيد، ولا يمنعه البعض من سماع البعض، وليس سمعه ذلك من جهة، ولا من الجهات كلها.

(و)السادسة: (**البَّصَرُ**): وهو صفة واحدة لله تعالىٰ قديمة، يرىٰ بها جميع الموجودات ظاهرها وباطنها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]، وهذا البصـر الإلهيُّ بلا عين

---

(١) في (ج): البحث.

(٢) في (ج): إيصال روح حياة.

هي جارحة، ولا حدقة ولا أجفان، ولا تحجبه الأستار(١)، ولا الجدران، ولا يرىٰ من جهة ولا مكان، ولا من جميع الجهات والأماكن، بل يرىٰ جميع الجهات والأماكن، ولا تختص رؤيته بظاهر شيء ولا باطنه، ولا يحتاج إلىٰ نور ولا تمنعه الظلمة، ولا تفاوت في رؤيته بين الظاهر والخفي والصغير والكبير، وقولي: بلا عين هي جارحة احترازاً عن العين الإلهية الواردة في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

فإنا نؤمن بأن الله تعالىٰ له عين وله أعين، كما [قال،و] نؤمن أن له روحاً كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وله نفس كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وله يد كما قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ١٠]، وله أيدي كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وله وجه كما قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ﴾ [البقرة: ١١٥]، وما أشبه ذلك من الصفات التي هي فينا جوارح وأعضاء، فإن من أنكر شيئاً منها فقد أنكر القرآن العظيم فيكفر.

والحق أن صفات الله تعالىٰ كلها الواردة في القرآن كلامِه القديم، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ متشابهةٌ لا يُعلَم المراد من معناها القديم، وهي فينا مسمَّاة بأسماء القوىٰ الروحانية، كالقدرة والإرادة والعلم والحياة ونحو ذلك، وبأسماء الأعضاء الجسمانية كاليد والوجه ونحو ذلك وبعض الجَهَلَة يطلق المتشابه علىٰ ما كان من أسماء الأعضاء دون ما كان من أسماء القوىٰ فكأنَّه فهم معنىٰ القدرة الأزليَّة مثلاً، والإرادة الأزليَّة، والعلم الأزليّ، وهيهات هيهات أن يُدرِكَ القديمَ المحدثون(٢)، ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون(٣).

---

(١) في (أ): الإشارة.

(٢) في (د): المُحدَث.

(٣) إن صفات الله تعالىٰ علىٰ أقسام ثلاثة:

ـ ما هو كمال محض، وهي الصفات التي ما هيَّاتها وحقائقها لا تستلزم الحدوث ولا الجسمية، كمعاني الوجود والعلم والسمع والبصر ونحوها فهي ثابتة لله تعالىٰ علىٰ ما يليق به.

ـ ما هو من الصفات نقص محض، فهذا يؤول قطعاً ولا يفوَّض كالنسيان وغيره.

ـ ما يوهم بمعناه الظاهر الحقيقي النقص، لأنه بمعناه الظاهر الحقيقي دالٌّ علىٰ صفات الأجسام، وله في لغة =

= العرب معاني أخرىٰ لائقة بالله تعالىٰ لا تختص بالبشر ولا بالمخلوقات، فليست تدل علىٰ أجزاء ولا أعضاء ولا أركان ولا انفعالات لجسم ما، بل علىٰ أفعال تليق أغلبها بالله تعالىٰ، مثال ذلك اليد، فإن لها معاني كثيرة، الحقيقي منها الجارحة، فهذا المعنىٰ يُنْفَىٰ قطعاً باتفاق السلف والخلف. فالسلف يفوِّضون علم المراد من نصوص الصفات إلىٰ الله وهذا القسم هو الذي يفوض، وقد أخطأ من زعم أن التفويض هو اعتقاد أن نصوص الصفات لا معنىٰ لها، وهذا التصور فاسدٌ قطعاً، أما التفويض فهو كما تقدم هو «اعتقاد أن لنصوص الصفات معاني لائقة نسكت عن تعيينها، ونكل علم ذلك إلىٰ الله تعالىٰ» هذا هو التفويض، وهاك نقول من العلماء الكبار أبدؤها بقول الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: «ويتكلم لا ككلامنا ويسمع لا كسمعنا ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله تعالىٰ يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالىٰ غير مخلوق، وهو شيء لا كالأشياء، ومعنىٰ الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض، ولا حدَّ له، ولا ضد له» وقال الذهبي: «والمحفوظ عن مالك رحمه الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: أمروها كما جاءت بلا تفسير» وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: «عندما سئل عن الاستواء فقال: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك» قال ابن قدامة: «قال أبو بكر الخلال أخبرنا المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن أخبار الصفات، فقال تُمرها كما جاءت»، فهذا معنىٰ التفويض عند السلف الصالح فلنقف عنده. انظر: «الفقه الأكبر» (ص٢٦) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٥) و«القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام» (ص١٠٧) بتصرف.

مطلب
[تعلق السمع والبصر بالموجودات]

(المتَعلِّقَان): وصف للسمع والبصر (بِجَمِيعِ) الأشياء (المَوجُودَاتِ)، وهي قسمان:

الواجبات: كالذَّات الإلهية، والصِّفات الأزلية.

والممكنات: كالمخلوقات الموجودات فقط، ولا تعلق للسمع والبصر بالمستحيلات، ولا بالممكنات المعدومات، لا لنقص في جانب السمع والبصر، وإنما ليس للمستحيلات والممكنات المعدومة تعيُّنٌ وجود حتى يتصور تعلق السمع والبصر بهما، فالقصور من جانبهما لا من جانب السمع والبصر، وإنما إدراكهما يسمى علماً لا سمعاً وبصراً؛ لاختصاص السمع والبصر بإدراك الموجود، وعدم اختصاص العلم بذلك.

(و)السابعة: (الكَلَامُ): وهو صفة واحدة لله تعالى قديمة، ليس لها جزء، ولا توصف بتطويل[1]، ولا اختصار، ولا بتفصيل، ولا إجمال، ولا يقال لها معنى، ولا هي معنى؛ لأن المعاني كلها أعراض زائلة، وكلامه تعالى قديم ليس عرضاً، ولا يقوم به العرض.

وأمَّا من عرَّفه بأنَّه: معنىً قديمٌ قائمٌ بذات الله تعالى، فقد أراد بالمعنى غير ما نفهمه من المعنى الحادث الذي يخلقه الله تعالى في نفوسنا عند سماع القرآن المنزَّل على محمدﷺ.

فإن المعنى الذي نفهمه من ذلك عرض حادث، والمعنى القديم القائم بذات الله تعالى ليس بعَرَض؛ لأن الأعراض لا تقوم بذات الله تعالى، بل ذلك معنى لا يدركه مخلوق من المخلوقات، وإنما أنزله الله تعالى؛ أي: ترجمه لنبيه محمَّدﷺ بترجمة تليق بالمخلوقات من جهة المعاني والألفاظ، فسميت تلك الترجمة بالقرآن، كما أن ذلك المعنى القديم مسمَّى بالقرآن من قبيل الاشتراك الوضعي، ثم إنزال القرآن ليس إنزاله من علوِّ مكان، بل من علوِّ تجريد [أي:من الحروف والأصوات][2].

---

(١) في (أ ـ د): بنظر.

(٢) هذه العبارة سقط من (أ ـ ب ـ ج)؛ أي: القرآن قبل إنزاله كان مجرداً عن الحروف والأصوات.

فأول المجرَّدات القلم الأعلىٰ، ثم اللوح المحفوظ، ثم جبريل، ثم محمدﷺ، فهذه وسائط ثلاثة بين محمدﷺ وربِّه في إنزال القرآن.

فالقلم[١] أقرب المخلوقات إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه أول موجود من الحوادث، فلا يفهم كلام الله تعالىٰ المترجم فيه غيره، ثم اللوح لا يفهم كلام الله تعالىٰ المترجم فيه غيره، ثم جبريل لا يفهم كلام الله تعالىٰ المترجم فيه غيره، ثم محمدﷺ لا يفهم كلام الله تعالىٰ المترجم فيه غيره ولهذا كان يسمع صوت الوحي كصلصلة الجرس[٢]، أوكسلسلة علىٰ صفوان

وهكذا إنزال الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل والزبور، فالكلُّ كلام الله تعالىٰ القديم الواحد، ولكن اختلفت الترجمة من الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام إلىٰ أممهم قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[إبراهيم: ٤]، فالقلم الأعلىٰ واللوح المحفوظ، وجبريلعليه السلام لكلام الله تعالىٰ في كل واحد منها مظهر خاص، وترجمة خاصة[٣] لا تشبه إحداهما الأخرىٰ، كالمعنىٰ الواحد الذي نتصوره بعقولنا، ثم ننطق فيه[٤] بألسنتنا، ثم نكتبه بيدنا.

فإن كيفيَّة النطق غير كيفيَّة التَّصور، وكيفيَّة التَّصور غير كيفيَّة الكتابة، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اختلفت ترجمتهم عن كلام الله تعالىٰ الواحد باختلاف ألسنتهم

---

(١) روىٰ أبو داود في «سننه» (٤٧٠٠) في السنة: باب في القدر، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالىٰ القلم، فقال له: اكتب قال: يارب، وما اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة» والترمذي (٢١٥٥) في القدر، و الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٧).

(٢) روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٦٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سأل النبي صلىٰ الله عليه و سلم رجل فقال كيف يأتيك الوحي يا نبي الله، قال: يأتيني أحياناً له صلصلةٌ كصلصلةِ الجرس، فينفصمُ عني وقد وعيت، وذلك أشدُهُ علي...»

(٣) في (أ ـ د): يظهر خاصة وخواص.

(٤) في (ج): به.

وأحوال أممهم[١]، فافهم هذا البيان الذي ما بعده بيان واحذر من التَّشبيه في جناب المولىٰ القديم المنزَّه عن الأكوان.

(الذي ليسَ بحرفٍ ولا صَوتٍ) وصف لكلام الله تعالىٰ القديم القائم بذاته تعالىٰ.

فإن الحرف[٢] كيفيَّة في الصوت، والصوت كيفيَّة في الهواء الخارج من الجوف، والكيفيَّة عرض زائل، وكلام الله تعالىٰ منزَّه عن الأعراض الزائلة[٣] أرأيت أن المعنىٰ المتصوَّر في نفوسنا من غير حرف ولا صوت وهو الكلام علىٰ الحقيقة.

قال الشاعر[٤]: [الكامل]:

---

(١) فألفاظ الكتب السماوية دالة علىٰ ما يدل عليه الكلام القديم، أي: مشاركة له في مدلوله، لكن لا في كله بل في بعضه، لأن الكلام القديم دال علىٰ ما لا يتناهىٰ من الواجبات والجائزات والمستحيلات، وتلك الألفاظ ترجمة عن بعض مدلوله، ولذا اختلف باختلاف الألسنة واللغات، فالألفاظ المنزلة بالعربية قرآن، وبالعبرانية توراة، وبالسريانية إنجيل وزبور، إذاً كما يسمىٰ الكلام القديم بكلام الله تسمىٰ الكتب السماوية بكلام الله، إما لأنها دالة علىٰ بعض مدلوله المترجم بها عنه فقيل لها كلام الله، كما يقال للكلام المترجم به عن كلام السلطان مثلاً هذا كلام السلطان، وكما يقال للكلام المحكي في القرآن عن الأنبياء وأممهم الأعجميين هذا كلامهم مع أنه ليس عين كلامهم، بل هو ترجمة عنه، وإما لأن الله تعالىٰ خلق تلك الألفاظ وأنزلها علىٰ رسله بواسطة جبريل، فهي كلام الله بمعنىٰ أنها مخلوقة لله وليست من تأليف الخلق. انظر: «طالع البشرىٰ علىٰ العقيدة الصغرىٰ» (ص ٨٨).

(٢) في (ج): الحروف.

(٣) حقيقة الكلام هو المعنىٰ القائم بالذَّات المعبر عنه بالعبارات المختلفات المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن التقديم والتأخير والكل والبعض، واللحن والإعراب، وسائر أنواع التغيرات، وكون كلام الله تعالىٰ ليس بحرف ولا بصوت هو المعتمد عند أهل السنة بل هو الحق الذي لا ريب فيه. انظر: «تهذيب السنوسية» (ص٥٣) للشيخ عيسىٰ الأنصاري و«حاشية الباجوري علىٰ أم البراهين» (ص٢٤).

(٤) هو غياثُ بنُ غوثٌ بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، التَّغلِبِيُّ النَّصرانيُّ، أبو مالك شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق علىٰ أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، نشأ علىٰ المسيحية، في أطراف الحيرة بالعراق، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجىٰ مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. انظر: «طبقات فحول الشعراء» (٢/ ٢٩٨) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٦٠).

إنَّ الكَـــلامَ لَفِـــي الفُـــؤادِ وإنَّـــمَا جُعِـــلَ اللِّـــسَانُ عَـــلىٰ الفُـــؤَادِ دَلِـــيلاَ

والحاصل: أن كلام الله تعالىٰ مقول[1] بالاشتراك الوضعي علىٰ معنيين:

الكلام القديم المنزَّه لفظه عن الحروف والأصوات، والكلام الحادث المنزَّل إلىٰ الحرف والصوت، ولفظ هذا دالٌّ علىٰ معناه، ومعناه دالٌّ علىٰ ذلك كدلالة اسم الله تعالىٰ ونحوه علىٰ ذات الله تعالىٰ[2].

(ويتعلَّقُ) يعني: كلام الله تعالىٰ القديم الواحد الذي ليس بحرف ولا صوت **(بما يَتَعلَّقُ به العِلْمُ)** أي علم الله تعالىٰ المتقدِّم ذكره **(من المتَعلِّقات)** وعلم الله تعالىٰ يَتَعلَّقُ بالواجبات والجائزات والمستحيلات، فكذلك كلامه تعالىٰ[3].

والفرق بين علم الله تعالىٰ وكلامه، مع أن كلاًّ منهما صفة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالىٰ، متَعلِّقة بجميع ما تتعلَّق به الأخرىٰ[4]، وذلك أن علمه يكشف عن المعلومات ويظهرها لحضرة

---

(١) في (ج): مؤول.

(٢) قال الإمام الغزالي في الإحياء: والكلام في الحقيقة كلام النفس، وإنما الأصوات قطعت حروفاً للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات، وكيف التبس هذا علىٰ طائفة من الأغبياء ولم يلتبس علىٰ جهلة الشعراء ثم ذكر شعر الأخطل ثم قال:ومن لم يعقله عقل ولا نهاه ناه عن أن يقول: لساني حادث، ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم..فاقطع عن عقله طمعك، وكف عن خطابه لسانك، ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء، وأن الباء قبل السين في قولك: باسم الله، فلا يكون السين متأخراً عن الباء قديماً.. فنزه عن الالتفات إليه قلبك، فلله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد.«إحياء علوم الدين» (١/ ١٠٩).

(٣) قال الشيخ العلامة محمد بن منصور الهدهدي: اعترض ذلك بأن أمر الله تعالىٰ لبعض، المكلفين كأبي جهل بما علم سبحانه أنه لا يقع منه، كالإيمان يستلزم أن أمره تعالىٰ متعلق بوقوع ذلك المأمور الذي تعلق العلم بعدمه، فقد تعلق علمه بما لم يتعلق به أمره الذي هو كلامه، فالعلم إذاً أعم تعلقاً من الكلام؟ وأجيب: بأن الكلام الأزلي له تعلقات كثيرة، وليس تعلقه منحصراً في التعلق الأمري، فهو وإن كان لم يتعلق في المثال بترك المأمور علىٰ وجه الأمر، فقد تعلق به علىٰ وجه النهي، وعلىٰ وجه الوعيد، وعلىٰ وجه الخبر بعدم الوقوع، وهذه كلها تعلقات للكلام الأزلي، فلم يثبت انفراد العلم الأزلي بمتعلق لا يكون متعلقاً للكلام الأزلي بسائر وجوه تعلقاته. انظر: «شرح الهدهدي علىٰ أم البراهين» (ص٧٥).

(٤) في (ج ـ و): الأجزاء.

الصِّفات، وكلامه يكشف عن المعلومات ويظهرها لحضـرة الصِّفات فالأوَّل: يثبت الأشياء في غيرها، والثاني: يثبتها في أعيانها، والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم[1].

---

(١) يتعلق الكلام بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلُّق دلالة وإخبار، لذلك الكتب السماوية دالة على بعض مدلولات الكلام النفسي، ولا يحيط بكل مدلوله إلا هو، فتقسيم الكلام النفسي إلى أمرٍ ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد، إنما هو لتلك المدلولات التي يدل عليها الكلام الحسي، وأما الصفة القديمة فيستحيل انقسامها، ولهذا يقول الشيخ الدردير: فتعلق العلم تعلق انكشاف ـ أي: ظهور واتضاح وعدم الخفاء ـ وتعلق الكلام تعلق دلالة. انظر: «شرح الخريدة البهية» (٨٣) بتصرف.

مطلب
[الصِّفات المعنويَّة]

(ثمَّ) يجب لله تعالىٰ أيضاً وجوباً عقلياً (سَبْعُ[١] صِفَاتٍ تُسَمَّى صِفَاتٍ معنَوِيَّةً) بياء النسبة إلىٰ صفات المعاني المتقدِّم ذكرها؛ لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بتلك.

فإن من لم يكن له قدرة ولا إرادة لا يقال فيه قادر ولا مريد، ولهذا رتَّبها علىٰ ترتيب تلك السَّبعة، وعطفها عليها بحرف ثم المقتضية للترتيب والتراخي؛ لأن ترتيب الفرع متراخٍ عن الأصل، ولوقوع الاختلاف في السَّبعة الأولىٰ بين الفلاسفة وأهل السُّنة.

فقدَّمها قصداً للردِّ علىٰ منكريها، بخلاف هذه السَّبعة فإنَّ الجميع اتفقوا عليها.

(وَهيَ) أي هذه السبع المعنوية (مُلاَزِمَةٌ[٢] للسَّبْع الأُوْلَى) المسمَّاة بالمعاني؛ بحيث لا

(١) نقل العلامة الهدهدي عن السكتاني: قال ثم يجب ولم يقل وسبع، وعطف بثم؛ لأن رتبة المعنوية دون رتبة المعاني، ولأن المعاني صفات موجودات تمكن رؤيتها لو أزيل الحجاب، بخلاف المعنوية فإنها ثابتة فقط ولا تمكن رؤيتها؛ لأنها لم ترتق إلىٰ رتبة الوجود المصحح للرؤية. **ثم قال الهدهدي**: وفيه شيء؛ لأن صفاته تعالىٰ لا تفاوت فيها فلا يقال: هذه الصفة أفضل ولا أشرف، وإنما يقال: هي أكثر تعلقات من تلك، لأنها كلها في غاية الشرف، وقول القرافي بأشرفية بعض الصفات الوجودية علىٰ بعض مردود.

فالأولىٰ أن يقال: عطف (بثم) لترتب المعنوية علىٰ المعاني في التعقل إذ لا تعقل عالمية مثلاً إلا بعد تعقل علم قائم بالذات، أو أن (ثم) لمجرد الترتيب الذكري أي: الإخباري، فكأنه قال: أخبرك بما تقدم ثم أخبرك بهذا. انظر: «شرح الهدهدي علىٰ أم البراهين» (ص٧٧ ـ ٧٨).

(٢) أي: كونه تعالىٰ قادراً لازم للقدرة، وكونه مريداً لازم للإرادة، القائمة بذاته تعالىٰ، وهكذا الخمسة الباقية، ووجه لزوم هذه الأكوان السبعة للمعاني أن كلاً من المعاني صفة وجودية وكل صفة وجودية إذا قامت بموصوف قديم أو حادث لزم أن يكتسب منها حالاً لا تثبت له عند عدم تلك الصفة منه، فمن قامت به القدرة لزم أن يكتسب حالاً وهي أن يكون قادراً علىٰ ما تعلقت به تلك القدرة، ويعبر عن هذه الحال بكونه قادراً وبالقادرية، ومن قام به العلم لزم أن يكتسب منه حالاً وهي أن يكون عالماً بما تعلق به هذا العلم ومطلعاً عليه، ويعبر عن هذه الحال بكونه عالماً وبالعالمية وقس الباقي. انظر: «طالع البشرىٰ» (ص٩٠).

توجد السَّبع الأولىٰ في ذاتٍ إلا وتوجد هذه السَّبع فيها أيضاً (**وَهِيَ**): أي: السَّبع المعنويَّة الأولىٰ: منها (**كونه**)؛ أي: كون الله (**تَعالَى قادِرًا**)؛ أي: له قدرة يظهر بها كل شيء أراده[1].

(وَ)الثانية: (**كونه تَعالَى مُرِيْدًا**)؛ أي: له إرادة يخصص بها كلَّ شيء عَلِمهُ.

(وَ)الثالثة: كونه تعالىٰ (**عالمًا**)؛ أي: له علم يكشف به عن المعلومات علىٰ ما هي عليه في قبولها للظهور والتخصيص.

(وَ)الرابعة: كونه تعالىٰ (**حيًّا**) أي: له حياة تصحِّحُ لذاته الاتصاف بصفات المعاني المذكورة.

(وَ)الخامسة: كونه تعالىٰ (**سميعاً**)؛ أي: له سمع يدرك به جميع الموجودات أيضاً الواجبة والممكنة، سواء كانت من قبيل[2] الأصوات أو المعاني أو الذات.

(وَ)السَّادسة: كونه تعالىٰ (**بصيراً**)؛ أي: له بصر يدرك به جميع الموجودات أيضاً الواجبة والممكنة سواء كانت من قبيل الصور[3] والهيئات، أو المعاني والمجردات، أو المطلقات عن التقييدات، كالذَّات العليَّة والصفات، ولكن تعلق البصر بالموجودات المذكورة من جهة غير جهة تعلق السَّمع بها، فهو تعالىٰ يسمع المرئي، ويرىٰ المسموع، ولكن بعد وجود كلٍّ منهما ويعلم الجميع بعد الوجود وقبله، فكلُّ شيء موجود مسموع له تعالىٰ، ومرئي له، ومعلوم له والجهة مختلفة، وكل شيء معدوم معلوم له فقط.

(وَ)السَّابعة: كونه تعالىٰ (**متكلِّماً**)؛ أي: له كلام متعلِّق بجميع الأشياء المكشوفة لذاته تعالىٰ يظهرها لحضرة صفاته، والحاصل أن هذه الصِّفات المعنويَّة السَّبعة كناية عن قيام صفات المعاني السَّبعة بالذَّات العليَّة، ولهذا فسَّرناها بذلك.

---

(١) في (ج): أرادته.

(٢) في (ج): قبل.

(٣) في (ب): الصوت.

مطلب
[بعض ما يستحيل على الله عزَّ وجلَّ]

(ومما)؛ أي: من بعض ما **(يَسْتَحِيلُ)**؛ أي: يمتنع عقلاً، وأشار بـ «من» التبعيضية إلىٰ أن المستحيلات في حقِّ الله تعالىٰ لا تتناهىٰ كالواجبات كما تقدم، وهي القسمان من أقسام الحكم العقليِّ: المستحيلات التي لا يتصور في العقل وجودها، والجائزات التي يصح في العقل وجودها وعدمها.

فإنَّ الله تعالىٰ واجب في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه، يستحيل عليه شيءٌ من المستحيل العقليِّ، كالشريك والولد والصاحبة وأن يتَّصف بشيءٍ من الجائز العقلي، كذات العالم وصفاته وأفعاله وأحكامه.

(في حقِّهِ تَعالَى)؛ أي: في شأنه **(عِشرُونَ صِفَةً)** وسمَّاها صفاتٍ[1]، وإن كانت ممتنعةً عليه لا يجوز أن يتَّصف بها، وإنَّما يتَّصف بامتناعها مجازاً علىٰ معنىٰ أنَّ العقل إذا توهمها في حقه تعالىٰ سلبها عنه.

(وَهي)؛ أي: تلك العشرون المستحيلة **(أَضْدَادُ العِشْرِينَ الأُولَى)** الواجبة، ولهذا اقتصر عليها، ولم يذكر أكثر من ذلك من المستحيلات.

والمراد بالضد اللغوي وهو: كلُّ نقيض، وإن لم يكن وجودياً، **(وهي)**؛ أي: العشرون المستحيلة:

الأولىٰ منها: **(العَدَمُ)** ضد الوجود، وهو الانتفاء والسَّلب، فيستحيل علىٰ الذَّات العلية

---

(١) أي: بناءً علىٰ ما قدَّمه من ثبوت الأحوال ـ الصفات المعنوية ـ أمَّا علىٰ القول بنفيها، فالواجب إما اثنا عشر بناءً علىٰ أن الوجود حال، أو ثلاثة عشر بناءً علىٰ أنه أمر اعتباري، فتكون المستحيلات أضدادها كذلك. انظر: «حاشية الشرقاوي علىٰ الهدهدي» (ص٧٩).

والصفات الأزلية لوجود الدليل على ذلك، وهو كلُّ جزء من أجزاء العالم الذي هو كالعلامة على موجده، ويلزم من وجود الدليل وجود المدلول دون العكس كما سيأتي.

(وَ)الثَّانية: (**الحُدُوثُ**) ضد القِدَم، وهو التَّجدُّد والاتصاف بالوجود بعد العدم، فيستحيل على ذات الله تعالى، وعلى كل صفة من صفاته، وكل فعل من أفعاله، وكل حكم من أحكامه، وإلا كان تعالى حادثاً بسبب حدوث شيء من ذلك له تعالى، والحادث لا يكون إلهاً.

(وَ)الثالثة: (**طُرُوّ**)؛ أي: لحوق (**العَدَمِ**) لذاته تعالى أو لصفة من صفاته، أو لفعل من أفعاله، أو لحكم من أحكامه، وذلك ضد البقاء، وهو الفناء والزوال، فيستحيل على الله تعالى، وإلاَّ كان الله تعالى حادثاً؛ لأن كل ما يقبل العدم يكون حادثاً.

(وَ)الرابعة: (**المُمَاثَلَةُ**)؛ أي: المشابهة، ولو بوجه من الوجوه في الذَّات، أو الصِّفات، أو الأفعال، أو الأحكام (**للحَوَادِثِ**)؛ أي: المخلوقات؛ أي: العُلْوية، كالأرواح والعقول، والسُّفليَّة كالنفوس والأجسام والأعراض، وذلك ضد صفة[1] المخالفة للحوادث، وهي ألاَّ يشابه تعالى روحاً أو عقلاً أو نفساً أو جسماً أو عرضاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه، ولو بوجه من الوجوه، أو اعتبار من الاعتبارات.

فيستحيل على الله تعالى شيء من ذلك، وإلا كان حادثاً مثل ذلك الشيء المماثل له؛ لأن مماثل الحادث حادث، ومن ثَمَّ قال بعض أهل الكمال: كل ما خطر في بالك، فالله بخلاف ذلك، وهذا معلوم بالضرورة؛ لأنَّ الذي يخطر في البال حادث في البال بعد أن لم يكن، والله تعالى لو ماثل شيئاً من الحوادث لكان حادثاً.

وقد بيَّن المماثلة بقوله: (**بِأَنْ يَكُونَ**) سبحانه وتعالى (**جِرْمَاً**)؛ أي: جسماً مركباً، أو بسيطاً، ولو جزءاً لا يتجزَّأ.

وقد فسَّر الجرم بقوله: (**أي: تَأخُذُ ذَاتُهُ العَلِيَّةُ**) بمعنى تملأ (**قَدْراً**)؛ أي: مقداراً يسعها (**مِنَ الفَرَاغِ**)، وهو الفضاء الذي تنفتح فيه صور الأجسام؛ فإنَّ ذلك مستحيل في حق الله تعالى.

---

(١) سقط من (ب ـ ج ـ د): صفة

(أو يَكُونَ) تعالىٰ (عَرَضاً[١]) بالتَّحريك من قبيل المعاني، أو الكيفيات أو الألوان أو الروائح أو الطعوم أو الطبائع، أو نحو ذلك ممَّا (يَقُومُ) أي: يثبت ويوجد (بِالجِرْم) أي: بسبب الجِرم.

(أو يَكُونَ) تعالىٰ موجوداً (فِي جهةٍ) منسوبةٍ (للجِرم) أيّ جهةٍ كانت لأيِّ جِرم كان[٢]، فيستحيل علىٰ الله تعالىٰ أن يكون فوق شيء من الأجرام أو تحته أو يمينه أو يساره أو قدامه أو خلفه أو في جميع جهات الجرم من الأجرام.

(أَوْ) أن يكون (لَهُ هُوَ) أي: لله تعالىٰ (جِهَةٌ) من إحدىٰ الجهات السِّت؛ لأنَّه يكون جرماً حينئذٍ.

(أو يَتَقيَّد) سبحانه وتعالىٰ (بِمَكَانٍ) من الأماكن العُلْويَّة كالعرش والكرسي والسموات، أو السُّفليَّة كالأرض.

فالمكان: ما استقرَّ عليه الشيء، والحيِّز: ما ملأه الشيء، وهما مستحيلان علىٰ الله تعالىٰ.

(أو زَمَانٍ)؛ أي: يتقيد بزمان، سواءٌ كان من الأزمنة الشَّريفة أو غيرها، وهو متجدِّدٌ يقدَّرُ به متجدِّدٌ آخر[٣]، ولا شك أن الزمان حادث، فلا يمر إلا علىٰ حادث مثله، والله تعالىٰ

---

(١) لقد قال المصنف جرماً ولم يقل جسماً أو جوهراً؛ لأنه أعم منهما، إذ هو عبارة عما أخذ قدر ذاته من الفراغ سواء كان مركباً أو لا، أما الجوهر فهو الذي لم يتركب، وبلغ من الحدِّ الذي لا يقبل القسمة عقلاً، والجسم عبارة عما تركب من جوهرين فأكثر، فلو قال جسماً لاقتضىٰ مماثلته للحوادث. انظر: «حاشية الدسوقي» (ص١٦٩). و«حاشية الباجوري» (ص٧٩).

(٢) قال الشيخ الهدهدي: إن قلنا بالمرجوح من أن الجهة خاصة بالنوع الإنساني دون غيره حيواناً كان ذلك الغير أو لا، فلا تضاف الجهة إليه إلا بواسطة الإنسان، فتقول: كل من له جهة الأجرام كالإنسان، فهو في جهة، وليس كل من هو في جهة منها له جهة، وعلىٰ هذا يكون قولهم: عن يمين المنبر مثلاً علىٰ حذف مضاف؛ أي: يمين الجالس عنده مثلاً، والتحقيق أنها ليست خاصة به، وعليه فكل من في جهة لشيء فله جهة، وليس كل من له جهة هو في جهة وذلك كالعالم بجملته، فإن له جهة وليس هو في جهة لشيء. انظر: «حاشية الشرقاوي علىٰ الهدهدي» (ص٨٦)

(٣) وأما التقيد بالزمان فهو من لوازم الجرم والعرض، والزمان عند المتكلمين اقتران متجدد موهوم بمتجدد =

قبل الزمان من غير زمان، فهو أيضاً بعد خلق الزمان بلا زمان، فلو كان بلا زمان ثم صار بزمان لزم تغيره، وكلُّ متغيِّرٍ حادث، والحدوث محال في حقِّ الله تعالىٰ.

(أو تتَّصِفَ ذَاتُهُ العَلِيَّةُ بالحَوَادِثِ) كالصُّوَر والهيئات والكيفيات والمقادير والطبائع والألوان، والروائح والطعوم، والمعاني.

فإنه يستحيل علىٰ الله تعالىٰ أن يتصف بشيء من هذه الأشياء، أو بجميع هذه الأشياء؛ لأنها حوادث، فلا يتَّصف بها إلاَّ حادث مثلها.

(أو تتَّصِفَ) ذاته العليَّة أيضاً **(بالصِّغَر)**؛ فإنَّه من صفات الأجسام، ويستحيل علىٰ الله تعالىٰ أن يكون جسماً **(أو الكِبَر)** كذلك، وأما اسمه الكبير، وقولنا: الله أكبر، فمعناه: كبير وأكبر من أن تتصوَّره العقول، أو تتخيَّله الأفهام.

(أو يتَّصِفَ سبحَانَهُ بالأغرَاض) جمع غَرَض، وهو جلب نفع له، أو دفع ضرر عنه حالاً أو مآلاً[1].

= معلوم، كقولك: سيجيء زيد عند طلوع الشمس، فمجيء زيد موهوم، وطلوع الشمس معلوم، واقترانها هو الزمان، فهو نسبة بين متناسبين، والمتناسبان حادثان، والنسبة التي بينهما التي هي الزمان حادثة كذلك بمعنىٰ متجددة بعد عدم. انظر: «حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين» (ص٢٠٢).

(١) الغرض هو الأمر الباعث أي: الحامل علىٰ فعل أو حكم، ويسمىٰ سبباً باعثاً وعلةً باعثةً، مثلاً إذا قصدت إخراج الماء فحفرتها حتىٰ خرج الماء، فالحفر فعلٌ، وخروج الماء غرض، أي: أمر باعث لك علىٰ الحفر والله عز وجل يستحيل عليه أن يتصف بغرض يبعثه علىٰ فعل من أفعاله كإيجاده لزيدٍ أو علىٰ حكم من أحكامه كإيجابه للصلاة وتحريمه للزنىٰ.
نعم أفعال الله وأحكامه لا تخلو عن حكمةٍ وإن لم تصل إليها عقولنا، لأنها لو خلت عن الحكمة لكانت عبثاً عليه، كالركوب والزينة فإنهما الحكمة في خلق الله الخيل والبغال والحمير كما ذكره عز وجل في قوله: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[النحل: ٨] وإنما لم تكن الحكمة باعثةً، لأن صاحبها يعلم قبل أن يصدر منه الفعل والحكم أنها تترتب قطعاً علىٰ فعله وحكمه، بخلاف صاحب الغرض، فإنه يريد ويقصد من فعله وحكمه حصول غرضه ولا يعلم هل يترتب غرضه عليهما أو لا يترتب، ألا ترىٰ إلىٰ حافر الأرض ليخرج الماء فإنه يريد ويقصد من حفره خروج الماء، ولا يعلم هل يخرج الماء أو لا يخرج، والله تعالىٰ قد سبق علمه في الأزل بأفعاله وأحكامه وبما يترتب عليهما، فلا تكون الأمور المترتبة علىٰ أفعاله وأحكامه حاملة له عليهما وإلا كانت أغراضاً والله منزه عنها. انظر: «طالع البشرىٰ» (ص٩٨).

(في الأفعَالِ) جمع فعل، وهو الإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة، والإعزاز والإذلال، والمنع، والعطاء، والتَّعذيب، والتَّنعيم، وما أشبه ذلك من أنواع الأفعال الإلهية (أو الأَحكَامِ) أيضاً جمع حكم، كافتراضٍ لبعضِ الأفعال الإنسانية، والتَّحريم لبعضها والإباحة لبعضها، والتَّصحيح لبعضها، والإفساد لبعضها إلى غير ذلك من الأحكام التي شرعها لنا سبحانه وتعالى على ألسنة الوسائط من أنبيائه عليهم الصَّلاة والسَّلام.

فإن جميع الأفعال والأحكام التي نفعلها[1] إنما تكون لأجل غرض كما ذكرنا، وذلك محال على الله عز وجل؛ لأنَّ الله تعالى غنيٌّ عن العالمين.

أو تكون عبثاً، والعبث محال في أفعال الله تعالى وأحكامه أيضاً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]، بل أفعاله تعالى وأحكامه جارية على مقتضى الحكمة، وهي إتقان الصنعة؛ لأنه تعالى صانع قديم حكيم، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهو بيان لحكمة الخلق، حتى لا يتركوا سُدَى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وليس ذلك من قبيل الغرض؛ لأن الله تعالى لا تنفعه الطَّاعة، ولا تضرُّه المعصية، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

(وكذا يَستَحيلُ)؛ أي: يمتنع عقلاً (عليه تَعالَى)، وهي الصفة الخامسة (ألاَّ يَكونَ قائماً) أي: ثابتاً وموجوداً (بنفسِهِ)؛ أي: بذاته، وهو ضد القيام بالنفس، فيستحيل عليه تعالى أن يكون له مقوِّم من غيره تقوم به ذاته تعالى، أو صفة من صفاته، أو فعل من أفعاله، أو حكم من أحكامه، أعمُّ من قوله: (بأن يَكونَ) سبحانه وتعالى (صِفَةً) لا ذاتاً، لأن الذَّات لا تقوم بذات أخرى، بحيث تحل فيها، أو تتحد بها، وإنما ذلك من شأن الصِّفات، وهذا ردٌّ على النَّصارى في زعمهم ذلك في عيسى عليه السلام، وردٌّ على الباطنية في زعمهم ذلك في كل شيء، ولهذا قال: (تَقُومُ) أي: تثبت وتوجد، نعت للصفة (بِمَحلٍ) أي: في ذات من ذوات المخلوقات، والمراد أنه ليس بعَرَض.

---

(١) في (ج): نعقلها.

(أو يحتَاجَ) بالنصب عطفاً على يكون **(إلى مُخُصِّصٍ)**؛ أي: فاعل يخصِّصه بمكانٍ دون مكان أو زمانٍ دون زمان، أو مقدارٍ دون مقدار أو صورةٍ دون صورة، ونحو ذلك من صفات الأجسام، وفيه ردٌّ على اليهود، والمجسمة القائلين: بأنَّ الله تعالى جسم مستقرٌّ على العرش، والمراد: أنه تعالى ليس بجسم، كما أنه ليس بعرض، والعالم جسم وعرض، والله تعالى لا يشبه شيئاً من العالم.

(وكذَا يَستَحيلُ عَليهِ تَعالَى) وهي الصِّفة السَّادسة: **(أَنْ لاَ يَكُونَ وَاحِدَاً)** في ذاته وواحداً في صفاته، وواحداً في أفعاله، وواحداً في أحكامه، وذلك ضدُّ الوحدانيَّة **(بأَن يَكُونَ)** سبحانه وتعالى **(مُرَكَّباً)** أي: له أجزاء تركَّب منها **(في ذَاتِهِ)** العليَّة كما تزعم النَّصارى في الأقانيم الثلاثة: أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم، ثم يقولون: الإله واحد.

والأقنوم عندهم الأصل، فقد جعلوا ذات الإله مركَّبة من هذه الأصول الثلاثة والتَّركيب ينافي الوحدة، فقد تناقض قولهم تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وكما تزعم اليهود في قولهم بأنَّ الله تعالى جسمٌ مستلقٍ على العرش، وقد تعب من خلق السَّموات والأرض، فاستراح في يوم السبت، وقد كان بدأ في الخلق يوم الأحد، ثم يقولون: إنه[1] واحد، ومعلوم بالضرورة أن كلَّ جسم مركب، وأن التَّركيب ينافي الوحدة، فقد تناقض قولهم أيضاً. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

(أو يَكُونَ لَهُ) تعالى **(مُمَاثِلٌ)** أي: مشابهٌ **(في ذَاتِهِ)** العليَّة، ولو بوجهٍ من الوجوه **(أو)** يكون له مماثلٌ في صفة من **(صفاته)** السَّنيَّة **(أو يَكُونَ مَعهُ)** تعالى **(في)** هذا **(الوُجُودِ)** الحادث الخارج من العدم شيئاً فشيئاً بسطوةِ قدرة الوجود القديم على ترتيبٍ بديع اخترعته الإرادة الأزليَّة **(مُؤَثِّرٌ)**؛ أي: موجودٌ أو معدومٌ **(في فِعلٍ منَ الأَفعالِ)** المَلَكيَّة أو الجِنيَّة أو الإنسانيَّة الباطنيَّة كحركات النفس، أو الظَّاهرية كحركات البدن، أو الحيوانيَّة كذلك، أو النباتيَّة أو الجماديَّة، والقابليَّة؛ أي: الاستعداد[2] كقبول العقل له؛ أي: للعلوم، والأجسام للحركات، والأعراض للتجدد.

---

(١) في (أ ـ ب): إله.

(٢) في (ب): أو قابلية أو استعداداً.

مطلب
[في أضداد صفات المعاني]

(وكذا يَستَحيلُ عَليهِ تَعالَى) وهي الصِّفة السَّابعة: **(العَجزُ)** وهو ضد القدرة **(عَنْ)** إيجادِ أو إعدامِ **(ممكنٍ مَا)** أي: ممكن هو شيء من الأشياء، سواء كان عظيماً، أو حقيراً، كبيراً أو صغيراً، إذ لا تفاوت في المعدومات مطلقاً، كما قدمنَّا.

وأما إطلاق العجز عن الواجبات والمستحيلات عليه تعالىٰ، باعتبار عدم تعلق قدرته تعالىٰ بهما، فهو خطأ من حيث الموضوع اللغوي؛ لأنَّ القدرة في اللغة اسم لصفة يترجَّح بها أحد طرفي الممكن فقط، لأنَّه الذي يقبل التَّرجيح دون الواجب والمستحيل؛ لأنهما لا يقبلان التَّرجيح كما أنَّ السَّيف إذا لم يقطع لأيِّ شيءٍ، أو أشياء لا تقبل القطع كالمعاني، لا يقال في حق ذلك السَّيف من حيث الموضوع اللغوي إنه ليس بقاطع، وتنقص قيمته بسبب ذلك فكذا هذا كما ذكرنا فيما تقدم.

أرأيت أنه لو قيل: بأن الله تعالىٰ لا يريد بقدرته، ولا يقدر بإرادته، ولا يسمع بعلمه، ولا يعلم بسمعه، ونحو ذلك لا يجوز إطلاق العجز علىٰ الصِّفة التي لم تتجاوز تعلقها؛ أي: تعلّق الصِّفة الأخرىٰ، ومثل هذا في الصِّفات الإنسانية، فإنَّ الذي لم يسمع بعينه لا يقال في حقه: أصم، والذي لم يبصر بإذنه لا يقال في حقه: أعمىٰ، ونحو ذلك، فكيف يقال في حق الله تعالىٰ إذا لم تتعلَّق قدرته بإعدام الواجب، وإيجاد المستحيل بأنه عاجز، فإنَّ هذه مغلطة عظيمة نشأت من جاهل بموضوع لفظ القدرة في اللسان العربي، [فلا يجوز أن يقال: بأنَّ الله تعالىٰ قادرٌ علىٰ إعدام الواجب وإيجاد المستحيل][1].

ولا يجوز أن يقال: بأنَّه عاجز عن ذلك، كما لا يقال: بأنَّ الإنسان يقدر أن يسمع

---

(١) ما بين معكوفين سقط من (د).

بلسانه، ولا يقال: بأنه لا يقدر على أن يسمع بلسانه ونحو ذلك؛ لأنَّ كلَّ صفة مختصَّة بما سمّيت به من التَّأثير الخاص بها.

(و)**الصِّفة الثامنة**: (**إيجَادُ**) وكذلك إعدام (**شَيءٍ**) عظيمٍ، أو حقيرٍ (**مِنَ العَالَمِ**) يعني المخلوقات العلويَّة والسفليَّة، وسميت بالعالم؛ لأنَّها علامة على موجدها وخالقها، ولا يُعلَم هو عندنا إلاَّ بها (**مَعَ**) مصاحبة (**كرَاهتِهِ**) تعالى (**لِوُجُودِهِ**) أي: وجود ذلك الشيء من العالم وكذلك لعدمه، وهو ضدّ الإرادة[1].

ولما كانت الكراهة تطلق على عدم محبَّة الشيء، فيقال: كره فلان الشيء إذا أبغضه ومنها الكراهة الشَّرعيَّة[2] لفعلٍ ورد بغض الله تعالى له من غير قطع مُخيفٍ العقابَ عليه احترز عن ذلك بقوله في تفسير الكراهة: (**أي: عَدَمِ إرَادَتِهِ لَهُ تَعالَى**) أي: لذلك الشيء.

فالكراهة حينئذ هنا، بمعنى الإكراه، يعني الإلجاء إلى فعل الشيء بحيث تنتفي عنه الإرادة والاختيار، وهو محال على الله تعالى، وإلاَّ لزم أن يدخل سبحانه وتعالى تحت قدرة غيره؛ بحيث يكرهه الغير على الفعل أو الترك، فيكون حادثاً، والحادث لا يكون إلهاً؛ أو إيجاد شيء من العالم (**أو**) إعدامه (**مَعَ الذُّهولِ**) أي: الغفلة الجزئية عن ذلك الشيء (**أو مَعَ الغَفلَةِ**) مطلقاً، سواءٌ كانت جزئيَّة أو كليَّة[3]؛ فإنَّ الذَّاهل والغافل داخل تحت قدرة غيره، كما

(١) هذا ضد الإرادة المتعلقة بجميع الممكنات وهي الكراهية، ومعنى ما ذكره الشيخ أن يوجد الله شيئاً من العالم، كالكفر أو المعاصي أو غير ذلك، وهو لا يريدها، بل ما أوجدها إلا وهو يريدها، إذ تعالى الله أن يقع في ملكه ما لا يريد، وفسر الشيخ الكراهية بعدم الإرادة، إذاً فقول الشارح ضد الإرادة أراد به الضد اللغوي. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص٩١).

(٢) يعني أن الكراهة لما كانت لفظاً مشتركاً تطلق في أصول الفقه على طلب ترك الشيء طلباً غير جازم، وفي اصطلاح المتكلمين على عدم الإرادة وهو المراد هنا فسره المصنف بما ذكر لئلا يتوهم إرادة معناها الآخر، وأنه ينافي الإرادة، وللتنبيه على خطأ المعتزلة في قولهم: إن الإرادة على وفق الأمر وتابعة له، فالمكروه شرعاً ليس بمراد. انظر: «حاشية الهدهدي» (ص٩٢).

(٣) الذهول هو: غيبوبة الشيء بعد العلم به، والغفلة هي: عدم العلم بالشيء مطلقاً، وقيل: الذهول أعم من الغفلة، لأن الغفلة زوال الشيء من المدركة مع بقائه في الحافظة، والذهول زواله من المدركة مطلقاً، وعلى هذا فالسهو مرادف للغفلة، وأما النسيان فهو أخص من الذهول، لأنه زوال الشيء من الحافظة والمدركة معاً. انظر: «تهذيب السنوسية» (ص٧٤) و«حاشية الباجوري» (ص٢٩).

ذكرنا فتنتفي الإرادة[١] مع ذلك، قال تعالىٰ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالسِّنَةُ بمعنىٰ الغفلة تأخذ الأرواح، والنوم يأخذ الأجسام، يعني ليس بروح ولا جسم، (أَو) إيجاد شيء من العالم، أو إعدامه مع (التَّعلِيلِ) بحيث يكون سبحانه وتعالىٰ علةً لوجود شيءٍ من الأشياء[٢] كما يزعم ذلك حكماء الفلاسفة القائلون بنفي الصِّفات الإلهية.

وإثبات الآثار الصَّادرة عن ذات الباري تعالىٰ علىٰ جهة أنه تعالىٰ علة لإيجادها وإعدامها من غير إرادة ولا اختيار، ويسمُّونه تعالىٰ علَّة العلل وهم كفار؛ لإنكارهم صفات الباري تعالىٰ وجعلهم الله تعالىٰ داخلاً تحت إرادة غيره، لأن الإرادة لا بدَّ منها في هذا الوجود، وإلا لزم أن يؤثِّر هذا الوجود بعضه في بعض، ويستغني عن الصَّانع، وهو محال كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

أو إيجاد شيء من العالم (أو) إعدامه مع (الطَّبعِ) بحيث تنتفي الإرادة والاختيار عنه تعالىٰ، كما يزعم ذلك الطبائعيون في اعتقادهم أنَّ الله تعالىٰ يؤثِّر في العالَم بطبعه[٣] المقتضي

---

(١) ووجه منافاة كل من الذهول والغفلة أنهما منافيان للعلم، وكل ما كان منافياً للعلم كان منافياً للإرادة، فهما منافيان للإرادة بواسطة منافاتها للعلم. انظر: «حاشية الباجوري» (ص٣٠)

(٢) وهو أن ينشأ عن الشيء شيءٌ آخر من غير أن يكون له إرادةٌ واختيار فيه، بلا توقفٍ علىٰ وجود شرط وانتفاء مانعٍ، وذلك كحركة الأصبع مع حركة الخاتم، فإنهم يقولون: إن الأُولَىٰ نشَأت عنها الثانية من غير اختيارٍ ولا توقفٍ علىٰ شيءٍ، وإن الأُولىٰ علةٌ للثانية بمعنىٰ أنها مؤثرة فيها وموجِدَةٌ لها بالتعليل، والثانية معلولةٌ لها، ويقولون ـ قبحهم الله ـ إن الله تبارك وتعالىٰ أثّر في العالم كتأثير حركة الإصبع في حركة الخاتم. انظر: «طالع البشرىٰ» (ص١٠٣).

(٣) وهو أن ينشأ عن الشيء شيءٌ آخر بطبيعته؛ أي: حقيقته وذاته من غير أن يكون له إرادة واختيار فيه، مع التوقف علىٰ وجود الشرط وانتفاء المانع، وذلك كالنار فإنها تؤثر عندهم في الحرق بطبيعتها، أي: توجدُهُ بنفسها من غير اختيارٍ، لكن عند وجود الشرط وهو مماستها للشيء كالحطب، وعند انتفاء المانع وهو البلل.

* فالتعليل والطبع عند القائلين بهما يشتركان في عدم الاختيار، ويفترقان في أن الأول لا يتوقف علىٰ وجود الشرط وانتفاء المانع، والثاني يتوقف عليهما، **والمؤمنون يقولون**: يستحيل علىٰ الله تعالىٰ الإيجاد بالتعليل أو الطبع، لأن الإيجاد بأحدهما لا إرادة ولا اختيار معه، والله تعالىٰ فاعلٌ بالإرادة والاختيار.

تنبيه: وقع في كلام أهل السنة التعبير بالتعليل، لكن ليس مرادهم به التعليل الذي قالت به الفلاسفة، وإنما مرادهم به التلازم بين أمرين عقلاً أو شرعاً أو عادةً، فلا تغتر بظواهر العبارات. أنظر: «طالع البشرىٰ» (ص١٠٣ـ١٠٤).

للإيجاد والإعدام وهو على الله تعالى محال؛ للزومه أن يدخل تعالى تحت قدرة غيره وإرادة غيره، كما ذكرنا.

والحاصل أن الإله الذي خلق العقول والأرواح والنفوس والطبائع والعناصر والأجزاء التي لا تتجزأ، والأجسام على هذا التَّرتيب، قد اختلف المكلَّفون في معرفته وجميعُهم تاهوا وتحيَّروا ووقعوا في الزَّيغ والضلال، إلاَّ فرقة واحدة، فإن الله تعالى هداهم بنور العناية إلى معرفته، وهم أصحاب السُّنَّة النبويَّة.

فأما الزَّائغون الضَّالون[1]، فمنهم من زعم أن الإله هو الأصل الأول، وهو منبع الموجودات كلها على اختلاف أجناسها وأنواعها، وهو العقل الكل، وسمَّوه علَّة العلل، وهو مخلوق من مخلوقات الله تعالى أوصلهم سيرهم إليه، فوقفوا عنده واعتقدوا أنَّه الله تعالى وهم الفلاسفة[2].

حتى قال قائلهم ـ وهو الرئيس أبو علي ابن سينا[3] ـ:

محرِّك الكُلِّ أنت القصدُ والغَرَضُ وأنتَ عن كلِ ما قد فاتنَا عِوضُ

من كان في قلبه مقدارُ خردَلَةٍ سوى جلالك فاعلم أنَّه مَرَضُ

---

(١) في (ج): الظالمون.

(٢) الفلاسفة: جماعة اشتق اسمها من كلمة فيلا سوفة، بمعنى حب الحكمة، كانوا يبحثون في علل الأشياء وأسبابها فخاضوا في علم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والإلهيات والغيبيات وعلم المنطق لكنهم تركوا كثيراً من القواعد العقلية فأخطأوا في كثير من تفاسيرهم لظواهر الكون، وأشنع أخطائهم تكلمهم عن الله سبحانه وتعالى بمجرد الوهم والخيال وخوضهم في الغيبيات التي لا تعلم إلا بالوحي فضلوا وأضلوا، وغالبيتهم من الروم واليونان، ومن مشاهيرهم: سقراط وأفلاطون وأرسطو وديموقريطيس، وأرسطو طاليس، أما فلاسفة المسلمين، فقد سلك أغلبهم طريقة أرسطو طاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به إلا بعض الأمور التي جاء بها أفلاطون والمتقدمين، وقد كان عين فلاسفة المسلمين أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، والفارابي. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص ٥٠ـ٥٨).

(٣) ابن سينا: أحد أشهر فلاسفة المسلمين، وهو عالم وطبيب، عرف بالشيخ الرئيس، تعمق في دراسة الفلسفة وتأثر بالأفلاطونية الجديدة له ميول صوفية، أشهر كتبه «القانون في الطب والشفاء»، و«القصيدة العينية في النفس» وهو من جملة الفلاسفة الذين سلكوا طريقة أرسطو طاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به.

وما أقلَّ أدبه في مخاطبته لمعبوده بقوله: فاعلم، ولا زالت الفلاسفة يعبدون هذا المخلوق الأول النسبيِّ الذي أشار إليه النبيﷺ بقوله:«أول ما خلق الله تعالىٰ العقل» الحديث.

وتبعهم في ذلك النَّصارىٰ والباطنيَّة، وهذا غاية ما يرتقي إليه العقل الإنسانيِّ، وليس فوقه مرقىٰ لأهل العقول.

وأما أهل العناية فقد ترقَّوا[1] عن ذلك؛ أخذاً من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ٢٠]؛ أي:من وراء جميع المخلوقات المُلْكيَّة والملكوتيَّة، وآمنوا بالربِّ المنزَّه عن مشابهة الأكوان، وعن ذلك التنزيه أيضاً، فهم الفائزون بالنجاة، والواقفون علىٰ مراكز الحقيقة.

ومن الزَّائغين من توهم أن الإله هو الطبائع الأربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة واليبوسة، وهذه الطائفة نزلت عن الطائفة الأولىٰ، وهم الطبائعيون.

ومنهم من نزل إلىٰ العناصر وهم عبَّاد النار، ومن الزائغين من توهم أن الإله هو الكواكب السَّبعة: الشمس، والقمر، والمريخ، وعطارد، والمشتري، والزهرة، وزحل.

ومنهم من نزل إلىٰ الأجسام كاليهود والمجسمة، وعبَّاد الأصنام فعبدوا الإله المجسَّم وهم أخسُّ الفرق كلهم، والجميع لم يخرجوا عن عبادة أمثالهم من المخلوقين إلا أهل العناية؛ فإنهم يعبدون الله تعالىٰ حقاً.

(وكذا يَستَحيلُ عليه تَعالى) وهي الصفة التاسعة: **(الجَهلُ)** وهو ضدُّ العلم (و)كذلك جميع **(ما في مَعنَاه)** أي: معنىٰ الجهل من الشَّك وهو: استواء الطرفين، والوهم: وهو رجحان جانب الخطأ، والظن وهو: رجحان جانب الصواب **(بمعلومٍ ما)**؛ أي: بأي معلومٍ كان من المعلومات الواجبة والمستحيلة والجائزة.

(و) الصفة العاشرة: **(المَوتُ)**، وهو ضدُّ الحياة، فيستحيل علىٰ الله تعالىٰ، وإلاَّ لما اتصف بالقدرة والإرادة، ونحوهما من الصفات.

---

(١) في (ب): تراقوا.

(و) الحادية عشر: (**الصَّمَمُ**): وهو ضدُّ السَّمع، فيستحيل عليه تعالىٰ أن يشتغل بمسموعٍ عن مسموعٍ؛ لأنه يصير أصم عما اشتغل عنه[1].

(و) الثانية عشر: (**العَمَى**) وهو ضدُّ البصر، ولا تشغله تعالىٰ رؤية شيءٍ عن شيءٍ آخر، وإلاَّ كان أعمىٰ عن الشيء الآخر، وهو محال.

(و) الثالثة عشر: (**البَكَمُ**) وهو ضدُّ الكلام، ومن البكم وقوع التَّرتيب في كلامه تعالىٰ والتَّقديم والتَّأخير؛ لأنَّه عند المقدَّم يكون أبكم عن الآخر[2]، وكذلك السكوت؛ فإنه بَكَمٌ.

(**وأضدادُ الصِّفاتِ المعنَويَّة**) السَّبعة التي هي: قادر، ومريد، وعالِم، وحيّ، وسميع وبصير، ومتكلم، المتقدم بيانها (**واضِحَةٌ مِنْ هذه**) أي: من أضداد صفات المعاني السَّبعة المذكورة هنا.

---

(١) في (ب): أصماً بما يشتغل عنه.

(٢) في (ب ـ ج ـ د): المؤخر.

مطلب

[أضداد العشرين الواجبة]

وبيان ذلك: أن تقول على منوال ما ذكرناه من تعداد الصِّفات المستحيلة العشرين أضداد العشرين الواجبة.

والصفة الرابعة عشر: كونه عاجزاً عن ممكن ما من الممكنات، وضدُّه كونه قادراً.

والخامسة عشر: كونه يوجد شيئاً من العالم مع كراهته لوجوده كما سبق، وضدُّه كونه مريداً.

والسادسة عشر: كونه جاهلاً بمعلوم ما، وما في معنى الجهل، وضدُّه كونه عالماً.

والسابعة عشر: كونه ميتاً، وضدُّه كونه حيّاً.

والثامنة عشر: كونه أصم، وضدُّه كونه سميعاً.

والتاسعة عشر: كونه أعمى، وضدُّه كونه بصيراً.

والعشرون: كونه أبكم، وضدُّه كونه متكلماً، وهذا تمام العشرين صفة المستحيلة.

مطلب
[بيان الجائز في حق الله تعالى]

(وأمّا) بيان (الجَائِز)؛ أي: الممكن عقلاً، ولم يقل: مما يجوز، كما قال في الواجب والمستحيل[١]؛ لأنَّ الله تعالى لا يجوز في حقّه إلاَّ ما ذكر فقط.

وأما الذي يجب له تعالى، والذي يستحيل عليه تعالى، فصفات لا تنحصر، والمذكور فيما تقدَّم بعض منها.

(في حَقِهِ)؛ أي: في شأنه (تَعالَى) وتقدَّس، (فَفِعلُ كُلِّ) شيء (مُمكِنٍ) من الممكنات العلويَّة أوالسفليَّة، (أو تَركُهُ)؛ أي: ترك فعل ذلك الممكن[٢]، ولا يجب على الله تعالى فعل شيءٍ من الممكنات عقلاً، كما لا يستحيل عليه تعالى شيءٌ منها عقلاً.

فالثواب والعقاب ممكنان عقلاً، واجبان شرعاً؛ لئلا تكذَّب الأخبار الإلهية، وكذلك هذا العالم الموجود الآن ممكن في نفسه واجب من جهة تعلق القدرة والإرادة[٣] بإيجاده فلا يُتصوَّر في العقل عدمه، وإلاَّ لزِمَ العجز في قدرة الله تعالى، وكذلك العالم المعدوم الذي سيوجد، ممكن في نفسه مستحيل من جهة عدم تعلق القدرة الأزلية به، وإلاَّ لزم أن يكون مع الله تعالى إله آخر يخلق شيئاً، وهو محال.

---

(١) في (ج): الواجبات والجائزات، وفي (د): الواجبات والمستحيل.

(٢) **الممكن** عند علماء هذا الفن: كل ما حكم العقل باستواء وجوده وعدمه، ويسمى جائزاً، ومعنى **فعل الممكن**: إيجاد الله له، ومعنى تركه: إبقاؤه في العدم، وكل ممكن يجوز عقلاً في حق الله تعالى فعله أو تركه، ولا يجب عليه عقلاً فعل شيء منه، ولا يستحيل عليه عقلاً ترك شيء منه، بل يفعل منه ما شاء ويترك ما شاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ويسمى كل فعلٍ من أفعاله تعالى شأناً له، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي: كل وقت هو - أي الربُّ تعالى - في شأن أي: أمرٍ يظهره على وفق ما قدره وأراده في الأزل من إيجاد أو إعدام وإعزازٍ وإذلالٍ وإغناءٍ...الخ. انظر: «طالع البشرى» (ص١٠٧).

(٣) في (ج-د): تلقي القدرة الإلهية.

فالإمكان حينئذٍ وصف للممكن دائماً، باعتبار نفسه. وأما باعتبار متعلق القدرة به وعدم تعلقها، فهو دائرٌ بين الوجوب والاستحالة لا ينفك عن واحدٍ منهما، فهو الواجب بالغير تارةً، وهو المستحيل بالغير تارةً أخرىٰ.

مطلب
[الشروع في البراهين على العقائد

برهان القسم الأول: الصِّفات النفسيَّة]:

ولما فرغ من بيان الصِّفات الواجبة لله تعالىٰ، والصِّفات المستحيلة عليه تعالىٰ، والصفات الجائزة في حقه تعالىٰ شرع في بيان البراهين والأدلَّة العقليَّة علىٰ ذلك بحسب الترتيب المذكور فقال: (**وأمّا بُرهَانُ**) أي: دليل (**وجُودِهِ**) أي: وجود الله (**تَعالَى**) وجوداً مطلقاً عن جميع القيود، لا كالوجود المقيَّد الذي للحوادث، كما ذكرنا فيما سبق.

(**فَحُدُوثُ**) أي: انتقال (**العَالَمِ**) جميعه علىٰ اختلاف أجناسه وأنواعه من عدم إلىٰ وجود، ومعلوم أن الانتقال لا بدَّ له من ناقل، وإلاَّ لزِمَ أن يوجد فعل من غير فاعل، وهو محال ألبتة، ولهذا قال: (**لأنَّهُ**) أي: العالم (**لَو لَمْ يَكنْ**) أي: يوجد (**لَهُ**) أي: للعالم (**مُحدِثٌ**)؛ أي: ناقلٌ من العدم إلىٰ الوجود، ويكون ذلك المحدِث غيره، (**بَل حَدَثَ**)؛ أي: انتقل (**بِنَفسِهِ**) علىٰ معنىٰ أنه هو الذي نقل نفسه من العدم إلىٰ الوجود (**لَزِمَ**) من ذلك (**أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الأَمرَينِ المتَسَاوِيَين**) وهما كلُّ أمرين متساويين من مقدار أو مخصص، كالكبر والصغر والوجود والعدم والحركة والسكون، وما أشبه ذلك من كل شيئين أو أشياء يقبل الممكن أن يكون متصفاً بواحدٍ منها لا علىٰ التَّعيين (**مُسَاوِياً لِصَاحِبِهِ**) أي: للأمر الآخر بالنسبة إلىٰ ذلك الممكن، كالوجود والعدم مثلاً، فإنهما أمران متساويان لا رجحان لأحدهما علىٰ الآخر بالنسبة إلىٰ كلِّ ممكن، وكذلك الكبر والصِّغر والصَّلابة واللين والإنسانيَّة والحيوانيَّة والنباتيَّة والجماديَّة والمَلَكيَّة والجِنيَّة ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعها كلها في ذات واحدة، بل لا توجد الذَّات إلا علىٰ واحدةٍ منها، فلو أمكن أنَّ الشيء يوجد بنفسه، لكان أحد هذين الشيئين، أو هذه الأشياء مساوياً للآخر، ومع ذلك (**رَاجِحَاً عَلَيهِ**) أي: علىٰ الآخر (**بِلاَ سَبَبٍ**) قاصرٍ

يرجِّح أحد الطرفين على الآخر، (وَهوَ) أي: كون أحد الأمرين، أو الأمور مساوياً للآخر راجحاً عليه بلا سبب (مُحَالٌ) أي: ممتنع لا يتصور في العقل وجوده.

فثبت من هذا: أن العالم لا بدَّ له من محدثٍ يكون غير العالم لا نفس العالم، ثم حيث نسب الحدوث إلى العالم وترتَّب على حدوثه، وجود محدثٍ له يكون غيره، استشعر بمن ينكر حدوث العالم كالفلاسفة والدَّهريَّة.

ولما كان قولهم هذا من أوهن[1] الأقوال برهن على حدوث العالم بعد ذكر ما هو بصدده من إثبات وجود الصَّانع حيث قال: (وَدَليلُ حُدُوثِ العَالَمِ) جميع أجسامه وأعراضه، كلياته وجزئياته (مُلاَزَمَتُهُ) أي: العالم، والمراد هنا عالم الأجسام فقط (للأعراض) جمع عرض، وهو ما لا يقوم بنفسه من العالم، ولا يبقى إلاَّ في زمان وجوده[2].

(الحَادثة) نعت للأعراض (مِنْ حَرَكَةٍ) بيان للأعراض، وهي كونان في زمانين في مكانين (وَسُكُونٍ) وهو كونان في زمانيين في مكان واحدٍ[3].

(وغيرِهمَا) كالألوان والرَّوائح والطُّعوم والأزمنة والصُّوَر، والكيفيات والكميات (ولاَزمُ الحَادثِ) أي: الشيء الملازم للحوادث (حَادِثٌ) وإلاَّ لزِمَ انفكاك الملازمة المذكورة، وهذا بيان حدوث أحد جزأي العالم، وهو الأجسام.

---

(١) في (أ): أوهى.

(٢) قال العلامة الشريف الجرجاني في شرحه على كتاب «المواقف»: العرَضُ عندنا: موجودٌ قائمٌ بمتحيز، وهذا هو المختار في تعريفه، لأنه خرج منه الأعدام والسلوب إذ ليست موجودةً، وخرجت الجواهر إذ هي غير قائمةٍ بمتحيزٍ، وخرج أيضاً ذات الله ﷻ وصفاته لأن ذاته ليست متحيزةً، فصفاته ليست أعراضاً قائمةً بمتحيزٍ. انظر: «شرح المواقف» (١/ ٤٨٠).

(٣) قال الشيخ الباجوري: وإنما خص الحركة والسكون بالتصريح بهما، لأن ملازمة الأجرام لهما ضرورية لكل عاقل، لكن في جعلهما من الأعراض جمع عرض وهو خاص بالأمر الوجودي كالسواد والبياض، ولا كذلك هما، لأن الحركة هي انتقال الجرم من حيز إلى حيز آخر، والسكون ضده، وقيل: الحركة هو الحصول الأول في غير الحيز الأول، والسكون ما عدا ذلك وكل من الانتقال وضده، وقيل: الحركة هو الحصول الأول في غير الحيز الأول، وما عداه اعتباري. انظر: «حاشية الباجوري» (ص٣٤).

وأما بيان حدوث الجزء الآخر وهو الأعراض، فقد أشار إليه بقوله: **(ودَليلُ حُدُوثِ الأَعرَاض مشَاهدَةُ)** أي: إدراك **(تَغيُّرهَا)** أي: انتقالها في الحال بسرعة **(مِنْ وجودٍ إلى عدَمٍ،ومِنْ عدَمٍ إلى وجودٍ)**؛ بحيث تتكرَّر بالأمثال، فيظن الغبيُّ، أي: قليل الفهم أنها مستقرة ثابتة، وهي متغيرة متجدِّدة، وهذا الإدراك إما بالعقل كجميع المعاني البديهيَّة والنظريَّة والأزمنة والقوىٰ المعبَّر عنها بالحواس المسمَّاة في كل موضع من البدن باسم خاص بسبب إدراك خاص، أو بالحسِّ كالألوان والصور والمقادير تدرك بالبصر، والأصوات تدرك بالسمع، والرَّوائح تدرك بالشَّم، والطعوم تدرك بالذَّوق، والكيفيات كالصلابة والرخاوة والحرارة والبرودة ونحوها تدرك باللمس.

مطلب

[في برهان وجوب القدم]

(وأمّا بُرهَانُ) أي: دليل **(وجُوبِ القِدَم)** وجوباً عقلياً **(لَهُ)** أي: لله **(تعالى، فلأنَّه)** أي: الله تعالى؛ **(لو لم يَكُنْ قَديماً لَكَانَ حَادِثَاً)** إذ[١] لا واسطة بين القدم والحدوث؛ لأن الوجود إما أن لا يكون لوجوده افتتاح وهو القديم، أو يكون لوجوده افتتاح وهو الحادث، ولا يتصور قسم ثالث، [والله تعالى لو لم يكن ليس لوجوده افتتاح لكان لوجوده افتتاح ضرورة عدم تصور قسم ثالث، ولو كان لوجوده افتتاح لكان حادثاً][٢]، وليس بقديم.

(فيفتَقِرُ[٣]) أي: يحتاج وجوده حينئذ **(إلى مُحدِثٍ)** أي: صانع يحدثه؛ أي: ينقله من العدم إلى الوجود، ولا يمكن أن يكون ذلك الصَّانع نفسه؛ لئلاً يلزم ما سبق من التَّساوي والرجحان معاً في الأمرين المتساويين وهما الوجود والعدم مثلاً، من غير مرجِّحٍ وهو محال، ولئلاً يلزم كون الموجود موجوداً قبل وجوده.

(فَيلزَمُ) اتصافه بالوجود والعدم معاً في آن واحد وهو محال، فتعيَّن أن يكون له تعالى وتقدَّس على فرض كونه تعالى حادثاً محدثٌ، وذلك المحدث غير نفسه، ويلزم من فرض هذا المحال **(الدَّورُ)** وهو توقف الشيء على نفسه بمرتبةٍ إن كان بين اثنين، أو بمراتب إن كان بين أكثر[٤].

---

(١) في (ج): أي.

(٢) ما بين معكوفين سقط من (د).

(٣) في (د): فيتغير.

(٤) قال العلامة الشرقاوي: والأسهل في ترتيب اللوازم أن تقول: لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدثٍ، ولو افتقر إلى محدثٍ لافتقر محدثه إلى محدث أيضاً لانعقاد المماثلة بينهما، ولو افتقر محدثه إلى محدث للزم الدور أو التسلسل، وكل من الدور أو التسلسل محال، فما أدَّىٰ إليه وهو افتقار المحدث إلى محدث محال، فما أدَّىٰ إليه وهو افتقار الإله إلى محدث محال، فما أدَّىٰ إليه وهو كونه حادثاً محال، فما أدَّىٰ إليه وهو عدم كونه قديماً محال وهو المطلوب. انظر: «حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي» (ص١٠٢).

وبيان ذلك أن يكون الشيء أوجد آخر، والآخر أوجد ذلك [الشـيء الآخر، فيكون ذلك الشيء][١] أوجد نفسه، ولكن بواسطة ذلك الشيء الآخر، وهذا بمرتبة.

وإن قلنا: إن ذلك الشيء الآخر أوجد آخر، والآخر أوجد آخر، إلى مقدارٍ من العدد معلوم، ثم إن ذلك الشيء الأخير الذي ينتهي إليه العدد أوجد الشيء الأول.

فيكون الشـيء الأول أوجد نفسه، ولكن بواسطة هذه الأشياء المفروضة من العدد، وهذا بمراتب.

(أو) يلزم من فرض ذلك (**التَّسَلسُلُ**) [وهو توقف الشيء على غيره إلى ما لا نهاية له وقدَّم الدور؛ لأن أعداده المفروضة متناهية بخلاف التسلسل][٢]، وهو أن يكون الشـيء له موجد قبله، وذلك الموجد له أيضاً موجد آخر قبله، والآخر له آخر إلى ما لا نهاية له بحسب ما مضى، والمشهور في إبطال ذلك برهان التطبيق، وهو أن تفرض سلسلتان:

أحدهما: سلسلة المصنوعات من آخر مصنوع إلى ما لا نهاية له، والأخرى: سلسلة الصانع إلى ما لا نهاية له من آخر صانعٍ، وهو صانع ذلك المصنوع في السِّلسلة الأخرى فتكون سلسلة الصانع أزيد من سلسلة المصنوعات بحلقه ثم تطبق كل حلقة إلى ما لا نهاية له من إحدى السلسلتين بحلقة من السلسلة الأخرى.

فإن خرج النَّاقص كالزائد كان محالاً، وإن خرجت إحدى السلسلتين زائدة كانت زيادتها بقدر متناهٍ، فيكون الكلُّ متناهياً وقد بطل التسلسل، وبطلان الدَّور معلوم مما ذكرناه في امتناع كون الشيء صانعاً نفسه.

---

(١) ما بين معكوفين سقط من (ب).

(٢) ما بين معكوفين سقط من (د).

مطلب

[في برهان وجوب البقاء]

(وأمَّا بُرهَانُ وجوبِ البَقَاءِ لَهُ تَعالَى؛ فلأنَّه تَعالَىَ لو أمكَنَ) أي: جاز في العقل **(أن يَلحَقَهُ)** أي: يدركه ويطرأ على وجوده **(العدم)** ولو لمحةً **(لانتَفَىَ عَنْهُ)** تعالى **(القِدَم)** الواجب له كما ذكرنا، وذلك **(لكَونِ وجُودِهِ)** تعالى **(حينَئِذٍ)** أي:حين إذ يلحقه العدم **(يَصيرُ جَائِزَاً)** عقلياً يعني يصح في العقل وجوده وعدمه كما تقدَّم في أقسام الحكم العقلي **(لا واجباً)** عقلياً، وهو ما لا يتصور في العقل عدمه كما سبق[1].

(و)الشيء **(الجَائِزُ)** العقلي الذي يصحُّ في العقل وجوده وعدمه **(لا يَكُونُ وجُودُهُ)** أي: لا يتصور وجوده أبداً في عينه **(إلاَّ)** وجوداً **(حَادِثَاً)**، وكذلك وجوده في الكتابة.

وأما وجوده في القول وفي العلم، فهو وجود قديم، وكلامنا الآن في الوجود العيني؛ لأنه المقصود من معنى الوجود.

فالجائز موجود في العلم موجود في القول، وهو بهذا الاعتبار قديم الوجود، وموجود في الكتابة في اللوح المحفوظ موجود في عينه، وهو بهذا الاعتبار حادث الوجود.

فالجائز حينئذ لا يوجد في عينه إلاَّ حادثاً، والله تعالى وجوده واجب لا جائز حتى يلزم أن يكون حادثاً.

(كيفَ) أي: كيف يقال: إن وجوده تعالى جائز حتى يلزم أن يكون حادثاً **(وَ)**الحال أنه **(قَد سَبَقَ قَريبَاً)** في تقرير برهان القِدَم **(وُجُوبُ قِدَمِهِ سبحانه وتعالى وبقائه[2])**.

---

(١) في (ب): كما سيأتي.

(٢) قال الإمام السنوسي في شرحه على «العقيدة الكبرى»: البقاء عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود، والدليل على وجوب هذه الصفة لله ﷻ:أنه لو قُدِّر لحوق العدم له ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ لكانت ذاته العلية تقبل الوجود والعدم؛ لفرض اتصافه بهما، ولا تتصف ذاته بصفة حتى تقبلها، لكن قبوله جلّ وعلا =

ولا شكَّ أنَّ كلَّ ما وجب قدمه استحال عدمه، وكلَّ ما يمكن عدمه يستحيل قدمه، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[الحديد: ٣]، فهو أول بلا افتتاح، وآخر بلا اختتام.

فهو أوَّلٌ في عين أخريَّته، وآخر في عين أوَّليته، فهو موجود قبل الكلمات والمعاني، فلا معنىٰ يبديه، ولا كلمة تؤدِّيه، فهو الغيب المطلق والموجود المحقق، فسبحان من لا يُدْرَك ولا يُترَك، وهو الربُّ الحق.

= للعدم محال، إذ لو قبله لكان هو والوجود بالنسبة إلىٰ ذاته سيَّان، إذ القبول للذات نفسي لا يتخلف فيلزم افتقار وجوده إلىٰ موجد يرجِّحه علىٰ العدم الجائز، فيكون حادثاً كيف وقد ثبت بالبرهان القطعي وجوب قدمه، فبان لك بهذا البرهان أن وجوب القدم يستلزم أبداً وجوب البقاء، وأن تجويز العدم اللاحق يوجب ثبوت العدم السابق، فخرج لك بهذا البرهان قاعدة كلية وهي: أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه؛ لأن القدم لا يكون أبداً إلا واجباً للقديم، وهذا البرهان الذي ذكرنا لوجوب البقاء مختصر وهو مع اختصاره قطعي لا شبهة في شيء من مقدماته. انظر: «العقيدة الكبرىٰ» للسنوسي (ص ٧٤ ـ ٧٥).

مطلب
[برهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث]

(**وأمّا بُرهَانُ وجُوبِ مخَالفَتِهِ**) أي: عدم مشابهته (**تَعالَى للحَوادِثِ**) أي: للمخلوقات كما سبق، ولا بوجه من الوجوه[1]؛ (**فلأنَّه تَعالَى لوْ مَاثَلَ**) أي: شابه (**شيئاً**) عظيماً أو حقيراً أو موصوفاً بأنَّه (**مِنهَا**) أي: من الحوادث، ولو باعتبار الوجود فقط (**لَكَانَ**) سبحانه وتعالىٰ (**حَادِثاً**) من العدم (**مِثلَهَا**) أي: مثل تلك الحوادث، وإنما سبحانه وتعالىٰ لا يشبه شيئاً من الحوادث ولا باعتبار الوجود فقط؛ لأنَّ وجوده تعالىٰ وجود مطلق، ووجود ما سواه من الحوادث وجود مقيَّد، ولهذا حصل التمييز بين ذوات الحوادث المختلفة وصفاتها، بسبب القيود والوجود المقيَّد بالنسبة إلىٰ الوجود المطلق عدم صرف.

فكيف يتصوَّر أن يكون بينهما مشابهة باعتبار الوجود؛ لأنَّه يلزم أن يكون وجود الله تعالىٰ مقيداً أيضاً كوجود الحوادث، فيكو ن هو سبحانه وتعالىٰ حادثاً من جملة الحوادث، (**وَذَلِكَ**) أي: كونه حادثاً (**مُحَالٌ**) عقلي لا يتصور في العقل وجوده، كيف (**لِما عَرَفْتَ**) فيما سبق (**مِنْ وجُوُبِ قِدَمهِ**) تعالىٰ وتقدَّس (**وَ**)وجوب (**بَقَائِه**) وإقامة البرهان علىٰ ذلك، فكيف يكون حادثاً مع هذا.

---

(١) قال الشيخ الشرقاوي: لأن كل مثلين يجب لكل واحد منهما ما وجب للآخر، ويجوز عليه ما جاز علىٰ الآخر، ويستحيل عليه ما استحال عليه، وقد وجب للحوادث أجرامها وأعراضها الحدوث، فلو ماثلها مولانا جل وعز لوجب له ما وجب من الحدوث واستحالة القدم، ولو كان كذلك لافتقر إلىٰ محدث، ويلزم الدور أو التسلسل، وقد تقدم أن ذلك محال. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٠٧)

مطلب

[برهان وجوب قيامه تعالى بنفسه]

(وأمَّا بُرهَان وجُوبِ قيَامِهِ) أي: ثبوته وتحققه **(تَعالَى بنَفسِهِ)** أي: بذاته العليَّة عن مدركات العقول[١]؛ **(فلأنَّه)** سبحانه و**(تَعالَى لو احتَاجَ إلى مَحلٍ)**؛ أي: ذاتٍ أخرىٰ يحلُّ فيها حلول الختم في الشَّمع، أو ماء الورد في الورد كما تزعمه النَّصارىٰ ـ قبَّحهم الله تعالىٰ ـ ولعنهم الله تعالىٰ **(لكَانَ)** الله سبحانه وتعالىٰ **(صِفَةً)** لتلك الذَّات الأخرىٰ، التي حلَّ فيها كما ذكرنا، لا ذاتاً مستقلَّةً موصوفةً بصفاتٍ علىٰ حِدَة.

(والصِّفةُ لا تتَّصِفُ بصفَاتِ المعاني) السَّبعةِ المذكورة فيما سبق، **(ولاَ)** بالصفات **(المعنويَّة)** السَّبعة المتقدم ذكرها[٢] **(ومولاَنَا جَلَّ وعَلاَ يَجبُ)** وجوباً عقلياً **(اتِّصَافُهُ بهِمَا)** أي: بصفات المعاني والصفات المعنوية؛ بحيث لا يتصور في العقل عدم الاتصاف المذكور في حقه تعالىٰ **(فَليسَ بِصفَةٍ)** أي: فثبت بأنه تعالىٰ ليس بصفةٍ، بل هو ذات قديمة، وجميع ما سواه حادث، وأيضاً لو احتاج إلىٰ محل لتغيَّر بانتقاله[٣] من محل إلىٰ محل، وكل متغيِّرٍ حادث والحدوث عليه تعالىٰ محال.

(وَلَو احتَاجَ إلى مُخَصِّصٍ) أي: فاعلٍ يخصصه بمقدار دون مقدار، أو بمقادير دون مقادير،أو بصورة دون صورة، أو بصور دون صور أو بكيفيَّةٍ دون كيفيَّة، أو بكيفيَّات دون

---

(١) في (ج): العقل.

(٢) تقدم أن قيامه تعالىٰ بنفسه عبارة عن استغنائه عن المحل والمخصص، أما برهان استغنائه عن المحل؛ أي: عن ذات يقوم بها، فلأنه لو احتاج إلىٰ محل لكان صفة، لأنه لا يحتاج إلىٰ المحل إلا الصفات، والصفة لا تتصف بصفات المعاني وهي الصفات الوجودية كالقدرة والإرادة، ولا المعنوية وهي الأحوال الثابتة الملازمة للمعاني كقادر ومريد إلىٰ آخرها، فلا يكون مولانا صفة، لأن الواجب له نقيض ما وجب للصفة، لأنه يجب اتصافه بالمعاني والمعنوية والصفة يستحيل عليها ذلك.انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٠٧).

(٣) في (أ ـ ب): بالانتقال.

كيفيَّات، أو بمكان دون مكان، أو بأماكن دون أماكن، أو بزمان دون زمان، أو بأزمنة دون أزمنة، وما أشبه ذلك من التَّخصيصات التي لا بدَّ أن تكون عليها الحوادث ضرورة امتياز بعضها عن بعض كما ذكرنا.

وتزعم اليهود لعنهم الله تعالىٰ بأنَّ الله تعالىٰ جسم فوق العرش، ويجيزون في حقه تعالىٰ جميع هذه التَّخصيصات المذكورة، وهم أعداء الله تعالىٰ كالنَّصارىٰ، وكذلك كل من في قلبه شيء من معتقدات الفريقين؛ لكونهم يصفون الله تعالىٰ بما ليس فيه من صفات خلقه التي هي نقائص في حقه تعالىٰ، فيفترون علىٰ الله الكذب.

(لَكانَ) حينئذٍ الله تعالىٰ **(حَادِثًا)** لا قديماً، **(وَكَيفَ)** يكون حادثاً، **(وَقدَ قَامَ البُرهَانُ عَلىَ وجُوبِ قِدَمِهِ تَعالَى وبَقَائِهِ)** فيما تقدم ذكره.

مطلب
[برهان وجوب الوحدانية لله تعالى]

(وأمَّا بُرهَانُ وجُوبِ الوَحدَانيَّةِ لَهُ تَعالَى) أي: كونه واحداً في ذاته، وفي صفاته وفي أفعاله وفي أحكامه؛ **(فَلأَنَّهُ تَعالَى لو لم يَكُنْ وَاحِدَاً)** كما ذكرنا لـ**(لَزِمَ)** من ذلك **(أنْ لاَ يُوجَد شَيءٌ مِن)** هذا **(العَالَمَ)** الموجود الآن، وفيما مضى، وفيما سيأتي **(لِلُزُومِ عَجزِهِ)** تعالى **(حينَئِذٍ)** عن إيجاد شيء من ذلك.

أما عدم كونه واحداً في ذاته؛ فلأنَّ ذاته تعالى لو كانت مركبة من جزأين أو ثلاثة أو أكثر، لزم تعدد القدرة في كل جزء، أو عدم قيامها بكل جزء، بل بالمجموع.

فإن تعددت القدرة في كلِّ جزءٍ، فإمَّا أن يقدر بها على إعدام الجزء الآخر أو لا، فإن قدر كان كل جزء ممكن العدم، عاجزاً[١] عن وقوع دفع الإعدام عنه، وإن لم يقدر فهو العاجز وإن قامت القدرة بالمجموع كان كل جزء منه عاجزاً محتاجاً إلى الجزء الآخر[٢].

وأما عدم كونه واحداً في صفاته؛ فلأنَّ صفاته تعالى لو لم تكن واحدة، بأن كانت متعددة كقدرتين وإرادتين مثلاً لزم من ذلك ما ذكرنا، وكذلك لو لم يكن واحداً في أفعاله وواحداً في أحكامه، بأن كانت أفعاله متعددة، وأحكامه متعددة، وكل ذلك بالنسبة إليه تعالى لا بالنسبة إلى ذوات الموجودات.

---

(١) في (د): جائزاً.

(٢) فلأن كل جزء يكون إلهاً، فيلزم التمانع كما في تعدد الإلهين وذلك مؤد للعجز المستلزم، وكذلك فلأنه يلزم منه عجز كل جزء على الانفراد وعجزه يوجب عجز سائر الأجزاء المماثلة وذلك يوجب عجز المجموع المستلزم هذا إقناعي وإلا فيلزم من عجز كل جزء عجز المجموع، ألا ترى أن الحبل المؤلف من شعرات مثلاً لا تقوى كل شعرة منه على حمل ما يحمله المجموع، فالأولى إبطال ذلك بأنه يلزم عليه انقسام المعنى، فيلزم أن تكون القدرة مثلاً متجزئة كما في قدرتنا فإنها قائمة بكل جزء من أجزائنا. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٠٨).

فإن أفعاله تعالىٰ بالنسبة إلىٰ ذوات الموجودات، وكذلك أحكامه تعالىٰ متعددة قطعاً منقسمة إلىٰ خيرٍ وشر ونفعٍ وضرّ، وأحكامه منقسمة إلىٰ طاعة ومعصية، وثواب وعقاب ونحو ذلك، ولكن هذا التَّعدد والانقسام بسبب اختلاف ذوات الموجودات، والفعل واحد والحكم واحد، كما أن الفاعل واحد والحاكم واحد، والفاعل هو الحاكم، وهو الذَّات والصِّفات.

ولو لم يكن كما ذكرنا؛ للزم العجز في حقه تعالىٰ وهو محال، وكذلك لو كان معه إله آخر يشاركه في صفات الربوبيَّة[١] فإمَّا أن يقدر علىٰ إعدامه أو لا يقدر، فإن قدر علىٰ إعدامه لم يكن إلهاً مثله؛ لأنه عاجز لا يستطيع أن يدفع الإعدام عنه، وإن لم يقدر علىٰ إعدامه كان عاجزاً، والعجز عليه تعالىٰ محال.

فإن قلت: قد سبق أن القدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل، بل بالممكن فقط، ولا يلزم العجز من عدم ذلك التعلق؛ لأنه ليس من شأن القدرة كما قدمنا تقريره[٢]، والإله الآخر المفروض واجب لا ممكن فكيف هذا؟

قلت: نعم، إن القدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل، وقلنا: إنه ليس من شأنها ذلك كما تقدَّم، ولكن بعد الاعتراف بالوحدانيَّة في حق الربِّ تعالىٰ.

وأما في الكلام مع منكر الوحدانيَّة فتعارض[٣] الفاسد بالفاسد إلزاماً للحجة.

---

(١) في (أ): الوجودية.

(٢) لأنها إن تعلقت بالواجب، فإما لأن توجده وهو موجود، وإما لأن تعدمه وهو لا يقبل العدم بحال، أو لأن تعدمه وهو معدوم أصلاً، ويظهر من هذا أن عدم تعلقها بالواجب أو بالمستحيل، إنما كان لأنهما خارجان عن وظيفتها وهي الإيجاد والإعدام لا لعجز فيها، إذ أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من وظائف القدرة، بأن كان يقبل الوجود لذاته أو العدم لذاته أفرأيت إلى العين ووظيفتها الإبصار، أفيعد نقصاً فيها إن لم تسمع الأصوات، وهكذا تقول في الآذان إذ ليس عجزاً أن لا ترىٰ الأذن، بل العجز فيها إن لم تسمع. انظر: «شرح جوهرة التوحيد» (ص٨٥).

(٣) في (أ): فنعارض.

مطلب
[برهان اتصافه بالقدرة والأرادة والعلم والحياة]

(**وأمّا بُرهَانُ وجُوبِ اتِّصَافِهِ**) أي: الله تعالىٰ (**بالقدَرَةِ**) الأحديَّة الأزليَّة[1] علىٰ كل مراد له تعالىٰ (**والإرَادَة**) الأحديَّة الأزليَّة لكل معلوم له تعالىٰ ممكن لا واجب ولا مستحيل (**والعِلمِ**) الأحديِّ الأزلي بكل معلوم له تعالىٰ ممكن أو واجب أو مستحيل.

(**والحَيَاة**) الأحديَّة الأزليَّة التي هي شرط قيام القدرة والإرادة والعلم بالذَّات الأحديَّة الأزلية (**فَلأَنَّه**)؛ أي: الشأن (**لو**) فرض أنَّه (**انتَفَىٰ**) أي: انعدم عنه تعالىٰ (**شَيءٌ منهَا**) أي: من هذه الصِّفات الأربعة التي هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة[2] (**لَمَا وجِدَ شَيءٌ مِن**) هذه (**الحَوَادِث**)الموجودة الآن وفيما مضىٰ وفيما سيأتي، للزوم عجزه تعالىٰ حينئذٍ بانتفاء القدرة

---

(١) فرّق العلماء بين الأزلي والقديم، **فالقديم**:هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده.

والأزلي: هو ما لا أول له عدمياً أو وجودياً قائماً بنفسه أو بغيره، وعلىٰ هذا القول فالصفات مطلقاً لا توصف بالقدم، وتوصف بالأزلية بخلاف الذات العلية، وأما الصفات الثبوتية، فإنها توصف بالقدم والأزلية.انظر: «حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين» (ص٧٧) و«شرح جوهرة التوحيد» (ص٨٨).

(٢) بيَّن المصنف في «شرحه للعقيدة الصغرىٰ»: أن تأثير القدرة الأزلية موقوف علىٰ إرادته تعالىٰ ذلك الأثر، وإرادته تعالىٰ ذلك الأثر موقوفةٌ علىٰ العلم به، والاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم موقوفة علىٰ الاتصاف بالحياة؛ إذ هي شرط فيها، ووجود المشروط بدون شرط مستحيل، فإذاً وجود حادث ـ أي حادث كان ـ موقوف علىٰ اتصاف محدثه بهذه الصفات الأربعة، فلو انتفىٰ شيء منها لما وجد شيء من الحوادث للزوم عجزه حينئذ، وبهذا تبين وجوب وجود اتصافه تعالىٰ بها في الأزل؛ إذ لو كانت حادثة لزم توقف إحداثها علىٰ اتصافه تعالىٰ بأمثالها قبلها، ثم ينقل الكلام إلىٰ أمثالها، ويلزم التسلسل وهو محال، أي: لو كانت القدرة والإرادة والعلم والحياة حادثة بإحداثه تعالىٰ لها في نفسه للزم أن يكون متصفاً بها قبل ذلك حتىٰ يقدر علىٰ إحداثها، فيلزم الدور أو التسلسل وكلاهما محال، فيكون وجود هذه الصفات محالاً، ويلزم أن لا يوجد شيء من الحوادث وهو باطل بالمشاهدة، فثبت قدم هذه الصفات. انظر: «شرح العقيدة الصغرىٰ» للسنوسي(ص٨٥).

وإكراهه تعالىٰ ودخوله تحت قهر قاهر بانتفاء الإرادة، فيلزم من ذلك عجزه تعالىٰ وجهله تعالىٰ بانتفاء العلم، والجهل عجز، وموته تعالىٰ بانتفاء الحياة، والموت أبلغ عجز، ومتىٰ وجد العجز انتفىٰ وجود شيء من الأشياء مطلقاً.

ولا شك أن الأشياء موجودة في العقل وفي الحس، فالصفات الأربعة موجودة لله تعالىٰ حينئذ، فهو تعالىٰ حيٌّ عَلِمَ الأشياء فأراد وجودها مرتبةً أبدع ترتيب، وهو قادر علىٰ ذلك ولهذا توجد الأشياء الآن وقد وجدت فيما مضىٰ، وستوجد في المستقبل، فسبحان الحكيم الخبير.

مطلب

[برهان وجوب السمع والبصر والكلام]

(وأمّا بُرهَانُ وجُوبِ السَّمعِ لَهُ) الأحديِّ الأزليِّ سبحانه (تَعالىٰ وَ) وجوب (البَصَـرِ) الأحديِّ الأزلي له تعالىٰ أيضاً (و) وجوب (الكَلاَمِ) الأحديِّ الأزليِّ له تعالىٰ أيضاً علىٰ حسب ما تقدَّم بيانه.

(فالكتَابُ) أي: فالدَّليل علىٰ ذلك كتاب الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(والسُّنّةُ) أي: سنة النبيِّ ﷺ،أخرج البخاري في أواخر «صحيحه» في كتاب الرَّد علىٰ الجهمية، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي عثمان عن أبي موسىٰ، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فكنا إذا علونا كبَّرنا، فقال: «اِرْبَعُوا علىٰ أنفُسِكُم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً»[١]، وقد ورد في هذا المعنىٰ كثير من الأحاديث.

وأخرج البخاري أيضاً في أواخر «صحيحه» في كتاب الاعتصام، قال: حدثنا علي بن حجر قال أنبأنا عيسىٰ بن يونس عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلاَّ سيُكَلِّمُه ربهُ، ليس بينه وبينهُ تُرجُمانٌ، فينظر أيمَنَ منه، فلا يرىٰ إلاَّ ما قدَّم من عمله، وينظر أشأمَ منه، فلا يرىٰ إلاَّ ما قدَّم، وينظرُ بين يديه فلا يرىٰ إلاَّ النَّار تلقاءَ وجههِ، فاتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ»[٢]، ومثل هذا كثير في الأحاديث.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» باب قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، رقم (٧٣٨٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» باب كلام الرب تعالىٰ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم(٧٥١٢).

(و) الدَّليل على ذلك (الإجمَاعُ أيضاً[١]) أي: إجماع أمة محمدٍ ﷺ أمة الإجابة؛ فإنَّ المجتهدين وغيرهم من أهل الإيمان أجمعوا على ثبوت هذه الصِّفات الثلاثة لله تعالى، ولا اعتداد بمخالفة بعض من ينتمي إلى الإسلام من المعتزلة والفلاسفة النَّافين للصِّفات، لأنَّهم كفروا بإنكارهم الأدلة القطعية المثبتة لذلك.

وإنما اختار هنا في هذه الصِّفات الثلاثة تقديم الاستدلال بالأدلة السَّمعية على الأدلة العقلية، وإن كانت الأدلة العقلية أقوى نظراً إلى كونها أصلاً للأدلة السمعية.

فإنَّ من لم تثبت عنده النبوة المحمديَّة بالأدلة القطعية[٢] كيف يعترف بحقيقة الأدلة السمعيَّة، فضلاً عن الاستدلال بها، وذلك لأن هذه الصِّفات الثلاثة لا تكاد تخرج في المعنى عن العلم الإلهي القديم المحيط بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كما قدمنا.

فسمعه تعالى بمنزلة علمه بالأصوات كلها الخفيَّة والقويَّة؛ لأنه ليس بأذن ولا صماخ، ولا يسمع من جهة، وبصره تعالى بمنزلة علمه بالصور والهيئات والألوان جميعها على تفاوتها من غير حدقةٍ ولا أجفانٍ، ولا يبصر ببصر من جهة.

وكلامه تعالى بمنزلة علمه بالأشياء الواجبة والجائزة والمستحيلة؛ لأنَّه بلا حرفٍ ولا صوتٍ، بل هو معنى قديم قائم بذاته تعالى، حتى إن بعضهم أرجع السَّمع إلى العلم بالمسموعات، والبصر إلى العلم بالمبصرات، والكلام إلى العلم الكاشف عن أقسام الحكم العقلي الثلاثة، وإن كان الحق التغاير بين هذه الصِّفات الثلاثة وبين العلم؛ لأنَّ الله تعالى غيبٌ

---

(١) إن قلت: الكتاب والسنة والإجماع إنما دلَّت على أنه تعالى سميع بصير متكلم، لا على أنه متصف بصفات هي السمع والبصر والكلام كما هو قول أهل السنة؟

الجواب: أن أهل اللغة لا يفهمون من سميع وبصير ومتكلم إلا ذاتاً متصفةً بالسمع والبصر والكلام، لأن من لم يَقُمْ به وصفٌ لا يشتق له منه اسمٌ، فلا يقال: قائمٌ إلاَّ لمن اتصف بالقيام، ولا قاعدٌ إلا لمن اتصف بالقعود، وهكذا فاستدلال المؤلف وغيره من أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع إنما يعنون به الاستدلال بها مع اعتبار ما فهمه أهل اللغة لا الاستدلال بها وحدها. انظر: «طالع البشرى» (ص١٢٣)

(٢) في (ب ـ د): العقلية.

مطلق، وكذا صفاته، [ولا يمكن إدراكه تعالىٰ للعقول، ولا إدراك شيء من صفاته][1] فلو أرجعنا صفة من صفاته إلىٰ صفة أخرىٰ يلزم عدم الإيمان بتلك الصفة الأولىٰ، وعدم الإيمان هو الكفر، فنؤمن بالتغاير كما أتىٰ عنه تعالىٰ مع إقرارنا باطناً بالعجز عن إدراك معنىٰ ذلك، وهذا هو سبب اختيار المصنف رحمه الله تعالىٰ للأدلة السمعيَّة هنا وتقديمها علىٰ العقليَّة؛ لأنها أقوىٰ في هذا الموضع من العقليَّة؛ لقصور العقل عن التَّغاير المذكور.

ثم أشار إلىٰ شيءٍ من الأدلة العقليَّة علىٰ ذلك؛ حيث قال: (**وَأيضَاً**) وهو مصدر آض إذا رجع[2]، يعني: رجوعاً إلىٰ ذكر الدَّليل من حيث العقل (**لَو لم يتَّصِف**) الله تعالىٰ (**بِهَا**) أي بهذه الصِّفات الثلاثة: السَّمع والبصر والكلام (**لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أنْ يتَّصِفَ**) سبحانه وتعالىٰ (**بأضْدَادِهَا**)؛ يعني: بالصمم والعمىٰ والبكم (**وَهيَ**) أي: هذه الأضداد الثَّلاثة.

(**نَقَائصُ**) جمع نقيصة علىٰ معنىٰ: خصلة نقيصة، بمعنىٰ: منقصة تنقص كل من اتَّصف بها من المخلوقين، فتوجب عجزه، فكيف بالخالق القديم تبارك وتعالىٰ.

(**والنَّقصُ عَليه**) أي: علىٰ الله(**تَعالَى مُحَال**) عقلي لا يتصوَّر في العقل وجوده، وإلاَّ لافتقر إلىٰ من يزيل عنه ذلك النَّقص، فيكون عاجزاً، وهو الغني القدير.

---

(١) ما بين معكوفين سقط من (ب).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» مادة: أيض.

مطلب

[برهان جواز فعل الممكنات وتركها]

(**وأمَّا بُرهَانُ كَونِ فعلِ**) أي: إيجاد أو إعدام (**المُمْكِنَاتِ**) أي: الجائزات العقليَّة (**أَوْ تَركِهَا**) أي: ترك إيجادها وإعدامها (**جَائِزاً**) عقلياً يصح في العقل وجوده وعدمه (**فِي حَقِّهِ**) أي: في حق الله (**تعالى، فَلأَنَّهُ**) أي: الشأن (**لَو وَجَبَ عَلَيهِ**) أي: على الله تعالى (**شَيءٌ مِنْهَا**) أي: من الممكنات (**عقلاً**) أي: من جهة النَّظر العقلي احترازاً عمَّا أوجبه سبحانه وتعالى على نفسه من إيجاد الكائنات؛ أو إعدامها على حسب ما أراده تعالى في الأزل؛ فإن هذا الإيجاب غيب عنا لا نعلمه إلاَّ بعد نفوذه وظهوره في الإيجاد أو الإعدام، وذلك لا يخرج الممكن عن كونه ممكناً بالنَّظر العقلي، بالنسبة إلى ذاته؛ فإنَّ الإيجاب جاءه من جهة غيره[1].

(**أو استَحَالَ**) عليه تعالى شيء منها (**عقَلاً**) أي: بالنَّظر العقلي[2] احترازاً عما لم تتعلَّق به

---

(١) فيدخل في ذلك الثواب والعقاب، وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصلاح والأصلح للخلق، لا يجب من ذلك شيء على الله تعالى ولا يستحيل؛ إذ لو وجب عليه فعل الصلاح والأصلح للخلق ـ كما تقوله المعتزلة ـ لَمَا وقعت محنة دنيا ولا أخرى، ولَمَا وقع تكليفٌ بأمرٍ ولا نهيٍ، وذلك باطل بالمشاهدة، وما يقدر من المصالح مع تلك المحن والتكاليف، فالله تعالى قادر على إيصال تلك المصالح بدون مشقة أو محنة أو تكليف. انظر: «شرح أم البراهين» للسنوسي ص(٧٥)

(٢) احترز به من صيرورة الممكن واجباً شرعاً أو مستحيلاً شرعاً، لأمرٍ عَرَضَ له وذلك كدخول المؤمن الجنة ودخول الكافر الجنة، فإن كلاً منهما ممكن عقلاً بالنظر لذاته، لكن صار الأول واجباً شرعاً لإخبار الشرع بوقوعه فهو واجبٌ عرضي وواجبٌ لغيره، وصار الثاني مستحيلاً شرعاً لإخبار الشرع بعدم وقوعه، فهو مستحيل عرضي ومستحيلٌ لغيره، ولا استحالة في صيرورة الممكن واجباً عرضياً وواجباً لغيره، ولا في صيرورة الممكن مستحيلاً عرضياً ومستحيلاً لغيره، وإنما الاستحالة في صيرورة الممكن واجباً لذاته أو مستحيلاً لذاته، بأن تنقلب حقيقته إلى حقيقة الواجب أو المستحيل، وفي صيرورة الواجب ممكناً لذاته أو مستحيلاً لذاته، بأن تنقلب حقيقته إلى حقيقة الممكن أو المستحيل، وفي صيرورة المستحيل ممكناً لذاته أو واجباً لذاته بأن تنقلب حقيقته إلى حقيقة الممكن أو الواجب، وهذه الثلاثة هي المرادة من قولهم: قلب الحقائق مستحيل، والله أعلم. انظر: «طالع البشرى» (ص١٢٤).

القدرة الأزلية من الممكنات لعدم تعلق الإرادة الأزليَّة به؛ فإنَّه مستحيل، ولكن بالنَّظر إلى عدم التَّعلق المذكور، لا عقلاً (**لا نقلَبَ**) أي: لتحوَّل وتبدَّل الشـيء (**المُمكِن**)؛ أي: الجائز العقلي الذي يصح في العقل وجوده وعدمه (**واجِبَاً**) عقليَّاً، لا يتصور في العقل عدمه (**أو مستَحيلاً**) عقليَّاً لا يتصور في العقل وجوده، (**وَذَلكَ**)؛ أي: انقلاب الممكن واجباً أو مستحيلاً أمر مستحيل (**لا يُعقَل**) بالبناء للمجهول؛ أي: لا يتصور في العقل؛ لأنه يترتَّب عليه خبطٌ عظيم لا يبقى معه أدنى إيمانٍ، ولا وثوق بشيءٍ [1].

فيلزم منه أن يصير الربُّ عبداً أو العبد رباً، والممكن مستحيلاً، والمستحيل ممكناً أو واجباً، ويلزم أن تصير القدرة عجزاً، والعلم جهلاً، وبالعكس ونحو ذلك حتى يصير العقل جنوناً، والجنون عقلاً، وتنقلب حقائق الممكنات أيضاً إلى ما يضادُّها، وهو شيء لا يعقل، وهو ممتنع عند العقلاء والله سبحانه أعلم.

---

(١) إذا بطل انقلاب الممكن واجباً أو مستحيلاً، بطل وجوب البعض أو استحالته، وإذا بطل وجوب البعض أو استحالته وجب أن الممكنات جائزة وهو المطلوب، إذاً فجميع الممكنات لا يجب منها على الله فعل شيء ولا تركه لا شرعاً ولا عقلاً. انظر: «تهذيب شرح السنوسية» (ص٩٧).

الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ

تعريف الرسول والنبي

الواجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

المستحيل في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

مطلب

[الرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(وأمَّا الرُّسُلُ عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ) وهم جمع رسولٍ، وقدَّمنا أن الرَّسول والنبيّ بمعنى واحد عند المحققين، وربما يقال بالفرق.

فيقال: إن الرسول: إنسانٌ أوحي إليه بشـرعٍ وأُمر بتبليغه.

[والنبيُّ(١): إنسانٌ أوحي إليه بشـرعٍ ولم يؤمر بتبليغه](٢)، فبينهما عموم وخصوص

---

(١) النبيُّ، فعيل من النبوة: وهي ما ارتفع من الأرض، فيكون معنى «النبي» الذي شَرفَ وارتفع على غيره، فيكون فعيل بمعنى مفعول، وأصله غير مهموزٍ، فيكون آخره واواً مسبوقة بياءٍ ساكنة، فيجب قلبها والإدغام فيها كما هو معلوم.
وإما من النَّبأ: الذي هو الخبر، فيكون معنى النبيء من أنبأ عن الله سبحانه، فعيل بمعنى فاعل أو منبَأ بمعنى مخبراً؛ أي: أخبره الله تعالى بغيبه عن طريق الوحي، فيكون فعيل بمعنى مفعول، وأصله مهموز.
وقد يقال: إنه مأخوذ من النبىء بمعنى الطريق، فمعناه: الوسيلة والطريق إلى معرفة الله، ومنه يقال لرسل الله تعالى أنبياء لكونهم طرق الهداية إلى الله، وأما في الاصطلاح، فهناك طرق:
الطريق الأولى: قال سعد الدين: النبوة هي كون الإنسان مبعوثاً من الحق إلى الخلق، والنبي: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي به إليه، قال: وكذا الرسول، وحاصل هذه الطريقة: أن النبي والرسول كلاهما مبعوث لتبليغ الوحي، والرسول قد يخص بما ذكر، لا بالأمر بتبليغ الوحي، فإن ذلك مشترك بينه وبين النبي.
الطريق الثانية: وهي التي لخص الشيخ ابن عرفة رحمه الله بقوله: النبوة اختصاص بشرٍ بسماع وحيٍ، والرسول: بشرٌ خصه الله بسماع وحيٍ وأمره بتبليغه.
الطريقة الثالثة: قال القاضي عياض: اختلف العلماء هل الرسول والنبي بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] فقد ثبت لهما معنى الإرسال، قالوا: ولا يكون النبي إلا رسولاً، ولا الرسول إلا نبياً، وقيل: هما معنيان متباينان من جهةٍ، مجتمعان من جهةٍ، إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب، وافترقتا في زيادة الرسالة للرسول وهي الأمر بالإعلام والإنذار تحديداً للفرق بين الرسول والنبي، وحجتهم في الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كان شيئاً واحداً لما حسُن تكرارهما في الكلام البليغ، ثم قال الشيخ البكي الكومي: فيكون المراد خصوص رسولٍ لا مطلق الرسول، فإن مطلق رسولٍ هو النبي. انظر: «تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب» (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٢) ما بين معكوفين سقط من (د).

مطلق يجتمعان في مادة، ويفترق أحدهما في مادة أخرىٰ، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، ولا كلُّ نبيٍّ رسول، ويكون وجه تخصيص الرسل هنا بالذكر دون الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ لوجوب الحق لهم علىٰ الخلق بسبب التبليغ، ولأنهم معلومون[1] للخلق دون الأنبياء عليهم الصَّلاة و السَّلام.

(١) في (ب): معلمون.

مطلب
[الواجب في حق الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(فيجب) وجوباً عقلياً[(١)]، وهو: ما لا يتصور في العقل عدمه[(٢)] كما قدمنا في حقهم عليهم الصَّلاة والسَّلام ثلاث صفات وهي:

العصمة الواردة لهم عليهم الصَّلاة والسَّلام التي يجب علىٰ الأمة اعتقادها في حقهم عليهم الصَّلاة والسَّلام.

فالصفة الأولىٰ (الصِّدقُ) في القول والفعل والاعتقاد وهو المطابقة للواقع في جميع أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم عليهم الصَّلاة والسَّلام[(٣)].

وأما ما ورد عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السَّلام من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]؛ فإنه ليس بكذب، وإن لم يكن مطابقاً للواقع بدليل إخبار الله تعالىٰ عنه عليه السَّلام، فإنه جعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم؛ لأنه أراد بذلك إلزام الحجة عليهم، كما خاطب النمرود بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾[البقرة: ٢٥٨] مع علمه بأن النمرود مخلوق عاجز لا يقدر علىٰ تحريك جناح بعوضة، وكمجاراته لعبَّاد الكواكب في قوله عن الكوكب: هذا ربي، وترقىٰ معهم إلىٰ الشمس وإلىٰ القمر؛ رغبة في اتباعه حتىٰ إذا

---

(١) مراده بالوجوب ما هو أعم من الوجوب الشرعي، إذ وجوب الأمانة والتبليغ دليله شرعي، وأما وجوب الصدق فبدليل عقلي علىٰ أن دلالة المعجزة عقلية أو وضعي بناء علىٰ أن دلالتها وضعية، والصحيح أنه عادي بناء علىٰ أن دلالتها عادية؛ أي: مستندة للعادة الجارية بأن تلك معجزة علامة علىٰ الصدق. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١١٤) و«حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين» (ص٢٧٥) بتصرف.

(٢) (علمه) سقط من (ب).

(٣) قال الشيخ الدسوقي: والمراد الصدق في دعوىٰ الرسالة، وفي الأحكام التي يبلغونها عن الله، وأما الصدق في الكلام العرفي نحو: أكلت أو شربت أو قَدِم زيد أو مات عمرو، فهو من جزئيات الأمانة. انظر: «حاشية الدسوقي» (ص٢٧٥)

رجع عما جاراهم فيه يتبعونه في ذلك، ولهذا قال في الآخر: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] يعني لا تظنُّوا أني منكم لما جاريتكم لإلزام الحجة، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[الأنعام: ٨٣] الآية.

(وَ)الصفة الثانية: (**الأَمَانَةُ**) وهي: المحافظة علىٰ أوامر الله تعالىٰ القطعيَّة والظنيَّة ونواهيه القطعيَّة والظنيَّة[1]، ظاهراً وباطناً.

وأما ما ورد من الإخبارات القطعيَّة عن الأنبياء عليهم الصَّلاة السَّلام من وقوع الذنوب منهم والعصيان، فنطلق عليهم ذلك اللفظ الوارد بعينه؛ لئلا يلزم علينا تكذيب النصوص القطعيَّة، ونكل معرفة ذلك إلىٰ من ورد النص عنه، وهو الله تعالىٰ ورسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، ونزجر خواطرنا وأفهامنا عن وصف أحدٍ من الأنبياء، وكذلك الملائكة عليهم السَّلام بشيءٍ مما نفعله من الذنوب والمخالفات، ونعد الوارد من ذلك في الكتاب والسنَّة من جملة المتشابهات، فيكون المتشابه علىٰ قسمين:

متشابه في حق الله تعالىٰ، ومتشابه في حق المعصومين عليهم الصَّلاة والسَّلام.

والصفة الثالثة: (**تَبْلِيغُ**) أي: إيصال جميع (**مَا**) أي: الذي (**أُمِرُوا**) بالبناء للمجهول؛ أي: أمرهم الله تعالىٰ بواسطةٍ، أو بغير واسطة (**بتَبليغِهِ**) من الأحكام والأخبار والمواعظ والحكم (**للخَلْقِ**)؛أي: لأممهم المبعوثين إليهم[2].

---

(١) المراد بها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع في المكروهات والمحرمات سواء كانت المحرمات صغائر أو كبائر وسواء كانت تلك الصغائر صغائر خسة كسرقة لقمة وتطفيف كيل، أو صغائر غير خسة كنظر لامرأة أو لأمرد بشهوة، وسواء كانت قبل النبوة أو بعدها عمداً أو سهواً، اللهم إلا أن يترتب علىٰ وقوع المعصية تشريع فتقع سهواً. انظر: «حاشية الدسوقي» (ص٢٧٦).

(٢) وأما ما أمروا بكتمانه عن الخلق فيجب عليهم كتمانه، ويجوز لهم الكتمان والإفشاء فيما خيِّروا فيه، وإنما لم يذكر المصنف وجوب كتمان ما أمروا بكتمانه، لأنه داخلٌ في الأمانة، واعلم أن الصدق والأمانة واجبان للرسل والأنبياء، وأما التبليغ فخاصٌ بالرسل، لأن النبي فقط غير مأمورٍ بالتبليغ، نعم يجب عليه أن يخبر بأنه نبيٌّ ليحترم ويعظم. انظر: «طالع البشرىٰ» (ص١٢٦).

مطلب

[المستحيل في حقِّ الرسل عليهم الصلاة والسلام]

(ويَستَحيلُ) عقلاً، وهو ما لا يتصوَّر في العقل وجوده، كما مرَّ غير مرةٍ (في حَقِّهِم) أي: الرُّسل (عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَضدَادُ هَذه الصِّفَات) الثلاثة الواجبة لهم عليهم السَّلام (وهي) الأضداد المستحيلة ثلاثة أيضاً مرتبة على ترتيب الصِّفات الواجبة.

الأولى: (الكَذِبُ) ضدّ الصدق، وهو عدم المطابقة للواقع قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً وقدَّمنا الكلام على ذلك في الصدق.

والثانية: (الخِيَانَةُ) ضد الأمانة، وهي: عدم المحافظة على أوامر الله تعالى ونواهيه القطعيَّة والظنيَّة، ولهذا قال: (بِفعلِ شَيءٍ مِمَّا نُهُوا) بالبناء للمجهول؛ أي: نهى الله تعالى (عَنْهُ نَهْيَ تَحرِيمٍ) كالربا والزنا وشرب الخمر، وقتل النَّفس المحرَّمة، ونحو ذلك.

(أو) نهى عنه نهي (كَرَاهَةٍ) تحريميَّة إن ورد فيها نهي من الشَّارع كالالتفات بالوجه في الصَّلاة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إياك والالتفات في الصَّلاة، فإن الالتفات هلكة[(١)]».

أو تنزيهيَّة إن لم يرد فيها نهيٌ، وإنَّما اقتضت ترك سنةٍ، كترك التَّسبيحات في الركوع والسُّجود، ولم يرد عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنه فعل شيئاً من ذلك، إلاَّ أن المكروه تنزيهاً

ربما فعله عليه الصَّلاة والسَّلام تعليماً للجواز[(٢)]، كشرب الماء قائماً ونحوه، وتقدَّم الكلام على ما أشكل من الأخبار القطعيَّة الواردة في حقِّ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام الصَّريحة في اقتراف الذنوب والعصيان[(٣)]، والله وليُّ التَّوفيق إلى كمال الإيمان.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في أبواب السفر، باب: ما ذكر في الالتفات في الصلاة (٥٨٩).

(٢) المراد بالكراهة هنا ما يشمل خلاف الأولى ولا يرد على ذلك أنه ﷺ بال قائماً وتوضأ مرة مرة، وتوضأ مرتين مرتين، لأنه بال للتشريع ولبيان الجواز وذلك واجب في حقه ﷺ، وإنما المكروه المستحيل عليهم هو الذي لم يقع بقصد التشريع، فإنه لا يقع منهم، فالأمانة واجبة لهم والخيانة مستحيلة عليهم.

(٣) واعلم أنه لا فرق بين الصغيرة والكبيرة فلا تقع منهم صغيرة ولا كبيرة ولو سهواً قبل البعثة وبعدها، ولا =

والثالثة: (**كِتمَانُ شَيءٍ مِمَّا أُمِروا**) أي: أمرهم الله تعالىٰ (**بتَبْلِيغِهِ للخَلْقِ**) أي: لأممهم، وذلك ضد تبليغهم لجميع ذلك، فقد انحصرت الآن المحرمات في أمور معدودة، ورد بها الدليل القطعي الذي لا شبهة فيه، فلا يجوز الزيادة فيها لغير المجتهد ولا النقصان منها، كما انحصرت الفروض في أمور معلومة لا تقبل الزيادة ولا النقصان علىٰ مقتضىٰ المذاهب الأربعة التي تقرَّرت وتدوَّنت.

فمن تكلَّم من المقلدين القاصرين في حوادث الزمان كالقهوة والتتن[1] ونحوهما مما لا ضرر يظهر في استعماله، فأطلق لسانه فيه بتحريمه، فقد افترىٰ علىٰ الله الكذب؛ لأنه زاد في المحرمات القطعيَّة ما ليس فيها، وما ليس بقطعيٍّ ليس بمحرَّمٍ، وإنما هو مكروه إن تكلم فيه المجتهد الذي توفرت فيه شروط الاجتهاد ولا أظن أن أحداً في هذا الزمان الصعب يبلغ حد الاجتهاد، [ولئن بلغ ذلك أحد فلا يجب علىٰ الأمة تقليده فيما وصل إليه اجتهاده][2] من المحرمات الظنيَّة، ونحو ذلك والله أعلم.

= يقال: ما كان سهواً أو قبل البعثة ليس بمعصية، لأنا نقول هو صورة المعصية، وما ورد مما يوهم وقوع ذلك منهم يجب تأويله. انظر: «حاشية الباجوري» (ص٤٠)

(١) في (أ): الخطامي.

(٢) ما بين معكوفين سقط من (ج ـ د).

مطلب
[الجائز في حقِ الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(**ويَجوزُ**) أي: يمكن عقلاً، وهو ما يصح في العقل وجوده وعدمه (**في حَقِّهِم**) أي: في حقِّ الرُّسل (**عَلَيهمُ الصَّلاة والسَّلام مَا**) أي: الذي، أو شيء (**هوَ مِن الأَعرَاض**) جمع عرض بالتَّحريك، وهو ما لا بقاء له ولا قيام لنفسه من الأكوان.

وقوله: (**البَشَرِيَّة**) وصف للأعراض نسبةً إلىٰ البشر وهو الإنسان سمي بذلك، لأنَّه بادي البشرة، وهي ظاهر الجلد.

وقيل: لأنَّ الله تعالىٰ باشر خلقه،كما قال تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].

(**التي لاَ تُؤدِّي**) أي:توصل (**إلىَ نَقْصٍ**) ظاهراً أو باطناً (**في مَرَاتِبِهُم**) أي: الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام (**العَليَّة**) عن مراتب ما سواهم من المخلوقين؛ وذلك (**كالمَرَض**) المقتضي للألم والوجع الشَّديد، (**ونَحوَه**) من الجوع والعطش والشَّهوة والغضب والنَّوم والموت، وما أشبه ذلك، قال تعالىٰ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، فقد أثبت المثليَّة بينه عليه السَّلام وبيننا، ومعلوم أن المثليَّة تقتضي جميع ذلك ما عدا المنقصات لنا، فهي منقصات له عليه الصَّلاة والسَّلام بالأولىٰ، ولكنه تعالىٰ أوقع المغايرة بقوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

فالوحي هو المخصوص به عليه السَّلام، وهو كناية عن النبوَّة التي يفارقنا فيها بعد اجتماعه معنا عليه السَّلام في معنىٰ البشريَّة الكاملة.

وأما الأعراض البشريَّة المنقصة للبشر، كالعمىٰ، والزمانة، والجنون، والبرص، والجذام، والخرس، وما أشبه ذلك، فهي مستحيلة علىٰ الأنبياء عليهم السَّلام.

وأما ما وقع ليعقوب عليه السَّلام، فإنَّه لم يكن عمىٰ، وإنما هو غشاوة أصابته من كثرة

بكائه على يوسف عليه السَّلام؛ بدليل أنها زالت حين جاء البشير وألقى قميص يوسف عليه السَّلام على وجهه، ولو كان عمى لما زال بمقتضى العادة.

وأما ما وقع لأيوب عليه السَّلام، فلم يكن جذاماً، وإنما كان داء آخر شديد الألم، كثير الوجع، أجراه الله تعالى على بدنه فقط دون قلبه وسرِّه ابتلاءً له، ثم عافاه الله تعالى منه.

وما بالغت فيه القُصَّاص عنه عليه السَّلام من تساقط لحمه، وتهري بدنه حتى صار كالجيفة لا أصل له، بل ربما يكفر معتقده؛ لأنه يؤدي إلى احتقار الأنبياء واستنقاصهم عليهم الصَّلاة والسَّلام.

وأما العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السَّلام، فإنَّها ليست بخرس؛ وإنما هي حبسة من مسِّ النار حين وضع له فرعون تمرةً وجمرةً ليختبره في التَّمييز والإدراك لما قبض على لحية فرعون، فتناول الجمرة ووضعها في فمه، وترك التَّمرة حين كان صغيراً في حجر فرعون، ثم زالت عنه تلك العقدة بعد الإرسال، واستجيبت دعوته في قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧ـ٢٨].

وجميع ما ورد عن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مما ظاهره النقص في حقهم عليهم السَّلام، فهو كمال في مراتبهم، وشرفٌ في مقاماتهم عليهم السَّلام، ولكن خفي على أفهامنا إدراك حقيقة معناه، فتوهمناه نقصاً وليس بنقصٍ، وإنما النقص في استعداداتنا عن قبول معاني تلك الأسرار الإلهيَّة الظاهرة في مظاهر المحن والابتلاء، فسبحان من عصمهم عن النَّقائص الحسيَّة والعقليَّة ظاهراً وباطناً.

مطلب
[براهين ما يتعلق بالرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(**وأمَّا بُرهَانُ**) أي: دليل (**وُجُوبِ صدقِهِمْ**) أي: الأنبياء (**عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ**) في أقوالهم وأفعالهم واعتقادهم، (**فَلأَنَّهُمْ لَو لَمْ يَصْدُقُوا**) في أقوالهم وأفعالهم واعتقادهم (**لَلَزِمَ الكَذِبُ في خَبَرِهِ**) في جميع ذلك،[ويلزم ذلك ولو] كذبوا في شيءٍ منه، (**تعالى**) من وقوع ذلك لتصديقه سبحانه وتعالىٰ، والكذب في حق الله تعالىٰ محال؛ لأنَّه تعالىٰ هو الذي يخلق الخبر والمخبر عنه، والصدق والكذب، فلو أخبر تعالىٰ عن شيءٍ من الأشياء لم يكن ذلك الخبر إلاَّ صدقاً؛ لأنَّه لا خالق غيره سبحانه وتعالىٰ، (**لِتَصدِيقِهِ تَعالَى لَهُم**)؛ أي: للأنبياء عليهم السَّلام (**بالمُعجِزَة**) وهي: الأمر الخارق للعادة المقرون بالتَّحدي، ودعوىٰ النبوة حقيقة كالقرآن، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصا، ونبع الماء من أصابعهﷺ، ونحو ذلك[1].

(**النَّازِلَةِ**) وصف للمعجزة (**مَنزِلَةَ قولِهِ:**)؛ أي: قول الله (**تعالى**) لتلك الأمة التي بعثه الله تعالىٰ إليهم (**صَدَقَ عَبْدِي في كُلِّ**)، هذا الذي خلقت علىٰ يده هذا الأمر الخارق للعادة، الذي ليس بسحرٍ ولا استدراجٍ، لأني لا أخلقها إلا لكافر حالاً أو مآلاً، والعصمة تنافي ذلك وإن لم يطَّلع عليه المكلَّفون في كل (**مَا يُبَلِّغُ**) بالتحديد (**عَنّي**) لكم من الأحكام التي أوجبتها عليكم، أو نهيتكم عنها، ومن الأخبار والمواعظ والحكم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[النجم:٣]؛ أي:

---

(١) وأما ما يصدر عن النبي من الخوارق قبل الدعوىٰ، كشق الصدر، وإظلال الغمامة لهﷺ وتسليم الحجر عليه إلىٰ غير ذلك إرهاصٌ، قال سعد الدين التفتازاني: والقوم يعدون أمثال هذه معجزات علىٰ سبيل التَّشبيه والتَّغليب، والمحققون علىٰ أن الخوارق المتعلقة ببعثة نبيٍّ قبل بعثته ودعواه إن ظهرت منه وكان هو بمظنة البعثة، كما في نبينا ﷺ حيث أخبرت الكتب السماوية ببعثته، فإرهاصٌ وتأسيس لقاعدة البعثة، وإلا فكرامةٌ محضةٌ، وإن ظهرت من غيره، فإن كان من الأخيار فإرهاص بالنسبة إلىٰ النبيِّ، وكرامة بالنسبة إلىٰ من ظهرت علىٰ يديه، كخوارق مريم، وإلا فإرهاصٌ محضٌ، كظهور النور في جبين عبد الله. انظر: «شرح المقاصد» (٥/ ١٣) و«تحرير المطالب» (ص٢١٥)

عن هوىٰ نفسه؛ لأن نفسه بيد ربه، كما كان يقسمﷺ بقوله: «والذي نفسي بيده، إن هو إلا وحي يوحىٰ»، وما الذي ينطق به إلاَّ وحيٌ يوحيه الله تعالىٰ إليه، فهو يبلِّغ عن ربِّه جميع ما يلقيه إليه بواسطة الملك الأمين عليه السَّلام.

مطلب

[برهان وجوب الأمانة لهم عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(وأمّا بُرهَانُ وجُوبِ الأَمَانَةِ لَهم) أي: للأنبياء **(عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَلأَنَّهُم لَو خَانوا)** أي: لم يحافظوا على أوامر الله تعالى ونواهيه؛ بأن كانت خيانتهم **(بِفعلِ مُحَرَّم)** نهى الله تعالى عنه نهياً جازماً، **(أو)** فعل **(مَكرُوهٍ)** نهى الله تعالى عنه نهياً غير جازم **(لانقَلَبَ)** فعل ذلك **(المُحَرَّمُ أو المَكرُوهُ طَاعَةً)** يعبد الله تعالى بها **(في حَقِّهم[1])** وذلك **(لأَنَّ اللهَ تَعَالَى)** من وفور رحمته لنا، وتلطفه بنا قد **(أَمَرَنَا)** سبحانه وتعالى **(بالاِقْتِدَاءِ بِهِمْ)**؛ أي: بالأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام **(في)** ما لم يختصوا به من **(أَقوَالِهِم)** الفصيحة، **(وأَفعَالِهِم)**الصحيحة[2]؛ حيث قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى.

وعدم اتباعه فيما اختص به من الطَّاعة؛ لأنَّه إذا بيَّن الخصوصية، فقد أفادنا أن ذلك غير مطلوب منا فنطيعه فيه.

(وَلاَ يَأمُرُ اللهُ تَعالَى) عباده **(بمُحَرَّمٍ وَلاَ مَكرُوهٍ)** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف:٢٨]، فلو كانت الأنبياء عليهم السَّلام يفعلون المحرَّم أو المكروه، وقد أمرنا الله تعالى باتباعهم، للزم أن الله تعالى يأمر بالفحشاء وهو محال.

---

(١) في (ج ـ د): حقنا.

(٢) وتقريراتهم وسكوتهم على الفعل إذ لا يقرون على خطأ، ويستثنى من ذلك ما ثبتت خصوصيته بهم كنكاح ما زاد على الأربع، ويعلم من ذلك أنه ليس للمكلف منا أن يتوقف في فعل شيء مما ثبت عنه ﷺ لاحتمال الخصوصية، بل يتبعه في جميع أقواله وأفعاله إلا ما ثبت أنه من خصوصياته لإطلاق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

مطلب

[برهان وجوب كونهم قد بلغوا ما أمروا به]

(وَهَذَا بِعَينِهِ) أي:البرهانُ المذكور على وجوب الأمانة، وهو أنَّهم عليهم السَّلام لو خانوا في شيءٍ لانقلب طاعةً لنا؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم عليهم السَّلام في أقوالهم وأفعالهم والله تعالى لا يأمر بمحرَّمٍ ولا بمكروهٍ، **(هُوَ بُرهَانُ وجُوبِ، الثَّالِثِ)** وهو: تبليغ جميع ما أمروا بإبلاغه للخلق؛ لأنهم لو كتموا شيئاً من ذلك لما كلفنا بذلك الشيء، فينقلب فعل ذلك الشيء إن كان حراماً أو مكروهاً طاعةً، وتركه إن كان فرضاً أو مندوباً طاعةً في حقنا؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا باتباعهم على كل حال.

مطلب
[جواز الأعراض البشرية على الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام]

(وأمَّا دَليلُ جَوَازِ الأعرَاضِ البَشَرِيَّةِ[(١)]) المتقدّم ذكرها، ولم يقل برهان كما قال فيما سبق؛ لأنَّ هذه الأعراض البَشريَّة لم ينكرها على الأنبياء عليهم السَّلام أحد؛ بخلاف ما تقدم من الصِّفات الواجبة، والبرهان أقوى من الدَّليل؛ لأنه لا يكون إلا بالقطعي، والدليل قد يكون ظنياً فهو أعم من البرهان.

(عَلَيهِم) أي: على الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، (فَمشَاهَدَةُ) أي: رؤية (وقُوعِهَا) أي: الأعراض البشرية (بِهم) أي: بالأنبياء عليهم السَّلام، وذلك في حقِّ من كان في زمانهم. وأما نحن فالمشاهدة في حقنا العلم بالخبر المتواتر، ولا شكَّ أن الوقوع يستلزم الجواز استلزاماً أولاً من غير شبهةٍ، ثم استشعر بسائل يسأل عن حكمة وقوع الأعراض البشريَّة بالأنبياء عليهم السَّلام، مع أنهم من أكرم المخلوقين على الله تعالى؟

فأجاب عن ذلك بقوله: (إمَّا لِتَعظِيمِ أُجُورِهِم[(٢)]) بسبب صبرهم على مقاساتها ورضاهم بحكم الله تعالى عليهم بها (أو للتَّشرِيعِ) أي: تبيين أحكام الله تعالى، وذلك بسبب علمهم بمقتضيات البشريَّة، فلولا إدراكهم للبرد والحر والجوع والعطش والشهوة ونحو هذا، لما احتاجوا إلى لبس الثياب، وأكل الطعام، وشرب الماء، ونكاح النساء، وما أشبه ذلك،

---

(١) أل فيه للعهد، والمعهود ما تقدم وهي التي لا تؤدي إلى نقصٍ شرعاً، أما التي تؤدي إلى نقصٍ شرعاً كالمحرمات أو المكروهات أو عرفاً كالجذام والبرص ونحوهما من كل منفر، فممتنعة في حقهم، أما امتناع الأولى فدليله ما مر وهو دليل الأمانة؛ أي: العصمة، وأما امتناع الثانية فدليله أن فيها تنفيراً وذلك يخل بحكمة الرسالة وهي تبليغ الشرائع. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٢٠).

(٢) أي: تكثير الثواب باعتبار ما يطرأ على ظواهرهم من الآفات والتغيرات والآلام وتجرع كأس الحِمام، فقد مرض ﷺ واشتكى وأصابه الحر والبرد والجوع والعطش وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم من ذلك.

فكلنا نجهل أحكام هذه الأشياء والمقدار المباح منها، وتفوتنا فضيلة الاتِّباع زيادة على الامتثال للأوامر لو كانوا ملائكة لا يتعاطون مثل ذلك.

(**أو للتَّسَلِّي**)؛ أي: تسلِّي الأمة، وهو الاصطبار وعدم المبالاة (**عَنْ**) حصول أغراض النفوس في هذه الحياة (**الدُّنيَا**) لكونها مجرد تكاثرات زائلة، وتزخرفات باطلة.

قال الله تعالى: ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ** ﴾ [الحديد: ٢٠] الآية، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فلحوق نحو الجوع والعطش والمرض والألم بالأنبياء عليهم السَّلام، من الأشياء الغير الملائمة لأغراض النفوس البشريَّة.

فهو يسلِّي نفوس الأمة عن نيل أغراضهم في هذه الدنيا؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السَّلام مع أنهم أكرم الخلق على الله تعالى أدركهم ما لا يلائم أغراض نفوسهم، وقاسوا من التعلقات البشريَّة أشدَّ مما يقاسيه غيرهم منها؛ لمجاورتها فيهم أرواحاً كاملة، فيكثر المهم بما يضاددهم بخلاف غيرهم.

فلو قاسى ذلك آحاد الأمة كان لهم أسوة حسنة بهم، قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

(**وللتَّنبِيهِ**)؛ أي: ولتنبيه أممهم، واستيقاظ متابعيهم (**لِخِسَّةِ**) أي: رذالة وحقارة (**قَدْرِهَا**)؛ أي: قدر الدنيا، يقال: تنبَّه للأمر إذا استيقظ له ولم يغفل عنه.

والمراد بالدنيا هنا هذه المحسوسات والمعقولات التي يُقْصَد بها غير وجه الله تعالى، المدركة على خلاف ما هي عليه في بصائر المحققين من العارفين.

(**عِنْدَ الله تَعالَى**)، فإن الأنبياء عليهم السَّلام يعلمون ذلك، ولكن خلقهم الله تعالى مشتملين على ما لا يلائم[1] أغراض نفوسهم من الأعراض البشريَّة، لنعلم نحن أن الدنيا حقيرة القدر والشأن عند الله تعالى، فهي موضع المذلة والإهانة والابتلاء، والمصائب والمحن،

---

(١) في (ج ـ د): يلزم.

كبيت القاذورات والأنتان، فكلٌّ من دخله يتضرَّر به على مقدار ما هو فيه من الطيب والعطر والشَّرف والكمال، ولا يتنعم فيه إلاَّ الناقص القدر الخبيث، لعدم إدراكه خبث ذلك البيت وقذارته وكذلك الدنيا[١]، ولهذا ورد في الحديث: «أشدُّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل».

والتنبيه لأمرٍ آخر، وهو عبارة عن **(عَدَمِ رِضَاهُ)** أي: رضا الله تعالى **(بِهَا)** أي: بالدنيا **(دَارَ جَزَاءٍ لأنبيَائِهِ[٢] وأولِيَائِهِ)** أي: داراً يجازي بها أولياءه على طاعتهم وعباداتهم.

فلو جازى بها جميعها واحداً منهم لما وفت بجزائه؛ لأن أدنى أهل الجنة من له قدر الدنيا سبع مرات، كما ورد في الخبر.

والأولياء جمع وليٍّ، فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي تولى الله تعالى جميع أموره باطناً وظاهراً، فكان يتحرك بالله لا بنفسه، ويسكن بالله لا بنفسه على كل حال.

ومقام الولاية أوَّل مقامات النبوَّة، فكلُّ نبيٍّ وليٌّ ولا عكس، فمراده هنا بالأولياء ما يعم الأنبياء عليهم السَّلام **(باعتِبَارِ أحوَالهم)** أي: الأولياء **(فيهَا)** أي: في الدنيا **(عَليهِمُ الصَّلاة والسَّلام)** من مقاساة الأعراض البشـريَّة المخالفة لأغراض النفوس الإنسانيَّة كالمرض والألم والأذى من أممهم، ونحو ذلك.

---

(١) ليعلم أن الذم الوارد في الدنيا إنما هو الدنيا الشاغلة عن الله تعالى، وعليه يحمل قوله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً» أي: من التسبيح والتحميد والتهليل، رواه الترمذي في الزهد، باب: مثل الدنيا (٢٣٢٢).
أما الدنيا التي لم تشغل المؤمن فلا ذم فيها بل هي محمودة يحمل عليها قوله ﷺ: «لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن» ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٤٨٧).

(٢) هذه الكلمة سقط من (ج ـ د).

مطلب
[في كيفية اندراج معاني العقائد المتقدمة في الشهادتين]

ثم لما فرغ من بيان الصِّفات الواجبة في حق الله تعالىٰ، والصِّفات الجائزة، والصِّفات المستحيلة ذكر البراهين علىٰ جميع ذلك، وفرغ من ذلك كله مفصَّلاً له تفصيلاً حسناً، شرع في بيان إجمال ذلك كله في كلمتي الشهادة؛ ليسهل علىٰ كل مؤمن استحضار ذلك.

فقال: (**وَيَجمَعُ مَعَانِي هَذِهِ العَقَائِد**) جمع عقيدة، وهي: ما يعقد عليه القلب؛ أي: يربط من الأحكام التوحيديَّة، والمسائل الإيمانيَّة (**كُلِّهَا**) أي: جميعها (**قَولُ**) المؤمن بلسانه، أو بقلبه (**لاَ إِلَه**) أي: لا معبود بحقٍ في السموات والأرض، وما بينهما (**إلاَّ**) الإله الذي صنع العالم كلَّه المسمَّىٰ في اللسان العربي (**الله**) وهو: اسم للذَّات العليَّة، لا بملاحظة صفةٍ من صفاته بخلاف بقيَّة أسمائه تعالىٰ، ولهذا كان هو الاسم الأعظم.

(**مُحَمَّدٌ**) وهو: ابن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم القرشي العدناني، الذي ولد في مكة، ثم هاجر إلىٰ المدينة ومات بها ﷺ، وهو مدفون فيها الآن قبره ثابت بالتَّواتر يُكفَر مُنكِرهُ، بخلاف سائر الأنبياء عليهم السَّلام فإنَّ قبورهم مظنونة.

(**رَسُولُ**) أي: نبي (**الله**) أرسله الله تعالىٰ إلىٰ جميع المخلوقات الإنس والجنِّ والحيوان والنَّبات والجماد والملائكة، ولهذا نطق له الضَّب بالرسالة، وكلمته الغزالة، وجاءت لدعوته الأشجار، وسلمت عليه الأحجار.

مطلب

[معنى الألوهية]

ثم شرع في بيان جمعية هذه الكلمة لجميع العقائد، فقال: (**إذ مَعنَىَ الأُلُوهِيَّةِ**) الحقة[١] دون الباطلة بحسب موضوع اللغة العربية (**استغناء الإله**) أي: المعبود مع قطع النَّظر عن عبادته بحقٍ أو باطلٍ، فلا دور في الكلام.

(**عَنْ كُلِّ مَا**) أيِّ: شيءٍ، أو الذي (**سِوَاهُ**) أي: غيره من جميع الكائنات العلويَّة والسفليَّة على الإطلاق (**وافْتِقَارُ**) أي: احتياج (**كُلِّ مَا عَدَاهُ**) أي: غيره مما ذكر (**إلَيهِ**) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وإذا ثبت الفقر والاحتياج إلى صاحب الجمعيَّة الكليَّة وهم الناس، ثبت ذلك لبقيَّة العالم، وانفرد مولانا ﷻ بالغنى المطلق على الدَّوام.

وإذا علمت ذلك (**فَمَعْنَىَ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله**) وعلى هذا التفسير المذكور للألوهيَّة (**لاَ**) أحد من الموجودات العلويَّة أو السفليَّة المجردة عن البشريَّة أو المتصفة[٢] بها (**مُستَغني**) أي: مكتفياً بنفسه (**عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ**) من بقيَّة الموجودات (**و**) لا أحد منها أيضاً (**مُفتَقِرَاً**) أي: محتاجاً (**إلَيهِ كُلُّ مَا عَدَاه**) مما ذكرنا (**إلاَّ الله تَعالَى**) الذي هو خالق الموجودات كلها الذي لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء مطلقاً[٣].

---

(١) في (أ ـ ج): الحقية.

(٢) في (ب ـ د): المتعلقة.

(٣) قال ابن عطاء في كتابه «القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد»: وأصل لا إله إلا الله هو إثبات اسم الألوهية وإخلاص إفراده ونفي ما سواه، وتنزيهه عن أضداده وأنداده، وهي دائرة بين النفي السالب لجميع صفات الحدوث والنقص والعدم، والإثبات الموجب لجميع صفات التنزيه والكمال والقدم، فمن نظر إلى وجود الحق بعين القدم ونظر إلى ما سواه بعين الحدوث والعدم فقد شاهد أزليته، وقال: ما رأيت شيء إلا رأيت الله قبله، ومن نظر إليه بعين البقاء، ولخلقه بعين الفناء، فقد شاهد سر أزليته،وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده، ومن نظر إليه بعين العلم والقدرة، وللخلق بعين الجهل والعجز، فقد شاهد فعله وإحاطته، وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه.

مطلب
[استغناء الله عن كل ما سواه]

(**أمَّا استِغنَاؤُهُ**) أي: الله (**عزَّ وَجَلَّ عَن كُلِّ مَا سِوَاه**[(١)]) من جميع الموجودات على الإطلاق (**فَهُوَ**) أي: ذلك الاستغناء (**يُوجِبُ**) وجوباً عقلياً، وقد تقدَّم بيانه (**لَهُ**) أي: لله (**تَعالَى**) ست صفاتٍ ترجع إلى ثمانية من العشرين السابق ذكرها.

فالأولى منها: (**الوجُودَ و**)الثانية: (**القِدَمَ و**)الثالثة: (**البَقَاءَ و**)الرابعة: (**المخَالَفَةَ للِحَوَادِثِ و**)الخامسة: (**القِيَامَ بالنَّفسِ و**) السادسة: (**التَّنَزُّه**) أي: التباعد (**عَنْ النَّقَائِصِ**) جمع نقيصة، (**ويدخُلُ في ذلِكَ**) أي: في التَّنَزُّه عن النَّقائص ثلاثة صفات:

الأولى: (**وجُوُبُ السَّمعِ لَهُ**) أي: لله تعالى، (وَ) الثانية: (**البَصَـر**) له تعالى، (وَ) الثالثة: وجوب (**الكَلاَمِ**) له تعالى، وقد تقدَّم الكلام على هذه الصِّفات الثمانية مفصلاً.

(**إذ**) تعليليَّة؛ يعني: لأنه (**لَو لَمْ تَجِبْ**) وجوباً عقلياً؛ أي: لله تعالى (**لَهُ تَعالَى هذه الصِّفَات**) الثمانية المذكورة (**لَكَانَ**) الله سبحانه وتعالى (**مُحتَاجاً إلَى المُحدِثِ**) أي: الموجد، وذلك لو لم يجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث؛ لأنَّه حينئذٍ يكون معدوماً أو حادثاً أو زائلاً أو موافقاً لشيء من الحوادث، فيحتاج إلى من يوجده، أو يحدثه، أو يزيله أو يخلقه، وكل ذلك محال عليه تعالى.

---

(١) قال الشيخ عبد الله حجازي الشرقاوي: إنما قدم الاستغناء على الافتقار، لأن الأول وصفه تعالى، والثاني وصف فعله، والسر في تعبيره تارة بيوجب وتارة بيؤخذ أن العقيدة إن كانت من قبيل الواجب يعبر فيها بيوجب تنبيهاً على وجوبها وعلى أن ضدها مستحيل، وإن كانت من قبيل الجائز يعبر فيها بيؤخذ غير مقيد بالوجوب، فإن قلت: إن عقيدة الوجود تؤخذ من الكلمة المشرفة، إذ التقدير: لا إله في الوجود أو موجود إلا الله، فيؤخذ من الاستثناء مطلق من الضمير في الخبر أنه موجود، فما المحوج إلى أخذه من الاستغناء؟ قلت: المأخوذ من الاستثناء مطلق الوجود، والمأخوذ من الاستغناء وجوبه لله تعالى. انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٢٣).

(**أو**) محتاجاً إلى (**المَحَلِّ**) أي: الذَّات التي يحُلّ بها كما سبق بيانه، وذلك لو لم يجب له تعالى القيام بالنفس، فيكون سبحانه وتعالى حينئذٍ حالاً في شيءٍ من الكائنات، والحالُّ في ذلك الشيء يحتاج إلى ذلك الشيء مفتقراً إليه، والله غنيٌّ عن العالمين.

(**أو**) محتاجاً إلى (**مَنْ**) أي: إلى أحدٍ، أو الذي (**يَدفَعُ**)؛ أي: يزيل (**عَنهُ تَعالَى النَّقَائِص**)، وذلك لو لم يكن سبحانه وتعالى منزَّهاً عن النَّقائص؛ لأنه حينئذٍ يكون ناقصاً، ولو من وجه ما، والنَّاقص محتاج مفتقرٌ إلى من يكمله، والله غنيٌّ حميد.

(**وَيُؤخَذُ مِنهُ**) أي: من استغنائه تعالى عن كل ما سواه، كما ذكرنا أيضاً (**تَنَزُّهُهُ**)؛ أي: تنزيه الله (**تَعالَى عَن**) جميع (**الأَغرَاضِ**[1]) جمع غرض، بالغين المعجمة، وهو الباعث على فعل الشيء أو تركه من جلب نفعٍ، أو دفع ضرٍّ حالاً أو مآلاً، وذلك (**في**) جميع (**أَفعَالِهِ**) تعالى، على اختلاف أجناسها وأنواعها، (**و**) جميع (**أَحكَامِهِ**) كذلك، (**وإلاَّ**) أي: وإن لم يكن سبحانه وتعالى متنزِّهاً عن جميع الأغراض في كل فعل من أفعاله، وكل حكمٍ من أحكامه (**لَزِمَ**) من ذلك (**افتِقَارُه**) أي: الله سبحانه وتعالى (**إلَى مَا**) أي: إلى ذلك الشيء الذي (**يُحَصِّل**) بالتشديد؛ أي: يوجد (**غَرَضَهُ**) تعالى، و(**كَيفَ**) يتصوَّر ذلك (**وَهوَ**) أي: الله جَلَّ جَلاله (**الغَنِيِّ**) أي: المكتفي بذاته العليَّة (**عَنْ كُلِّ مَا سِوَاه**) من جميع العوالم، وكذلك يتنزَّه تعالى عن العبث في أفعاله وأحكامه أيضاً، وإلاَّ لكانت بعض أفعال خلقه أكمل من أفعاله.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

والحاصل: أن أفعاله تعالى وأحكامه لا تشبه أفعال الخلق ولا أحكامهم؛ [لأن أفعال

---

(١) استفيد من قول المصنف: ويؤخذ منه تنزهه تعالى عن الأغراض إلى هنا عقيدتان: تنزهه تعالى عن الأغراض وعدم وجوب شيء عليه من الممكنات فعلاً أو تركاً، وستأتي في كلامه عقيدةٌ أخرى تؤخذ أيضاً من استغنائه تعالى عن كل ما سواه وهي نفي كون الشيء مؤثراً بقوةٍ أودعها الله فيه، فإذا ضمت هذه الثلاث إلى الإحدى عشرة المتقدمة صارت أربع عشرة، وأضدادها أربعة عشر مثلها، فالجملة ثمانٍ وعشرون عقيدة، كلها مأخوذةٌ من استغنائه تبارك وتعالى عن كل ما سواه. انظر: «طالع البشرى» (ص١٦٤).

الخلق وأحكامهم][1] دائرة بين الغرض والعبث، والغرض أكمل فيها من العبث، وأفعاله تعالىٰ وأحكامه لا لغرض ولا عبث، بل هي جارية علىٰ مقتضىٰ الحكمة في الدَّارين.

(**وَكَذَا يُؤْخَذُ مِنْهُ**) أي: من استغنائه تعالىٰ عن كل ما سواه (**أَيضاً**) أي: كما أخذ منه فيما سبق (**أَنَّهُ**) أي: الشأن (**لاَ يَجِبُ**) وجوباً عقلياً (**عَلَيهِ**)؛ أي: علىٰ الله (**تَعالَىٰ فِعلُ**) أي: إيجادُ أو إعدامُ (**شَيءٍ مَنْ**) الأشياء (**الْمُمكِنَاتِ**) كالأجرام، والأعراض،والأرواح، والأجزية[2] الدنيوية والأخرويَّة ونحو ذلك.

(**وَلاَ**) يجب عليه تعالىٰ أيضاً (**تَركُهُ**) أي: ترك ذلك الإيجاد أو الإعدام، وهذا كله مع قطع النَّظر عن تعلق علمه تعالىٰ وقدرته وإرادته بما عَلِمَه تعالىٰ وأراده من الكائنات الموجودة والتي ستوجد؛ فإنه يجب فعله، وما علم أنه لا يوجد أبداً؛ فإنه يجب تركه، وإلاَّ لانقلب العلم جهلاً، والقدرة عجزاً، والإرادة كرهاً وقهراً، وذلك محال.

ثم شرع في عدم وجوب ذلك بالنسبة إلىٰ نفسه تعالىٰ فقال:(**إِذْ لَو وَجَبَ عَلَيه**) أي: علىٰ الله (**تَعَالَىٰ شَيءٌ مِنهَا**) أي: من الكائنات (**عَقلاً**) أي: بالنسبة إلىٰ نظر العقل في نفس ذلك الشيء مع قطع النَّظر عن ذلك التَّعلق المذكور (**كَالثَوَاب**) الذي أعدَّه الله تعالىٰ للطَّائعين في يوم القيامة (**مَثَلاً**) أي: أمثِّل مثلاً، وكذلك العقاب الذي أعده الله تعالىٰ للكافرين والعصاة يوم القيامة؛ فإن جميع ذلك جائز لا واجب علىٰ الله تعالىٰ ولا مستحيل عليه، وهذا كله مع قطع النَّظر عن التَّعلّق المذكور، وعن الأخبار الإلهية بوقوع ذلك، وإلاَّ فهو واجب لا يتصوَّر في العقل عدمه؛ لئلاَّ يلزم ما ذكرنا، ويلزم تكذيب الخبر الإلهي، وذلك محال.

(**لَكانَ**) الله (**تَعالَىٰ مُفتَقِراً**) أي: محتاجاً (**إلَىٰ ذلِكَ الشَّيءِ**) الذي وجب عليه (**لِيَتَكَمَّلَ بِهِ**) إذ الكمال في عمل الواجب عليه، والنقصان في ترك ذلك [به غرضه؛ أي: الله تعالىٰ][3]؛ (**إذ لاَ يَجِبُ فِي حَقِّهِ**) أي: الله (**تَعالَىٰ، إلاَّ مَا**) أيّ: شيءٌ، أو الذي (**هُوَ كَمَالٌ لَهُ**) تعالىٰ؛ لأنَّه

---

(١) ما بين معكوفين سقط من (د).

(٢) في (ج): الأجزئة، وفي (د): الجزائية.

(٣) ما بين معكوفين سقط من (ب ـ ج ـ د).

تعالىٰ بعيدٌ عن النَّقائص منزَّه عنها؛ لأنَّها تقتضـي الاحتياج، وتستلزم الافتقار، وذلك محال علىٰ الله تعالىٰ.

(كَيْفَ) يقال: بأنَّه مفتقرٌ إلىٰ شيءٍ من الأشياء ليتكمَّل به **(وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الغَنيُّ)** بالذَّات **عَن كُلِّ مَا سِوَاه)** من جميع الكائنات.

وأما افتقار القدرة إلىٰ مقدور، والإرادة إلىٰ مراد، والعلم إلىٰ معلوم، ونحو ذلك، فهو افتقار واجب إلىٰ واجب كما قدَّمنا؛ لأنَّ مقدوراته تعالىٰ ومراداته ومعلوماته جميعها واجبة بالنسبة إلىٰ تعلّق صفاته تعالىٰ بها، فلا يتصور في العقل عدمها، وأما بالنسبة إلىٰ نفسها، فلا تخرج عن الإمكان.

مطلب
[افتقار كل ما سوى الله عزَّ وجلَّ إليه]

(**وَأَمَّا افتقَارُ**) أي: احتياج (**كُلِّ مَا سِوَاه**[1]) أي: سوىٰ الله عزَّ وجلَّ (**إِلَيْهِ**) أي: إلىٰ الله تعالىٰ (**فَهوَ يُوجِبُ**) وجوباً عقلياً (**لَهُ تَعالَى**) خمس صفات:

الأولىٰ: (**الحَيَاةَ**)، والثانية: (**عُمُومَ القُدرَةِ**) أي: علىٰ كلِّ شيء ممكن علىٰ الإطلاق، وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك.

والثالثة: عموم (**الإِرَادَةِ**) كذلك.

والرابعة: عموم (**العِلم**) ثم ذكر الدليل علىٰ ذلك فقال: (**إِذْ لَو انتَفَى**) عنه تعالىٰ (**شَيءٌ مِن هَذهِ**) الصِّفَات الأربعة (**لَمَا أَمكَنَ أَنْ يُوجِدَ**)من العدم سبحانه وتعالىٰ(**شَيئاً**) من الأشياء الحوادث الحقيرة، أو العظيمة.

(**فَلاَ يَفتَقِرُ**) أي: يحتاج حينئذ (**إِلَيهِ**) سبحانه وتعالىٰ (**شَيءٌ**) من الأشياء مطلقاً، و(**كَيفَ**) يقال: بأنه لا يفتقر إليه شيء (**وَهُوَ الذي يَفتَقِرُ إليه**) تعالىٰ (**كُلُّ مَا سِوَاهُ**[2]) علىٰ العموم.

(و)الصفة الخامسة: أن افتقار كل ما سواه إليه (**يُوجِبُ**) وجوباً عقلياً (**أيضاً لَهُ**) أي: لله (**تعالى: الوَحدانيَّة**) ثم أشار إلىٰ الدليل علىٰ ذلك فقال: (**إذ لَو كَانَ**) أي: وجد (**مَعَهُ**) أي: مع الله تعالىٰ (**ثَانٍ**) أو ثالث أو أكثر، واقتصر علىٰ الثاني؛ لأنه أدنىٰ العدد، وذلك الثاني يشاركه تعالىٰ (**فِي**) صفة (**الأُلوهيَّة**) فيقدر كما يقدر تعالىٰ، ويريد كما يريد، ويعلم كما يعلم، ونحو ذلك (**لَمَا افتَقَرَ إِليهِ**) تعالىٰ (**شَيءٌ**) من الأشياء (**لِلُزُومِ عَجزهُمَا**)، أي: الله تعالىٰ والإله الثاني،

---

(١) في (ب): ما عداه.

(٢) في (ب): (ما عداه).

المفروض مشاركته لله تعالىٰ في صفة الألوهية (**حينئذٍ**) أي: حين إذ نفرض وجود ذلك مع الله تعالىٰ، وبيان العجز أن الإلهين الاثنين إما أن يقدر أحدهما علىٰ إعدام الآخر، أو لا يقدر؟

فإن قدر أحدهما علىٰ إعدام الآخر كان الآخر عاجزاً عن دفع الإعدام عن نفسه، وإن لم يقدر أحدهما علىٰ إعدام الآخر ثبت العجز لعدم القدرة كما سبق.

فالعجز ثابت لأحدهما علىٰ كل حال، والعاجز لا يفتقر إليه شيء قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، يعني: السموات والأرض.

وتقديره: فما فسدتا، فينتج أنه ليس فيها آلهة إلا الله، والفساد: هو الفناء والزوال؛ وذلك مرتَّب علىٰ وجود شريك مع الله تعالىٰ يقدر علىٰ إعدام السموات والأرض اللتين خلقهما الله تعالىٰ، فيلزم العجز في حق الله تعالىٰ؛ حيث لم يقدر تعالىٰ علىٰ منعه عن إعدامهما أو لا يقدر ذلك الشريك علىٰ إعدامهما، فلا يكون شريكاً؛ لأنه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً، و (**كَيفَ**) يقال: بأنه تعالىٰ لا يفتقر إليه شيء (**وَهُوَ**) سبحانه وتعالىٰ جلَّ وعلا (**الذي يَفتَقِرُ إِلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ**) عموماً.

(**وَيُؤخَذ مِنهُ**) أي: من افتقار كل ما سواه إليه تعالىٰ (**أَيضاً حُدُوث العَالَم**) من العدم (**بأَسرِهِ**) أي: جميعه، والعالم ما سوىٰ الله تعالىٰ من العقول والأرواح والنفوس والأجسام والجواهر الفردة[1].

---

(١) الجوهر: هو ما يقوم بذاته، أي: لا يحتاج في وجوده إلىٰ شيء آخر يقوم فيه، كالأجسام، والأرواح وكل ما له وجود مستقل قائم بنفسه. وقال السيد الشريف الجرجاني: الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة: هيولىٰ، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل؛ لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد... واعلم أن الجوهر ينقسم إلىٰ بسيط روحاني، كالعقول والنفوس المجردة، وإلىٰ بسيط جسماني كالعناصر، وإلىٰ مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، وإلىٰ مركب منهما كالمولدات الثلاث.

وعلىٰ كلام العلامة الجرجاني فالجوهر قسمان:

القسم الأول: الجوهر الفرد، وهو الموجود الذي لا يقبل التجزئة لا في الواقع، ولا في التصور وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ. **والقسم الثاني**: الجسم وهو الموجود المركب من جوهرين فردين فأكثر، ويقبل التجزئة ولو في التصور. انظر: «التعريفات» (ص ١٠٩) و«ضوابط المعرفة» (ص ٣٣٩).

والأعراض[١] على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها، ثم ذكر دليل الحدوث فقال: **(إذ لَو كَانَ شَيءٌ مِنهُ)** أي: من العالم **(قَدِيماً)** كما تزعم الدَّهرية قدم الدَّهر، والفلاسفة قدم مادة العالم، ويسمونها الهيولية[٢] وما به امتياز بعض العالم عن بعض، ويسمونه الصورة النوعيَّة، إلاَّ أفلاطون[٣] منهم، فإنه يقول بالحدوث.

(لَكَانَ ذَلِكَ الشَيء مُستَغنِيَاً عنه) أي: عن الله **(تَعالىَ، وَكَيفَ)** يقال: بأنَّ شيئاً من العالم مستغنٍ عن الله تعالى، **(وَهوَ)** تعالى **(الذي يَجِبُ)** وجوباً عقلياً بحيث يمتنع في العقل عدمه **(أن يَفتَقِرَ إِلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ[٤])** وإلاَّ لوجد أثر من غير مؤثر، أو أثَّر الشيء في نفسه، أو وجد مع الله تعالى إله آخر، وكل ذلك محال.

(وَيُؤخَذُ مِنهُ) أي: من افتقار كل ما سواه إليه تعالى **(أَيضَاً أَن لاَ تَأثِيرَ)** أي: إثبات أثرٍ والأثر إما إيجاد شيءٍ، أو إعدام شيءٍ، منسوب ذلك التَّأثير **(لِشَيءٍ)** عظيمٍ أو حقيرٍ **(مِنَ)** جملة **(الكَائِنَاتِ)** على العموم **(في أَثَرٍ مَا)** أي: أثر هو شيء من الأشياء، ولو تحريك جناح

---

(١) هو ما يقوم بغيره؛ أي: لا يوجد إلا صفة من صفات الجوهر، وتابعاً وجوده لوجوده، كالألوان، وهيئات الأجسام وأوضاعها، والحركة والسكون، لذلك قال أبو منصور البغدادي: والأعراض هي الصفات القائمة بالجواهر من الحركة والسكون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. انظر: «أصول الدين» (ص٣٣).

(٢) الهيولية: كلمة يونانية تعني الأصل أو المادة، وهي واحدة في جميع الأشياء في الجماد، والنبات، والحيوان، وإنما تتباين الكائنات في الصور فقط، فالهيولى في ذاته لا صورة له ولا صفة، لذلك يحتاج إلى الصورة لكي تجعله يظهر وتتحدد معالمه.

(٣) هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو قليس من أثينا، وهو آخر المتقدمين من الفلاسفة الأوائل، معروف بالتوحيد والحكمة تتلمذ على سقراط ولما مات الأخير قام مقامه، وقد أخذ العلم من سقراط وطيماس، وضم إليه العلوم الطبيعية والرياضيات، من مؤلفاته: «كتاب الجمهورية والمحاورات والشرائع». انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٨٤).

(٤) ذكر المؤلف هنا عقيدة حدوث العالم بأسره مع أنه لم يعُدَّها من العقائد السابقة، لأن اعتقاد قدم العالم أو قدم شيءٍ منه كفرٌ، فاعتنى الشيخ بذكر أخذ حدوثه من كلمة التوحيد ليعتقد المكلف حدوثه بأسره للدليل الذي ذكره. انظر: «طالع البشرى» (ص١٤٨).

بعوضة أو تسكينه؛ إذا لم يأذن الله به، فيكون هو سبحانه وتعالىٰ المحرِّك والمسكِّن وحده **(وإلاَّ)** أي: وإن لم يكن لا تأثير لشيءٍ من الكائنات في أثر ما **(لَزِمَ)** من ذلك **(أَن يَستَغنِيَ ذَلِكَ الأَثَرُ)** الذي أثَّر فيه الشيء من الكائنات **(عَنْ مَولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ)**؛ حيث افتقر إلىٰ ذلك الشيء الذي أثَّر فيه[1].

(وَكَيفَ) يقال: بأن شيئاً من الكائنات يستغني عن الله تعالىٰ **(وَهوَ)** سبحانه وتعالىٰ **(الذي يَفتَقِرُ إِلَيهِ كُلُّ مَا سِوَاه عُمُومَاً)** في كل شيء من الأشياء العلويَّة والسفليَّة **(وَعلَى كُلِّ حَال[2])** من الأحوال الموجبة للقوَّة، والموجبة للضعف في جميع الكائنات.

ثم أخذ يبين ما ذكره من فرض تأثير شيء من الكائنات في أثرٍ ما، فقال: **(هَذَا)**؛ أي: يلزم هذا، يعني: أن يستغني ذلك الأثر الذي أثَّر[فيه] شيء من الكائنات في أثرٍ ما فقال: **(إِنْ قَدَّرتَ)** أنت أيها المكلَّف **(أَنَّ شيئاً من الكائنات يؤثرّ بطبعه)** كما تزعمه الطبائعيون من الحكماء، فيقولون: بتأثير الطبائع الأربعة التي هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وهو كفرٌ لا محالة.

(وَأَمَّا إِنْ قَدَّرتَهُ) أي: ذلك الشيء من الكائنات **(مُؤَثِّراً بِقوَّةٍ)** حادثةٍ **(جَعَلَهَا اللهُ)** تعالىٰ **(فيه)** أي: في ذلك الشيء **(كَمَا يَزعُمُهُ كَثيرٌ مِنَ الجَهَلَةِ)** بمعرفة العقائد الصحيحة، فيقولون: إن الله تعالىٰ خلق السكين مثلاً، وخلق فيها قوَّة علىٰ القطع، فهي تؤثر فيما قطعته بتلك القوة التي جعلها الله تعالىٰ فيها، وكذلك النَّار فيها قوة علىٰ الإحراق، والطعام فيه قوة علىٰ

---

(١) وبهذا يبطل مذهب القدرية القائلين: بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال الاختيارية مباشرةً، مثل: ضرب شخصٍ أو تولداً، مثل: الألم الذي يحصل بالضرب، ويبطل مذهب الفلاسفة القائلين: بتأثير الأفلاك والعلل، ويبطل مذهب الطبائعيين القائلين: بتأثير الطبائع والأمزجة وغيرهما، ككون الطعام يشبع والماء يروي والنار تحرق ونحو ذلك وعند أهل السنة الكل بخلق الله تعالىٰ.انظر: «حاشية الشرقاوي» (ص١٢٨) و«شرح العقيدة الصغرىٰ» للسنوسي (ص١٢٣).

(٢) قال الشيخ الباجوري:لم يتعرض المصنف لذلك في شرحه، لكنه سئل عن ذلك فقيل له: ما أردت بقولك عموماً وعلىٰ كل حال؟ فقال: عموماً في جميع الذوات، وعلىٰ كل حال في جميع الصفات. انظر: «حاشية الباجوري»(ص٥٠)

الإشباع، والماء فيه قوة على الارتواء، والثَّوب فيه قوة على الستر، ونحو ذلك من الأسباب العادية، وينسبون التَّأثير إلى قوة حادثة في هذه الأشياء، وينسون خالق الأصل والفرع[١].

(**فَذَلِكَ**) الزَّعم (**مُحَالٌ أَيضاً**) لا يُتصوَّر في العقل وجوده؛ (**لأَنَّه**) أي: الشَّأن (**يَصيرُ حينَئِذٍ**) أي: حين إذا نسب التَّأثير إلى تلك القوَّة التي جعلها الله تعالى في ذلك الشيء (**مَولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ**) خالق ذلك الشيء، وغيره (**مُفتَقِرَاً**) أي: محتاجاً (**في إِيجَادِ بَعضِ الأَفعَال**) وهي الآثار الصَّادرة عن تلك القُوى المجعولة في تلك الأشياء (**إِلَى وَاسِطَةٍ**) وهي تلك القوة، فإذا أراد الله تعالى خلق القطع على هذا الزَّعم الفاسد، يحرِّك يد القاطع للقطع حتى تخلق تلك القوة المجعولة في السِّكين؛ لذلك القطع مثلاً، فيكون الله تعالى خلق القطع مثلاً، ولكن بواسطة القوَّة المؤثرة الكامنة في السِّكين، (**وَذَلِكَ**) أي: افتقار الله تعالى في إيجاد بعض الأفعال إلى واسطةٍ كما ذكرنا (**بَاطِلٌ لِمَا عَرَفتَ**) فيما تقدَّم (**مِن وجُوبِ استغنَائِهِ**) أي: الله (**جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاه**) على العموم.

(**فَقَد بَانَ**) أي: ظهر واتضح (**لَكَ تَضمُّنُ قَولِ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ للأَقسَامِ الثَّلاَثَةِ التي يَجِبُ**)؛ أي: يفترض فرضاً عينيّاً (**عَلَى المُكَلَّفِ**) وهو العاقل البالغ كما تقدَّم (**مَعرِفَتُهَا في حَقِّ مَولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ**) وهي، أي: تلك الأقسام الثلاثة:

الأولى منها: (**مَا يَجِبُ**) وجوباً عقلياً له،(**في حَقِّهِ**) أي: الله (**تَعالَى**) وذكر هنا من ذلك فيما تضمَّنته كلمة الشهادة ثمانية صفاتٍ، ثم خمس صفاتٍ، ولم يذكر السبعة المعنويَّة بقيَّة العشرين؛ لأنها لازمة للسبع المعاني، فهي هنا مندرجة فيها.

(**وَ**)الثاني: (**مَا يَستَحِيلُ**) في حقِّه تعالى، وذلك أضداد الصِّفات العشرين الواجبة، وقد علم ذلك من قوله فيما سبق، والتنزّه عن النَّقائص.

(**وَ**)الثالثة: (**مَا يجوزُ**) في حَقِّه تعالى، وقد علم ذلك من قوله: لا يجب عليه تعالى فعل شيءٍ من الممكنات ولا تركه، كما مرَّ.

---

(١) إن قدرت أن شيئاً من الكائنات يؤثر بطبعه، أي: يحققه بذاته، فإن بطلان هذا إنما يؤخذ من الافتقار، وأما إن قدرته مؤثراً بقوة جعلها الله تعالى فيه، فإنما يؤخذ بطلان هذا من الاستغناء.

مطلب

[ما تتضمنه كلمة محمَّدٌ رسول الله من عقائد]

(**وَأَمَّا قَولُنَا**:):معشر المسلمين بألسنتنا و بقلوبنا (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**) بعد كلمة الشهادة المذكورة، (**فَيَدخُلُ فيهِ**) أي: في هذا القول(**الإِيمَانُ**) أي: التَّصديق القلبيُّ، والإقرار اللساني (**بِسَائرِ**) أي: بباقي من السؤر، وهو بقيَّة الشيء.

(**الأَنبيَاءِ**) وهم المرسلون، أو أعمّ منهم كما تقدَّم، (**وَ**)جميع (**المَلاَئِكَةِ**) جمع ملك، بالفتح وهم أرواح منفوخة في أجسام نوريَّة مجردة عن الصور قابلة للظهور في أيِّ صورةٍ شاءت، وهم ثلاثة أقسام: مجرَّدون، ومسخَّرون، ومدبِّرون، وليس هذا موضع استيفاء أقسامهم وبيان أنواعهم، ويكفي الإيمان بهم إجمالاً.

(**عَلَيهِم**)؛ أي: على الأنبياء والملائكة (**الصَّلاَةُ**) من الله تعالى (**وَالسَّلاَم**) منه تعالى أيضاً.

(**وَ**)كذلك الإيمان بجميع (**الكُتُبِ**) جمع كتاب، بمعنى مكتوب (**السَّمَاوِيَّة**) أي: المنسوبة إلى السماء، والمراد: المنزَّلة على قلوب الأنبياء عليهم السلام بواسطة الرُّوح الأمين احترازاً عن الكتب الأرضيَّة، وهي كتب الأفكار البشرية والخطرات النفسانيَّة، فهي كتب غير محفوظة من الوساوس الرديَّة.

والكتب السَّماويَّة كثيرة منها: الكتب الأربعة: كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة، وكتاب داود عليه السلام وهو الزَّبور، وكتاب عيسى عليه السلام وهو الإنجيل، وكتاب محمد ﷺ وهو القرآن العظيم، ومن ذلك الصحائف المنزَّلة على إبراهيم عليه السلام، وعلى آدم وشيث ونوح وإدريس عليهم السلام، فكلُّ ذلك كلام الله تعالى غير مركبٍ ولا متجزئ، وليس بحرفٍ ولا صوت.

(**وَ**)كذلك الإيمان بوجود (**اليَومِ الآخِرِ**)، وأنه سيظهر للجميع، فيرونه كما رأته الأنبياء عليهم السَّلام، وتحقَّقت به الأولياء رضي الله عنهم، وهو يوم أول مرتبة من مراتب الموت، وهو وصف يقوم بالحيوان يضاد وصف الحياة، وفيه تخرج الروح من ضيق عالم الأجسام.

ثم مرتبة القبر، وهو الالتحاق بعالم الملكوت، إما ملكوت السَّماء إن كان من أهل السَّعادة، أو ملكوت الأرض إن كان من أهل الشَّقاوة، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ثم في هذه المرتبة يسأل الميّت ملكان يسمىٰ الأول منكراً، والآخر نكيراً، فيقولان له: من ربك؟ ومن نبيُّك؟ وما دينك؟ فيجيبهما المؤمن فينجو منهما، وينبكم الكافر عن الجواب، فيعذبانه العذاب الشديد الدَّائم.

ثم مرتبة البعث، وهو انتقاله من عالم الملكوت إلىٰ أول عالم من عوالم الجبروت، وفيه تظهر زلزلة الأكوان وتسير الجبال، وتكوير الشمس إلىٰ غير ذلك من أحوال يوم القيامة، وقبل ذلك تظهر في الأرض علامات وأشراط، كاختلال نظام العالم الفَلَكي بطلوع الشمس من المغرب، واختلال نظام عالم الأرض بخروج الدَّابة، وظهور الدَّجال ويأجوج ومأجوج، ثم ختام ذلك بنفخ إسرافيل.

ثم مرتبة الحشر، وهو ثاني مرتبة من عالم الجبروت، وفيه تطوىٰ السَّموات وتبدَّل الأرض غير الأرض وتتطاير صحف الأعمال، وتبتدئ شفاعة الشَّافعين في فصل القضاء وغيره، وفيه تظهر جهنَّم، وينتصب الصِّراط، وتوضع الموازين.

ثم مرتبة القرار، إما في جنَّةٍ أو نار، فيدخل كل فريق إلىٰ وطنه، ويلتحق كل فرع بأصله، وهم مضطربون غاية الاضطراب، وفيه ينادي أهل الجنَّة أهل النَّار وبالعكس، ويقع العتاب من الفريقين، فيخرج من النَّار من يخرج من العصاة، ثم يأتي يوم الخلود، فيلتحق كل فريقٍ بعالم الجبروت، الكل والغيب المطلق، ولا يبقىٰ إلاَّ النَّعيم والعذاب الأليم علىٰ الأبد من غير زوال، والله أعلم بحقائق الأحوال.

وبالجملة فتفصيل اليوم الآخر مما لا يسعه كتاب، وإنما أردنا بهذا القدر بيان السَّمعيات حتىٰ لا تخلو عنها هذه المقدِّمة، بل تكون لها متضمِّنة والله الموفق.

(لأنَّه) أي: محمَّداً نبيَّنا (عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَم، جَاء) إلينا مرسلاً من عند الله تعالىٰ بتصديق جميع ذلك؛ أي: مصاحباً لتصديق ذلك، بمعنىٰ: مصدِّقاً به و آمراً أمته (بِتَصديقِ

جَمِيعِ ذَلِكَ[1] **كُلِّهِ، وَيُؤخَذُ مِنهُ)** أي: من قولنا: محمَّدٌ رسول الله **(وجُوبُ صِدقِ الرُّسُلِ)** والأنبياء جميعهم **(عَلَيهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمَ وَ)**، كذلك يؤخذ منه **(استِحَالَةُ الكَذِبِ عَلَيْهِم)** أي: على الرُّسل والأنبياء كلهم عليهم الصَّلاَةُ السَّلام،**(وَإلاَّ)** أي: وإن لم يجب لهم الصدق ويستحيل في حقِّهم الكذب، **(لَم يَكُونُوا رُسُلاً)** من الله تعالى إلى الخلق، **(أمَنَاءَ)** على أسرار وحي الله تعالى، جمع أمين **(لِمولاَنَا)** وهو الله تعالى **(العَالِمِ بالخَفيَّات)**من أحوال العوالم كلها فيعلم الباطن كالظَّاهر من غير تفاوتٍ، فلو كان فيهم أدنى خيانةٍ لوحي الله تعالى أو لغيره؛ لعلم الله تعالى ذلك منهم، فلم يؤمنهم على شيءٍ من ذلك،

(وَ)يؤخذ منه أيضاً **(استِحَالَةُ فِعلِ المَنهيَّات)** أي: الكبائر والصَّغائر **(كُلِّهَا)** أي: عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها عليهم الصلاة والسلام؛ **(لأنَّهُم)** أي: الأنبياء **(عَلَيهِمُ الصَّلاَة والسَّلام أُرسِلوا)** من الله تعالى **(لِيُعلِّموا الخَلقَ)** ما هو الصَّواب، والحق عند الله تعالى **(بِأقوَالِهِم)** الصحيحة الفصيحة على حسب ألسنة أممهم **(وَأفعَالِهِم)** الصحيحة القويمة المستقيمة على حسب رضاء الله تعالى **(وَسُكُوتِهِم)** الموافق لأحكام الله تعالى من غير مداهنة للخلق ولا مماراة، **(فَيلزَمُ)** من ذلك **(أَنْ لاَ يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا)**؛ أي: جميع ما ذكر من الأقوال والأفعال والسكوت؛ لثبوت العصمة لهم عليهم السَّلام أدنى **(مُخَالَفَةٌ لأَمرِ مَولاَنَا جَلَّ وَعَزَّ الذي)** أمر به جميع المكلفين؛ لأن الله تعالى هو**(الذي اختَارَهُم)** من بين أمثالهم من البشر **(عَلَىَ جَميعِ الخَلْقِ)** للرسالة؛ أي: لتبليغها منه تعالى إلى أممهم.

وهو **(الذي أَمِنَهُم)** دون غيرهم من البشر **(عَلَىَ سِرِّ وَحيِهِ)** الذي لا يطَّلع عليه إلاَّ أهل الصَّفوة والاجتباء.

---

(١) قال الشيخ السنوسي في شرحه على «أم البراهين»: لا شك أن تصديق سيدنا ومولانا محمدﷺ في رسالته بحسب ما دلت عليه معجزاته التي لا حصر لها، والإقرار بذلك يستلزم التصديق بكل ما جاء بهﷺ من عند الله، ومن جملة ما أتى به ما ذكرنا هنا، وكذا غير ذلك مما لا ينحصر، كالبعث لِعَيْنِ هذا البدن لا لمثله، وفتنة القبر وعذابه، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة، ونحو ذلك. انظر: «شرح أم البراهين» للسنوسي (ص١٣٧).

مطلب

[جواز الأعراض البشرية عليهم]

(وَيُؤخَذ مِنهُ) أي: من قولنا: محمَّدٌ رسول الله أيضاً **(جَوَاز الأَعرَاض)** جمع عرض **(البشريَّة)** أي: المنسوبة إلى البشر، وتقدَّم بيانها **(عَلَيهِم)** أي: على الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ **(إذ)** أي: لأنَّ **(ذَاكَ)** أي: الأعراض البشريَّة **(لا يَقدَحُ)** في شيءٍ منها **(في رسالتِهم وَعلوِّ منزِلَتَهُم عِندَ الله تَعالىَ)** الذي فضلهم على جميع الخلق **(بَل ذَاكَ)** المَذكُور **(ممَّا يَزيدُ فِيهَا)** أي: في منزلتهم عند الله تعالى؛ لأنَّهم يقاسونها، ويعانونها، ويكابدونها، فتكثر أجورهم بسبب ذلك وتعلو منَازلهم.

(فَقَد اتضح[1])؛ أي: ظهر وبان **(لَكَ)** أيها المكلَّف **(تَضمُّنُ كَلِمَتي الشَّهادَةِ)** التي هي لا إله إلا الله محمَّدٌ رسول الله **(مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا)** أي: حروف كلمة الشهادة **(لِجَميعِ مَا يَجِبُ)** أي: يفترض فرضاً عينيّاً **(عَلىَ المكَلَّفِ)**؛ أي: العاقل البالغ **(مَعرِفَتُهُ مِن عَقَائِدِ الإِيمَان في حقِّه تَعالىَ)** وذلك جميع الواجبات من الصِّفات والمستحيلات منها والجائزات.

(و) عقائد الإيمان **(في حَقِّ الرُّسل)** كلهم **(عَلَيهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم)**، وذلك جميع الصِّفات الواجبات والمستحيلات والجائزات أيضاً، كما تقدَّم شرحه وبيانه.

---

(١) في المتن المطبوع (بان).

مطلب

[معنى الإيمان والإسلام]

(**وَلَعلَّهَا**) أي: كلمة الشهادة (**لِاختِصَارِهَا**) أي: قلَّة حروفها، وكثرة معانيها (**مَعَ اشتِمَالِهَا عَلَىٰ**) جميع (**مَا ذَكرنَاه**) من الواجبات في حق الله تعالىٰ والمستحيل والجائز، والواجب في حقِّ الأنبياء عليهم السلام، والمستحيل والجائز (**جَعَلَهَا الشَّرعُ**) الإلهيُّ وهو: القانون الوضعي الواصل إلينا علىٰ ألسنة الوسائط بالتواتر (**تَرجَمَةً**)؛ أي: موصلة جميع ذلك المذكور إلىٰ الغير (**عَلَىٰ مَا فِي القَلْبِ**) أي: قلب المسلم (**مِنَ الإِسلاَمِ**) وهو الانقياد والإذعان لله تعالىٰ، ولجميع أوامره ونواهيه ظاهراً وباطناً، ويسمَّىٰ ذلك إيماناً أيضاً من حيث التَّصديق به، فلا فرق بينهما إلاَّ لغةً[1].

(**وَلَمَ يَقبَل**) أي: لم يقبل الله تعالىٰ (**مِنْ أَحَدٍ**) من المكلَّفين (**الإِيمَان**) ولم يقبل الإسلام، كما قال من قبل إشارةً إلىٰ التَّرادف (**إلاَّ بِهَا**)؛ أي: بكلمة الشهادة، والمراد بذلك: قبول معانيها بالقلب والإذعان لها إذا وردت عليه لا قولها باللسان؛ لأنَّه ليس شرطاً مجمعاً عليه؛ لأنَّ الإيمان قد يكون بغيرها من الكلمات الدَّالة علىٰ نفي الشَّركة عن الله تعالىٰ ولو بغير العربيَّة.

وقد يكون بالفعل أيضاً، كما قال أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ في كافرٍ صلَّىٰ مع الجماعة مقتدياً بالإمام بأنَّه صار مسلماً بذلك[2].

---

(١) ومقتضىٰ جعل المؤلف الإسلام في القلب أنه ماشٍ علىٰ القول بأن الإسلام والإيمان مترادفان، أي: معناهما واحدٌ وهو تصديق النبيﷺ في كل ما جاء به مما علم من الدين بالضرورة، والراجح القول بأنهما متغايران معنىً، فالإيمان هو التصديق المذكور، وهو أمرٌ باطنيٌّ قائم بالقلب دليله النطق بالشهادتين، والإسلام هو الإذعان الظاهري، أي: الامتثال للعمل بما جاء به النبيﷺ مما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والصوم والحج. انظر: «طالع البشرىٰ» (ص١٥٨).

(٢) قال ابن عابدين في «حاشيته» (٢/ ٤٦٨): ويحكم بإسلام فاعلها بشروط أربعة: أن يصلي في الوقت مع جماعة مؤتماً متماً، وكذا لو أذن في الوقت، أو سجد للتلاوة، أو زكَّىٰ السائمة صار مسلماً، لا لو صلىٰ في غير =

حتىٰ أنَّه يقتل[1] لو أبىٰ البقاء علىٰ الإسلام بعد ذلك وربما يقال: بأن القبول أمر زائد علىٰ الصحة فيصح الإيمان بها، ولكن لا يقبل عند الله تعالىٰ إلا بكلمة الشهادة خصوصية لها كما ورد في السنَّة: «أمرت أن أقاتل الناس... [2]» إلىٰ آخر الحديث، وخبر: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله[3]» ونحو ذلك.

= الوقت، أو منفرداً أو إماماً أو أفسدها أو فعل بقية العبادات، لأنها لا تختص بشريعتنا، ونظمها ابن الشحنة الحلبي فقال:

ولـو حـجَّ أو زكَّـىٰ وصـلَّىٰ صـلاتَنَا   وطـاف ولبَّـىٰ مثلنـا قيـل يَطهـرُ

وقال ابن الشحنة الحلبي: وأما مسألة الصلاة فقال في «تتمة الفتاوىٰ» عن نوادر بن رشيد: أن محمد ابن الحسن سئل عن رجل ذمي شهد عليه الشهود أنه صلىٰ معنا صلاة واحدة بجماعة أتجعله مسلماً، ويضرب عنقه إن رجع إلىٰ كفره؟ قال: نعم. ثم نقل عن الطرسوسي عن «البدائع» إسلام الكتابي بالفعل صحيح عندنا ويحكم بإسلامه، ثم نقل عن «الذخيرة»: صلىٰ الكتابي أو أحد من أهل الشرك في جماعة حكم بإسلامه عندنا. انظر: «شرح منظومة ابن وهبان» (١/ ١٩٧).

(١) في (أ): يقبل.

(٢) الحديث بتمامه «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله» أخرجه مسلم في«صحيحه» رقم (١٣٣) كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله.

(٣) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢/ ٥٥٠) إلىٰ أحمد في «مسنده»، وأبي داود، والحاكم عن معاذ.

مطلب

[فضائل كلمة التوحيد ومزايا الإكثار من ذكرها]

(فَعَلَى العَاقِلِ)؛ أي: يجب على العاقل وجوباً عرفيّاً، ولم يقل المكلَّف ليشمل الصبيَّ العاقل، ويكون إشارةً إلى ما قيل: من أن المراد بالمكلَّف هو العاقل فقط، كما ذكرنا فيما سبق **(أَنْ يُكْثِرَ مِن ذكرِهَا)**؛ أي: إيرادها على اللِّسان، أو على القلب، أو عليهما معاً مصححاً لألفاظها على القانون العربي[١]، و **(مُستَحضِراً)**؛ أي: متذكِّراً ملاحظاً بقلبه **(لَمَا احتَوَت عَلَيهِ)** تلك الكلمة الشَّريفة **(مِنْ عَقَائِدِ الإيمان)** المتقدِّم ذكرها مفصلة، أو بطريق الإجمال **(حَتَى تمتَزِجَ)** أي: تختلط، والمراد بذلك الامتزاج إجراء لفظها من غير تكلُّفٍ **(مَعَ معنَاهَا)** الذي ذكرناه لها **(بِلَحمِهِ)** راجع إلى اللفظ، بحيث يصير لسانه ينطق بها من غير قصدٍ لذلك نوماً ويقظةً **(وَدَمِهِ)** راجع إلى المعنى؛ بحيث يصير معناها مرسوماً في دم القلب والعروق من كثرة الاستحضار كما أخبرني بعض مشايخي عند قراءة هذا المحلِّ عليه بأنَّه رأى رجلاً من الصالحين كان يكثر من تلاوة كلمة الشَّهادة، ثم لما مات ووضع على السَّرير للغسل، وجدوا على صدره مكتوباً بالدم من داخل الجلد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال شيخي المذكور: فقبَّلت ذلك الموضع وبكيت وبكى الناس، فقلت لهم: هذا سرُّ قول السنوسي رحمه الله تعالى: حتى تمتزج بلحمه ودمه.

(فَإِنَّهُ يَرَى) ببصـره وبصيرته **(لَهَا)** أي: لكلمة الشهادة **(مِنَ الأَسرَارِ)** الإلهية **(وَالعَجَائِبِ)** الملكيَّة والملكوتيَّة **(إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى مَا لاَ يَدخُلُ تَحتَ حَصـرٍ)** من العلوم والمعارف الخارجة عن طور العقل الحاصلة بالإلهام من الملك العلاَّم.

---

(١) وأقل الإكثار منه عند الفقهاء ثلاثة مئة في اليوم والليلة، وعند الصوفية اثنا عشر ألفاً، والإكثار من ذكرها مندوبٌ مؤكدٌ، وليس بواجب اتفاقاً، وإنما عبر المؤلف بـ (على) المقتضية للوجوب للحث على الإكثار من ذكرها لما ورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة.

(وبالله)؛ أي: لا بغيره (التَّوفِيق) وهو خلق القدرة والإرادة على الطَّاعة في العبد (لاَ رَبَّ) لنا يخلق التوفيق المذكور (غَيرُهُ، ولاَ مَعبودَ سِوَاه[١] نَسألُه)؛ أي: نطلب منه (سُبَحَانَهُ وَتَعالىَ أَنْ يَجعَلَنَا) معشر المؤمنين الحاضرين في كلِّ مجلسٍ تتلىٰ فيه هذه العقيدة، (وَأَحِبَتَنَا) من المؤمنين الغائبين عنَّا في مجلسٍ آخر (عِندَ المَوتِ) أي: موت كلِّ واحدٍ منَّا (نَاطِقِينَ) بألسنتنا (بِكَلِمَةِ الشَّهَادَة) ومذعنين لها مصدِّقين بها (عَالِمِينَ بِهَا)؛ لأنَّ مجرد ذكرها باللِّسان أو بالقلب من غير معرفة معناها لا نتيجة له ولا ثمرة، كما قالوا في الأذكار الواردة عقب الصلوات ونحوها: إن الثَّواب الموعود عليها مشروط باستحضار معانيها، وإلا كانت حروفاً متشكلة لا أرواح فيها، فلا ينتفع قائلها.

(وَصَلَّى اللهُ عَلَى سيِّدنَا محمَّدٍ النبيِّ الأميِّ الأَمين وَعَلىَ آلِهِ وَصَحبِهِ أجمعين آمين آمين[٢]).

وهذا آخر ما رشح به إناء لبي وأمطرته سحائب سماء الإلهام على أرض قلبي ويسَّره الله تعالىٰ لي في خدمة هذه المقدِّمة الشريفة، والتبرك بعباراتها اللطيفة نفع الله تعالىٰ بسعينا هذا كل إنسان، وختم لنا ولإخواننا المسلمين بالإيمان، ونسأله تعالىٰ أن لا يجعل ما كتبناه في هذه الصحيفة وغيرها وبالاً لدينا ولا حجة علينا، ونفعنا بذلك في الدنيا والآخرة، إنه علىٰ ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وبعباده لطيف خبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولىٰ ونعم النصير، والحمد لله وحده.

---

(١) (ولا معبود سواه) سقط من النسخ، وأثبتها من الشروح الأخرىٰ علىٰ السنوسية.

(٢) هكذا ختم الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله متن السنوسية، ولعلها نسخة عنده أما المتن المطبوع المتداول، والشروح المتداولة أيضاً فقد كانت خاتمتها كما يلي: وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله تعالىٰ عن أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

خواتيم النسخ

خاتمة النسخة (أ):

قال مؤلفه رحمة الله تعالىٰ عليه: وقد اتفق الفراغ من تعليقه يوم الجمعة قبيل الصلاة وهو اليوم الذي استهل فيه هلال شهر رجب الفرد من شهور سنة أربع وثمانين وألف من الهجرة النبويَّة علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وكان الفراغ منه يوم الأحد المبارك سادس عشر ربيع أول من شهور سنة ست ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام علىٰ يد الفقير إلىٰ رحمة ربه القدير فتوح بن خطاب الأشبولي الشافعي غفر الله تعالىٰ له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وسلم.

خاتمة النسخة (ب):

وهذا آخر ما رشح به إناء لبي وأمطرته سحائب الإلهام علىٰ أرض قلبي ويسره الله تعالىٰ لي في خدمة هذه المقدمة الشريفة والتَّبرك بعباراتها اللطيفة نفع الله تعالىٰ بشرحنا هذا كل إنسان، وختم لنا ولإخواننا المسلمين بالإيمان، ونسأله تعالىٰ أن لا يجعل ما كتبنا في هذه الصحيفة وغيرها وبالاً لدينا ولا حجَّة علينا، ونفعنا بذلك في الدنيا والآخرة إنه علىٰ ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وبعباده لطيف خبير، ولا حوله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولىٰ ونعم النصير، والحمد لله وحده.

هذه العقيدة المسماة بـ«السنوسية في علم التوحيد» نفع الله تعالىٰ بها كل طالب ومريد

إنه علىٰ ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله وحده، والصَّلاة علىٰ من لا نبيَّ بعده. للصديق رضي الله عنه:

لـــو لم تـــرد مـــا أرجـــو وأطلبـــه مـن جـود كفيـك مـا علمتنـي الطلبـا]

خاتمة النسخة (ج):

تــــم الكتـــاب بحمـــد الله بارينـــا ومــن بــلا شــك بعــد المــوت يحيينــا
يـــا رب فـــاغفر لعبــد كـــان كاتبــه يـــا قـــارئ الخـــط قـــل بـــالله آمـــين

وقد وافق الفراغ من تنميقه بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير إلى الله الغني القدير السيد حسين بن السيد محمد العقاد الحموي عفا الله تعالى عنهما، وذلك ضحوة يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الآخر الذي هو من شهور سنة اثنين وستين ومئتين وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل كل وصف صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين والحمد لله ربِّ العالمين.

خاتمة النسخة (و):

وقد كان فراغ هذه النسخة من كتابتها في ليلة الجمعة بعد العشاء، وهي الليلة الحادية عشر من شهر ربيع الثاني سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ربِّ يسر ولا تعسِّر وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم المصادر والمراجع

* تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: للعلامة إبراهيم البيجوري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

* طالع البشرىٰ شرح العقيدة الصغرىٰ: للعلامة إبراهيم المارغني ـ دار الضياء ـ الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ.

* صحيح مسلم: للإمام مسلم ـ تحقيق فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي.

* نفحة القبول في مدحة الرسول: للعارف بالله الشيخ النابلسي ـ مخطوط.

* شرح المقدمات: للشيخ أبي عبد الله محمد السنوسي ـ دار البيروتي ـ دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ.

* تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب: للشيخ محمد البكي الكومي التونسي ـ دار مؤسسة المعارف ـ بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.

* إحياء علوم الدين: للإمام الغزالي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

* النبراس شرح شرح العقائد: العلامة محمد عبد العزيز الفرهاري ـ الأستانه.

* الأعلام: الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

* حاشية الشرقاوي علىٰ شرح الهدهدي: للشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي ـ مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر.

* الملل والنحل: للشهرستاني ـ دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٥هـ.

* إشارات المرام: للشيخ كمال الدين البياضي ـ مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر.

* شرح الوصية: للأكمل الدين البابرتي ـ دار الفتح ـ عمان، ط١، ١٤٣٠هـ.

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للإمام علي بن أبي بكر الهيتمي ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ودار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٧هـ.

* حاشية الباجوري على السنوسية: العلامة إبراهيم الباجوري ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

* شرح أم البراهين: للشيخ عيسى الأنصاري ـ دار الرازي ـ عمان، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

* شرح جوهرة التوحيد للصاوي: العلامة أحمد بن محمد المالكي ـ دار الإخاء.

* شرح الخريدة البهية: للشيخ أحمد الدردير ـ دار البيروتي ـ دمشق، ط١، ١٤٢٤ هـ.

* تهذيب السنوسية: للشيخ سعيد فودة ـ دار الرازي ـ عمان، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

* شرح العقيدة الصغرى: للإمام السنوسي ـ دار البيروتي ـ دمشق، ط٣، ١٤٣٠ هـ.

* منهاج الراغب في إتحاف الطالب: للشيخ أبو بكر الملا الأحسائي ـ دار النعمان ـ دمشق، ط١، ١٤٢٣ هـ.

* مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل ـ مؤسسة قرطبة ـ مصر.

* شرح الفقه الأكبر: للشيخ علي القاري ـ دار البشائر ـ بيروت، ط١، ١٣١٩ هـ.

* القول التمام في إثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام: للشيخ سيف بن علي العصري ـ دار الفتح ـ بيروت، ط٢، ٢٠١٠ م.

* سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

* شرح المقاصد: للإمام مسعود بن عمر التفتازاني ـ منشورات الشريف الرضي ـ قم، ط١، ١٣١٧ هـ.

* شرح المواقف: للسيد الشريف الجرجاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر، ط١، ١٩٠٧ م.

* نيل الابتهاج بتطريز الديباج: للشيخ أحمد بابا التنبكتي ـ كلية الدعوة ـ طرابلس، ط١، ١٣٩٨ هـ.

* تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ـ الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ مصر.

* خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للإمام محمد أمين الدين بن فضل الله المحبي ـ دار صادر ـ بيروت.

* الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: للإمام أحمد بن علي العسقلاني ـ دار الجيل ـ بيروت.

* جامع كرامات الأولياء: للشيخ يوسف النبهاني ـ تحقيق إبراهيم عوض.

* إيضاح المكنون: إسماعيل البغدادي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

* يوميات شامية: محمد بن كنانا لصالحي ـ تحقيق أكرم العلي ـ دار الطباع.

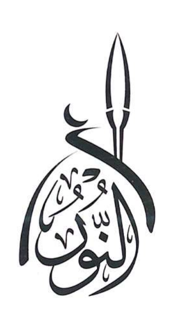
* الورد الأنسي ترجمة النابلسي: للغزي ـ مخطوط نسخة الظاهرية.

* المنخول: محمد بن محمد الغزالي ـ دار الفكر ـ دمشق ط٢.

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





عمّان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com
www.darannor.com